ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام

ISBN 978-9933-489-34-2

9 789933 489342

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١١: ١١٢٨

رقم الدولي ISBN: ٩٧٨٩٩٣٣٤٨٩٣٤٢

الفتلاوي، علي، ١٩٦٠- م.

المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام .../ تأليف علي الفتلاوي. - الطبعة الثانية منقحة - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٤ق. = ٢٠١٣م.

٢٥٣ ص. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة؛ ٩٩).

المصادر : ص. ٢٣٣ - ٢٣٧؛ وكذلك في الحاشية.

١. الحسين بن علي عليه السلام، الامام الثالث ، ٤ ـ ٦١ ق. - نساء ـ دراسة وتحقيق. ٢. زينب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام، ٦ ـ ٦٢ ق. - السيرة. ٣ . واقعة كربلاء (٦١ ق.) ـ نساء. ٤. النساء ـ حقوق وقوانين. ألف. عنوان.

BP ٤١ / ٧٥ / ٤٠٨ م ٢ ق

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام

تأليف

الشّيخ علي الفتلاوي

الطبعة الثانية

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الثانية

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

المقدمة

يعجز القلم ويحتار لبُّ الكاتب وتنحني الأوراق إجلالاً أمام نور السبط الشهيد، هذا الوجود المقدس الذي شهدت له آية التطهير بالعصمة والطهارة حيث تقول:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

وهذا الشموخ الروحي الذي يرغم النفوس على محبته دون أن تقول آية المودة:

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2].

وهذه الحجة التي حاجج بها جده المصطفى في يوم المباهلة، وهذا الإمام المفترض الطاعة الذي فرضت طاعته آية أولي الأمر في نصها:

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾(٣).

لا يمكن لقلمي أن يفي بحقه، ولكن ما لا يُدرك كلّه لا يُترك جلّه، فوجدت توفيقاً الهياً قادني إلى أن أسلط الضوء على زاوية من زوايا هذه الشخصية الإلهية بعد أن طغى عليها طابعُ الشهادة والتضحية وتضاءلت الجوانب الأخرى أمام سعة عنوان الشهادة وأمام انتصار الدم على السيف.

فانقدح في ذهني القاصر أن أكتب عن الجانب الاجتماعي من جوانب هذه الشخصية المقدسة وأن أقف أمام نافذة واحدة من نوافذ حياته ألا وهي علاقة الإمام الحسين عليه السلام بالمرأة.

فشرعت في كتابة هذا البحث لنرى الإمام بعين أخرى غير عين البطولة والفداء، نراه بعين العشرة الطيبة والحنان والرحمة، هذه العشرة التي جعلت من السيدة الرّباب زوجة الإمام الحسين عليه السلام لا يهدأ لها بال ولم تستظل بظل بعد أن رأت حبيبها وحبيب القلوب مقطوع الرأس تصطلمه شمس الظهيرة فآلت على نفسها إلا أن تواسيه في ذلك، وأردت أن أبين مدى العلاقة مع المرأة الأم والأخت والبنت والزوجة والمرأة الموالية والمتعاطفة من خلال هذا البحث الذي سيشتمل على ثلاثة فصول:

نتعرض في الفصل الأول منه إلى بيان موقع المرأة ومكانتها قبل الإسلام ومن ثم بيان رعاية الإسلام لهذا المخلوق العزيز.

وأما في الفصل الثاني فنتحدث عن المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام وبيان علاقته مع السيدة فاطمة والحوراء زينب عليهما السلام والمخدرة أم كلثوم وزوجته الرّباب وبناته سكينة وفاطمة ورقية ومع

---

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

المحبات المواليات كأمِّ سَلَمَة وأمِّ البنين وغيرهن، أي لبيان علاقته بالمرأة الأم والأخت والزوجة والبنت.

وجاء في الفصل الثالث ليطلع القارئ على موقف الإمام الحسين عليه السلام من المرأة من خلال أدبه في الحوار وسلوكه العملي معها، ثم نورد بعض الكرامات الحسينية التي شملت المرأة الموالية وغير الموالية لكي يتضح لنا مدى رعاية الإمام الحسين عليه السلام لهذا المخلوق الذي أمر الله تعالى برعايته.

الشيخ علي الفتلاوي

كربلاء المقدسة

٢٤ رمضان ١٤٢٦هـ

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

الفصل الأول

المرأة في المنظور الإسلامي

ينظر الإسلام إلى المرأة على أنها مخلوق شريك للرجل في هذه المعمورة وبينها وبين الرجل علاقة إنسانية مقدسة ويشتركان في كثير من الأمور الأساسية التي تبنى عليها الشخصية الإنسانية كالفطرة والسجية والعقل وغيرها، ولكثرة النقاط الإنسانية التي تشترك فيها المرأة مع الرجل في الخلقة جاءت هذه الآية الكريمة لتؤكد ذلك:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾(1).

ولكي نقف على مكانة المرأة في الحضارات السابقة والحضارة الإسلامية لابد من معرفة الآتي:

مكانة المرأة في الأمم السالفة

كانت المرأة في الأمم السالفة ـ ولاسيّما الفرس واليونان ـ مخلوقاً مستضعفاً لا شأن له، وكانت تتعرض للذلّ والاحتقار والامتهان وتعامل بهمجية لا حدود لها، وما هذا التعدي على حقوق المرأة في تلك الأمم إلا لكونها أمماً غير خاضعة للأديان والشرائع التي نظمت حياة الإنسان وأوضحت العلاقة الإنسانية بين المرأة والرجل، ولو أردنا الوقوف على نموذجين من هذه الأمم سيتضح لنا مدى انتهاك حقوق

(1) سورة النساء، الآية: 1.

المرأة ومقدار شأنها فيها، فمثلاً عندما نسلط الضوء على أمة الفرس نجد أن المرأة كانت مخلوقاً حقيراً لا ينظر إليها باحترام ولا تراعى عاطفتها ومشاعرها ولو بمقدار بسيط، ومما يذكر في التاريخ أن تعدد الزوجات والتسري بالنساء من الأمور الشائعة عندهم حتى قيل أن (برويز) كانت له اثنتا عشرة ألف امرأة، وأما غيره من وجهاء القوم فكان يقترن بمئة أو أكثر من النساء بما فيهنّ النساء اللواتي من محارمه كالأمهات والأخوات والبنات، فكان يمسك منهنّ من يشاء ويطلق من يشاء ولا يتوانى عن سجنهن إذا قُمن بإغضابه حتى بلغ من اضطهادهم لهن أن تقضي المرأة حياتها مسجونة في بيتها، كما أنهم أباحوا بيعها وشراءها بل جعلوها وسيلة لتسلية الكثير من الرجال وهذا ما يذكره التأريخ عن (مزدك) الذي يدّعي أنه يوحى إليه باشتراك الناس في النساء، ومن غريب ما يذكر عن المرأة أنها تُبعد عن المنازل وتقيم في خيمة يسمونها (داخمي)[1]، ولا يخالطها أحد من الناس، وكان الخدم الذين يقدمون لها الطعام والشراب يلفون أنوفهم وآذانهم وأيديهم بقماش غليظ تجنباً لمسها.

وأما في اليونان فكانت المرأة تعد رجساً من عمل الشيطان، وسلعة تباع وتشترى وليس لها الحق في التصرف، إنما يرجع ذلك إلى تصرف الأب والزوج، وكان ينظر إلى المرأة على أنها رأس كل فتنة وأحقر كل شيء، ومن موروث المجتمع الروماني قولهم «إن المرأة كائن لا نفس له، وأنها لن ترث الحياة الأخروية، وكذلك أنها رجس يجب أن لا تأكل اللحم...»[2] وغير هذه النصوص التي تدل على تدني مكانة المرأة في الأمم الغابرة.

---

(١) الأسرة المسلمة: ص ١٨٢.

(٢) كتاب المرأة المعاصرة: ص ٢٦.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

مكانة المرأة عند العرب في الجاهلية

بلغت مهانة المرأة في العصر الجاهلي إلى حدّ دفنها حيّة وهي في مقتبل العمر خشية العار والسبي، وهذا من نتاج الفكر الجاهلي الذي يرى المرأة عورة يجب سترها بالتراب، إضافة إلى بعض العوامل التي لا تصلح مبرراً لقتلها كعامل الفقر والجوع ولاسيما في شبه الجزيرة العربية القاحلة الجرداء من الزرع والنبات والتي لا قوام لها إلا بالتجارة لأهل الحضر ورعي الإبل والأغنام لأهل البادية مما يفرز مجتمعاً تسوده الطبقية وتتكتل فيه فئات غنية وأخرى فقيرة، وهذا بدوره يؤدي إلى غزو بعضهم بعضاً، وما أن تنتهي الغزوة حتى تصاب القبيلة ببلاء أسر النساء وجعلهن من الغنائم التي تربحها القبيلة الغازية فلهذا السبب اتجهت القبائل إلى التخلص من البنات من خلال وأدهن صغاراً، ولقد نقل لنا القرآن الكريم الواقع المعاش في الجزيرة العربية حينذاك كما في قوله تعالى:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[١].

فلا ينظر الرجل منهم إلى الأنثى على أنها من نِعَم الله تعالى التي تستحق الشكر والرعايةُ بل ينظر إليها على أنّها بلاءٌ أصيب به فيتربد وجهه ويمتلئ غضباً، وأما صورة قتل الأولاد خشية الفقر والفاقة فتشير هذه الآية:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[٢].

بصراحة إلى الصورة القاتمة التي كان يعيشها العرب ألا وهي قتل الأولاد والبنات خشية الفقر والعوز، وتبين لنا ما كان عليه العرب في شبه الجزيرة العربية

(١) سورة النحل، الآية: ٥٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

من جهل وتخلف، وهذه الجريمة النكراء تتكرر باستمرار نتيجة غياب الرادع الديني وعدم إيمان العرب برحمة الله تعالى وعطاياه، وهذا بدوره يؤدي إلى عدم الشعور بالاطمئنان ويؤدي إلى العيش بهلع من الفقر وآثاره السلبية، ولو وقفنا على منطوق الآية السابقة لظهر لنا مفهوم رائع وهو أن الإيمان بالله تعالى وبرحمته وكرمه هو من دواعي استقرار النفس والاطمئنان على ضمان الرزق من قبل الرزاق ذي القوة المتين.

ومما تتصدع له النفس السوية هو ما يذكر عن نساء العرب في الجاهلية حيث كانت المرأة التي تشرف على الولادة عندما يأتيها المخاض تهيأ لها حفرة في الأرض وتجلس عندها لتضع وليدها فان كان المولود أنثى رميت في الحفرة وأُهيلَ عليها التراب وهي حيّة، وإن كان المولود ذكراً قامت أمه مسرورة ضاحكة إلى قومها تبشرهم بوليدها، ولعلّ فرحها هذا لم يكن ناشئاً من أن المولود ذكرٌ بقدر ما هو شعور بالارتياح لعلمها أن مولودها سيعيش معها وتلتذُّ ببقائه، مما يؤكد هذه الغريزة التي أودعها الباري جل وعلا في الأم فهي لا تفرق بين الذكر والأنثى من حيث العاطفة والرحمة والتعلق بالوليد الذي عانت الكثير في حمله وترقبه.

وشدد القرآن الكريم على رفض هذه الجريمة النكراء بقوله تعالى:

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾(١).

فهذا الرفض القرآني يبين لنا ما كان عليه وضع المرأة قبل الإسلام.

---

(١) سورة التكوير، الآية: ٩٨.

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

مكانة المرأة في القرون الوسطى

لـو تـدرجنا في دراسـة تـأريخ المـرأة ووقفنـا عنـد الحقبـة الزمنية في القـرون الوسطى لا نجد تطوراً في تعامل المجتمع مع المرأة بل حوربت بطرق أخرى يندى لها الجبين، فمثلاً مما يذكر أن المرأة حرمت من الظهور في المجتمعات لسوء الظن بها حتى وصل الأمر ببعضهم أن جعل عليها قفلاً من حديد ركب في حزام خاص تلبسه المرأةُ في خصرِها إذا غاب عنها زوجها لكي يمنعها من خيانته في غيبته ثم تغلق هذه الأقفال بمفاتيح يصطحبها الزوج معه في سفره، بل إن بعض النساء وضع على فمها قفل طالما هي خارج الدار لكي لا تُتاح لها الفرصة بالتحدث مع الرجال وتكون سبباً في إغوائهم إلى الرذيلة[1]، وما هذا الظلم إلا لجهل هذه المجتمعات بالأساليب الراقية للتعامل مع المرأة التي جاء بها الإسلام الحنيف حيث جعلها مخلوقاً شريكاً لأخيها الرجل في الحقوق والواجبات وسوف نتعرض إلى الطريقة المثلى التي أشار إليها الإسلام للحفاظ على عفة المرأة وعدم خيانتها.

مكانة المرأة في الإسلام

بعد أن بينا مكانة المرأة المسحوقة في الأمم السالفة والعصر الجاهلي والقرون الوسطى، صار من المناسب أن نسلط الضوء على مكانتها في الإسلام لكي يتضح لنا دور الشريعة الغراء في رفع مكانة المرأة من الحضيض إلى المكان الكريم الذي تشعر فيه بإنسانيتها، فهي محل تكريم واحترام أسوة بالرجل الذي تُقاسِمه الإنسانيةَ وما جاء في قوله تعالى:

---

(١) المرأة ريحانة: ص ١٥ ـ ١٦.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1].

وكل تكريم وتوقير للإنسان وتبجيل وتشريف ورد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة تشارك المرأةُ فيه الرجلَ وتُقاسِمه مما جعلها أنساناً سامياً يعيش حياة حرة كريمة خالية من كل دوافع الانتهاك، وكيف لا تكون كذلك وهي شريكة الرجل منذ الخلقة الأولى.

المرأة أحد المكوّنين

لما كان للمرأة من دور واضح وأساس في تكوين الخلقة الإنسانية ومالها من شراكة في تكاثرها جاء قول النبي ﷺ :

«**النساء شقائق الرجال**»[2].

ليؤكد هذه الشراكة وذلك الدور الأساس، بل إنها من جنس الرجل وليست مغايرة لحقيقته، ولهذا ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة بصورة واضحة كما في قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[3].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج ٦، ص٢٥٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ١.

أي إن للمرأة دوراً في بناء المجتمع بل هي تشكل نصف المجتمع مما يعني أن لا حياة لمجتمع نصفه مُعَطَّل ومُبعَد عن ممارسة مسؤولياته، لأنه في حَجر المرأة وتهميشها يصاب المجتمع باضطراب شديد لوقوع كامل المسؤولية على كاهل الرجل وهذا مما يفقد الرجل صبره ويستهلك طاقته مما يجعله عنصراً مقصراً أو متنصلاً من واجباته وهارباً من مسؤولياته وما جاء في قوله تعالى:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

يبين صلاحية المجتمع الذي يبتني على كلا الركنين، فكما يجب على الرجل أن يَتَلَبَّسَ بالمعروف ويَتَجَلبَبَ النهي عن المنكر ويؤدي الصلاة التي تهذب النفس وتزكيها ويعطي الزكاة ليطهر بها ماله ويسد بها حاجة المحتاج ويرفع بها الفقر والفاقة عن أبناء جلدته ويطيع الله تعالى ورسوله ويسير على النهج القويم ليكسب سعادة الدنيا والآخرة، كذلك يجب على المرأة ذلك وإلا ذهب جهد الرجل سدى وصار هباءً منثوراً، ومما يؤيد قولنا هذا قوله تعالى:

﴿... بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ...﴾.

فبالتكافل والتعاون وتقسيم الواجبات ينال المجتمع المؤمن رحمة الله تعالى وبركاته وهذا ما أكدته الآية:

﴿... سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.

فإذا وجدنا بعض الميادين قد تخلفت عنها المرأة كميدان الجهاد في ساحات المعارك فهي تشغل حيزاً آخر لا يقل خطورة عن ميدان القتال ألا وهو حفظ الجبهة الداخلية للمجتمع من خلال إدامة كينونة الأسرة وإدارة خدمات المجتمع الداخلية وبهذا اتضح شراكتها الفعالة في حفظ المجتمع المؤمن، فضلاً عن أن قسماً كبيراً من النساء قد شارك في المعارك بدور المعالج للجرحى وبالدور الإداري الذي هو عصب المعركة كتهيئة الطعام والشراب لأفراد الجيش، ومن هذا يتضح حاجة المجتمع لهذا الموجود الرقيق الفعال، ولكن لكي تؤدي المرأة دورها كاملاً ودقيقاً لا بدَّ لها أن تتسلح بالعلم والمعرفة وهذا ما أكد عليه الإسلام الحنيف.

العلم حق للمرأة

لا يخفى ما للعلم من دور في بناء شخصية الإنسان سواء أكان رجلاً أم امرأة، صغيراً أم كبيراً، فهو حياة الشعوب وسبيل رُقِيِّها، وهو الذي يميزها عن باقي المخلوقات الحية، بل هو وسيلة الكمال والنجاة وهو طريق السعادة في الدارين، فلذلك حرص الإسلام حرصاً شديداً على التعلم وجاءت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تترى لتؤكد فضيلة العلم ومقام العلماء كقوله تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١].

فهذه الآية تحدثت بصراحة عن فضل العلم، وقوله تعالى:

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٢].

(١) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ص١١.

أخبرنا بمقام العلماء ورتبتهم عند ربهم، لهذا نجد الأحاديث النبوية الشريفة تطالبنا بكسب العلم ولو كان في ذلك مشقة أو سفر بعيد كقوله ﷺ:

«**اطلبوا العلم ولو بالصين**»[١].

وقد يطول بنا المقام إذا أطلقنا العنان للقلم وهو يتحدث عن فضل العلم والعلماء، وما مرادنا من هذه المقدمة المتواضعة عن العلم إلا لكي نبين مراد الإسلام للفرد المسلم ولاسيما المرأة التي حرمت من هذه النعمة، فالإسلام حريص على أن يرتقي بالمسلم في سلم الكمال وحريص على أن تنال المرأة حقها في طلب العلم فلذلك نلمس صراحة الغرض في قول الخاتم ﷺ:

«**طلب العلم فريضة على كل مسلم، ألا إن الله يحب بغاة العلم**»[٢].

ولا شك في أن الغرض متوجه للرجل والمرأة على السواء كما يدل على ذلك لفظ (مسلم) أي جنس المسلم المتكون من الرجل والمرأة معاً، فإن تحصيل العلم وكسبه من قبل المرأة يُمَكِّنُها من معرفة مالها من حقوق وما عليها من واجبات كما أنه يجعلها في رتبة من الكمال الذي حرمت منه في الأيام الخالية، وإن دلَّ على شيء فإنما يدل على مناصرة الإسلام للمرأة وإنقاذها من الجهل الذي صار سبباً في ظلمها، فبالعلم تعرف حقوقها وتنال سعادتها وتكون عنصراً فاعلاً لا يستغني عنه المجتمع بأي حال من الأحوال ولاسيما في الميادين التي تلائم فطرتها كميدان الطب والتعليم والإدارة.

---

(١) روضة الواعظين، النيسابوري: ص١١.

(٢) الكافي: ج١، ص ٣٠.

الإسلام وحقوق المرأة

بعد أن بينّا شراكة المرأة للرجل في كل احترام وتكريم ناله، وبعد أن أوضحنا دورها في التكوين واعترفنا بحقها في التعلم، نرى من المناسب معرفة الحقوق التي كفلها الإسلام لهذا المخلوق العزيز لكي نلمس عظمة هذا الدين العادل والرحيم، فلقد كفل الإسلام للمرأة كل حقوقها كما صدع بذلك سيد الرسل ﷺ في أجواء ملبّدة بكراهية المرأة وأماكن ملوثة بجريمة وَأدِها بوجوب الوفاء لها بكل حقٍ صغيرٍ أو كبيرٍ وفي مختلف مراحل وجودها ابتداءً بحملها ومروراً بطفولتها وانتهاءً ببلوغها، فلقد أكَّد الإسلام على التناسل والتكاثر دون أن يشخص إن كان هذا التكاثر ذكوراً أو إناثاً فهو لايرى فرقاً في الأولاد من حيث وجودهم بل أطلق القول باستحباب التكاثر والتناسل وهذا ما يوضحه قول النبي ﷺ :

«تناكحوا، تناسلوا، تكثروا، فإني أباهي بكم الأمم»(١) .

بعد أن تتوج المرأة زواجها بثمرة عزيزة تأتي الإرشادات الإلهية بغزارة لحماية هذا الجنين سواءٌ كان ذكراً أم أنثى ومما ذكر في شأن المرأة الحامل قوله ﷺ :

«أطعموا المرأة في شهرها التي تلد فيه التمر، فإن ولدها يكون حليماً نقياً»(٢) .

ومما يساعد في تحسين الأولاد أكل فاكهة السفرجل في أثناء الحمل كما ورد ذلك في قول النبي الأكرم ﷺ :

«كلوا السفرجل وتهادوه بينكم...».

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص١٧.

(٢) مكارم الأخلاق: ص١٧٤.

إلى أن يقول ﷺ :

«**وأطعموه حُبالاكم فإنه يُحَسّن أولادكم**»[1].

وفي رواية أخرى :

«**يحسّن أخلاق أولادكم**».

ثـم يتـدرج الإسـلام العظـيم وينتقـل مـن رعايـة الأنثـى في أثنـاء الحمـل إلى التوصية بها بعد ولادتها من خلال إلقاء اللوم على من يكره ولادة البنت فيقول تعالى :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[2].

ومن أجمل ما وصفت به المرأة ما جاء على لسان نبي الرحمة ﷺ عندما بُشّر بابنة : فنظر في وجوه أصحابه فرأى الكراهية فيهم ، فقال :

ما لكم؟ ريحانة أشمها ورزقها على الله[3].

فالأنثى حسنة يثاب عليها المرء ويعطى منزلة عبَّر عنها رسول الله ﷺ بقوله :

«**من عال ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة...**»[4].

ولأن المرأة ريحانة رقيقة غزيرة العاطفة فهي بحاجة إلى رعاية تحميها من جلد الحياة وغلظتها ولا يكون هذا إلا من خلال رجل شهم غيور مؤمن فيعتني بها

---

(١) مكارم الأخلاق : للشيخ الطبرسي ص ١٧٧.

(٢) سورة النحل، الآية : ٥٨.

(٣) مكارم الأخلاق : للشيخ الطبرسي ص٢٣٠.

(٤) مكارم الأخلاق : للشيخ الطبرسي ص ٢١٩

ويرعاها ويعلمها ويقدمها إلى بيت زوجها امرأة كاملة سالمة من العيوب الأخلاقية ومن التقصيرات الشرعية فيثاب عليها الجنة لأنها حسنة من حسناته وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام :

«البنات حسنات والبنون نِعَمٌ، والحسنات يثاب عليها والنعم مسؤول عنها»[1].

وأما في مرحلة بلوغها وصيرورتها فتاة ناضجة لها قابلية التفاعل مع محيطها والتأثر والتأثير فيه فينبغي التعامل معها على وفق أسس أخرى تلائم تلك المرحلة مما يجعلها فتاة صالحة وأُمّاً مدبرة تسود أسرتها كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

«والمرأة سيدة بيتها»[2].

وبعد هذه المقدمة التي بينت تعامل الإسلام مع البنت في مختلف مراحل حياتها صار من المناسب الاطلاع على حقوقها لكي يقف القارئ الكريم على عظمة هذا الدين الحنيف وسماحته.

حقوق المرأة قبل الزواج

إن العناية التي أولاها الإسلام المرأة نابعة من اعترافه بدورها الكبير في بناء المجتمع وصيانة الأسرة وهداية الأجيال وقبل أن نسترسل في سرد حقوق المرأة ينبغي أن نقف بشكل موجز على نظرة الإسلام لها بالقياس إلى نظرة المدارس الفكرية والفلسفات التي تعدّ المرأة مخلوقاً مذموماً ناقصاً وهذا مما يرفضه الإسلام رفضاً كاملاً بل يؤكد عكس ذلك من خلال الآتي :

---

(١) التفسير المعين : ص٢٧٣.

(٢) لسان العرب لابن المنظور : ج ٣، ص ٢٢٩.

١. لا ينظر الإسلام إلى المرأة على أنها مخلوق ناقص في خلقته أو روحه أو قواه العقلية بل إنها صاحبة عقل ورأي محترم.

٢. لا ينظر الإسلام إلى المرأة على أنها عنصر ضعيف ليس له القدرة على إنجاز مسؤوليتها بل يراها مدبرة وميسرة لأمور الحياة ولاسيما عند غياب الرجل عنها وهناك الكثير من الشواهد على ذلك ومن أوضح صور التدبير ما عكسته السيدة زينب عليها السلام في واقعة الطف الأليمة.

٣. لا يذم الإسلام المرأة بل ذكرها القرآن الكريم وهي في أعلى رتب العفة والطهر كما في حق مريم العذراء وآسيا بنت مزاحم، وأما التي استحقت الذم فهي التي تجاوزت حدود الله تعالى كما امرأة لوط عليه السلام.

٤. يراها موجوداً خيراً وصالحاً على عكس ما تراه الأفكار القديمة بأنها موجود نحس لا قيمة له و لا حق في الحياة.

٥. أنها وسيلة من وسائل دخول الجنة وبهذا ترتفع إلى مصاف الوسائل الأخرى وتندرج تحت الآية الكريمة:

﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[1].

فلذلك جاء الحديث النبوي صريحاً بهذا:

«من ولدت له ابنة فلم يؤذها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة»[2].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

(٢) التفسير المعين: ص٢٧٣.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

٦. أنها أنس لوالديها في وقت يكون الوالدان في أمس الحاجة إلى المؤانسة وهذا ما حصل للسيدة خديجة الكبرى عندما هجرتها نساء قريش بعد زواجها برسول الله ﷺ :

«لا تكرهوا البنات فإنهن المؤنسات الغاليات»(١).

٧. أنها تستحق الرأفة الإلهية أكثر مما يستحقه الذكر وهذا دليل الرعاية الإلهية الخاصة لهذا المخلوق الرقيق لكي يؤدي دوره على أكمل وجه، وهذا ما أشار إليه خاتم الأنبياء ﷺ بقوله :

«إن الله تبارك وتعالى على الإناث أرأف منه على الذكور وما من رجل يدخل فرحة على امرأة بينه وبينها حرمة إلا فرحه الله تعالى يوم القيامة»(٢).

ونستشف من هذه النظرة الرائعة للمرأة مكانتها في الإسلام، ونطلع على الرعاية الإلهية لها، ومما يكمل هذه النظرة معرفتنا الحقوق التي كفلها الإسلام للمرأة قبل الزواج وهي تعيش في كنف والديها، ومن هذه الحقوق مايأتي :

حق التربية

بما أن المرأة صنو الرجل في التكوين، وشريكته في العيش ضمن نطاق الأسرة البشرية بل هي الوعاء الأوحد الذي يحتضن النسل منذ طور النطفة حتى طور البلوغ، فلا بد من أن تنال حقها في التربية والإرشاد والتوجيه في كل المجالات الحياتية ابتداء بالمجال الروحي والنفسي ومروراً بالمجال الثقافي والاجتماعي

(١) التفسير المعين : ص٢٧٣.

(٢) المصدر نفسه.

والسياسي وانتهاءً بالمجال الأخلاقي، ولابد من الاهتمام بتطوير استعداداتها وقابلياتها لكي تتحمل مسؤوليتها التي أنيطت بها، حتى تكون امرأة واعية ناضجة وأُمّاً صالحة وزوجة وفية فلذلك أكد الرسول الأكرم بسيرته قبل قوله على تربية الفتاة وهذا من خلال تربيته لبناته ولاسيما السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ومن خلال قوله الشريف:

«من كان له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وأحسن غذاءها وأسبغ عليها من النعم التي أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة»[1].

ففي هذا الحديث الشريف حث كامل على تربية البنت ورفدها بأحسن الآداب ولاشك في أن المراد من الآداب التي ذكرت في الحديث هي آداب الإسلام التي هي يعنيها آداب أهل البيت عليهم السلام لأنها أحسن الآداب لصدورها من النبع الصافي النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال:

«أدبني ربي فأحسن تأديبي»[2].

بعد أن أكد على الاعتناء بالجانب الروحي الذي هو المقياس الحقيقي للفرد المسلم.

أشار الحديث إلى الاعتناء بالجانب المادي وصرح بدور الغذاء الذي يشارك في بناء شخصية الفتاة، واشترط أن يكون غذاء حسناً أي غذاء حلالاً طيباً لما للقمة الحلال من تأثير في نشأة الإنسان نشأةً طاهرة سوية، وأردف بضرورة الإحسان إلى

---

(١) تربية الفتاة: ص٦٧.

(٢) تفسير نور الثقلين: ج٥، ص ٣٩٢.

هذه الفتاة من خلال الإسباغ عليها بالنعم التي أنعمها الله تعالى على الأب، وهذه إشارة إلى إدخال السرور على قلب الفتاة ليكسبها راحة نفسية مستقرة تساعد على نموها نمواً سليماً بعيداً عن العقد والأمراض النفسية.

ولكي نقف وقوفاً تاماً على ضرورة تربية البنت لابد من الإجابة على بعض الأسئلة التي تطرح بشكل موجز.

السؤال الأول: ما الغاية من تربية البنت؟

الجواب: لكي نؤدي حقها الشرعي الذي أوجبه الله تعالى علينا بقوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ...﴾(١).

ومن أهل الرجل ابنته، ولكي نسهم في رفد المجتمع بعنصر صالح يشارك في إعداد الأجيال القادمة وذلك بتهيئتها كزوجة كفء لزوجها وكأم راعية لأولادها وكإنسان يلعب دوراً ثقافياً واقتصادياً وسياسياً مهماً ينتج عنه فائدة مجتمعها، كما انها تحفظ بذلك دينها.

السؤال الثاني: ما هو الضرر الذي يلحقنا لو أهملنا تربيتها؟.

الجواب: من الأضرار البغيضة التي تقع علينا هو ممارستنا للظلم، ولا يخفى على أحد ما في الظلم من أضرار على الظالم أولاً وعلى المظلوم ثانياً وفي كلتا الدارين دار الدنيا ودار الآخرة، ومن الأضرار التي لا تقل خطورة عن سابقتها هو حرمان المجتمع من نصفه الثاني وفاعليته، مما يترك فراغاً كبيراً لا يستطيع الرجل إملاءه ومن ثم نضطر للعيش في وسط اجتماعي مضطرب.

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.

حق العلم

وهو الحق الثاني من حيث الأهمية وقد تقدم الحديث عنه فيما سبق.

الحق المالي

جعل الإسلام للمرأة حقاً مالياً في ذمة والديها أو زوجها أو أولادها، وهذا ضمان اجتماعي كفله الإسلام لهذه الإنسانة حفاظاً على كرامتها التي منحها الله تعالى إياها بقوله:

﴿...وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ...﴾[1].

ولكي تعيش شعوراً بأنها مالكة وقادرة على التصرف في هذا المال ولها الخيار الكامل في أن تضعه أين ما تشاء دون أن يخالف ذلك التصرف شرعاً أو قانوناً، ومما يتفرع على هذا الحق حقوق أخرى كحق البيع والشراء والإجارة والهبة والصدقة وغير ذلك، كما يتفرع على حقها المالي حق الدفاع عن مالها وعن نفسها بمالها، ومما يلحق بهذا الحق حق المرأة في الميراث بما يناسب مسؤوليتها وينسجم مع حاجتها، وهذا ما يبرر إعطاءها نصف حصة الرجل لما على الرجل من واجبات مالية لا يستطيع أن يفي بها لو تساوى عطاؤه مع عطاء المرأة، ومما يدل على أن لها حقاً مالياً قوله تعالى:

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾[2].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٣.

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

حق الميراث

من أوضح العطاءات الإسلامية وأوسعها حق المرأة في الميراث سواء أكانت أماً أم بنتاً أم أختاً أم زوجة، وما هذا العطاء إلا من أجل ضمان سد حاجة المرأة المالية والارتفاع بها عن ذل الاستجداء أو سلوك الطرق المنحرفة فضلاً عن الحكمة الخافية في هذا التشريع.

فلقد كفل الإسلام الحق المالي للأم في مال أولادها الذين يتوفاهم الله تعالى في حياتها كما جاء في قوله تعالى:

﴿... فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ...﴾(١).

وفي موضع آخر يبين حصة الأم من ولدها مع وجود غيرها كما في قوله تعالى:

﴿... فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ...﴾(٢).

وكفل أيضاً حق المرأة وهي بنت للمتوفي فجعل لها شراكة في الإرث الذي يرثه الأولاد الذكور كما في قوله تعالى:

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ...﴾(٣).

كما أشار الإسلام إلى حصة الزوجة من ارث زوجها في حال كان له أولاد أو لم يكن له ذلك كما في قوله تعالى:

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١.

﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖ﴾(١).

عند التفتيش عن حصة أخت الزوج المتوفى نجد الآية الشريفة تعلن حصتها بكل وضوح ودون أدنى غبن كما في قوله تعالى:

﴿... إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَ ...﴾(٢).

فهذا ما ورد في القرآن الكريم كمحل شاهد لما أشرنا إليه.

أما ما جاء في الأحاديث الشريفة والكتب الفقهية فكثير جداً لا حاجة لذكره ولاسيما إذا كانت غايتنا المرور على حقوق المرأة بشكل سريع ليتسنى للقارئ الكريم معرفة مكانة المرأة في الإسلام.

حق العمل

من الحقوق التي نالتها المرأة في ظل الإسلام الحنيف حقها في العمل أسوة بأخيها الرجل، فلا شيء من الأعمال المباحة شرعاً للرجال إلا وللمرأة نفس الرخصة فيها، إذ إن الشرع لم يبح للرجل عملاً ويحرمه على المرأة إذ لا فرق بين الرجل والمرأة في الحلال والحرام إلا في بعض الخصوصيات الخاصة بأحدهما دون الآخر، ومما أرشد إليه الإسلام كنصيحة تنسجم مع شخصية المرأة هو أن تركز على الأعمال التي تلائم فطرتها كمهنة الطب أو التعليم أو بعض الحرف اليدوية كما يظهر هذا من حوار أمير المؤمنين عليه السلام مع أم الحسن النخعية حيث تقول: مرَ

(١) سورة النساء، الآية: ١٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧٦.

بي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال عليه السلام :

«**أي شيء تصنعين يا أم الحسن؟**.

قالت : غزل، قال :

أما انه أحل الكسب»[1].

وعندما نتأمل هذا الحديث الشريف نستنتج منه أموراً يمكن الاستفادة منها في حث المرأة على العمل الملائم لفطرتها، ومنها :

أ . أن الإمام عليه السلام أجاز التدخل لنفسه فيما لا يعني غيره لأنه إمام الرعية ويعنيه ما هم عليه.

ب . نادى المرأة بأحب ما يروق لها لما صدر منه من حث الناس على أن تنادي أخاك بأحب الأسماء إليه.

ج . لا تقتصر الكنية على الرجال، فإن المرأة شريكة الرجل في ذلك.

د . أن الغزل من الأعمال التي تلائم فطرة المرأة ولو كان غير ذلك لأرشدها إلى ما هو أفضل.

هـ . أن الغزل من الأعمال المستحبة للمرأة وهذا يثبت خطأ الرأي القائل بأن الحياكة منقصة لكل الناس.

و . أن الغزل من أفضل أنواع الكسب الحلال بل هو من طيبات الكسب كما تخبر عن ذلك أم بكر في هذا الحديث :

«عن محمد بن خالد الضبي قال : مر إبراهيم النخعي على امرأة وهي جالسة على باب دارها، وكان يقال لها : أم بكر وفي يدها مغزل تغزل به، فقال لها : يا أم

(١) وسائل الشيعة : ج ١٧، ص ٢٣٦، باب استحباب الغزل.

بكر أما كبرت أما آن لك أن تضعي هذا المغزل؟ فقالت: وكيف أضعه وقد سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول:

«**هو من طيبات الكسب**»[1].

فإن دلالة الحديث على العمل الحلال ولا سيما الغزل منه دلالة واضحة، كما أن الحديث يبين لنا أن المرأة العاملة في عبادة طالما تعمل عملاً طيباً كالغزل الذي أثنى عليه أمير المؤمنين عليه السلام.

يتضح من سياق الأحاديث الشريفة أن العمل الذي رخصه الإسلام للمرأة ما كان حلالاً طيباً، وأما اذا لم يكن كذلك فهو يدخل في دائرة المكروه أو الحرام كما يرشد إلى ذلك الحديث الشريف «عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

جاءت زينب العطارة الحولاء إلى نساء النبي صلى الله عليه وآله وبناته وكانت تبيع لهن العطر، فجاء النبي صلى الله عليه وآله وهي عندهن، فقال: إذا أتيتنا طابت بيوتنا، فقالت بيوتك بريحك أطيب يا رسول الله، قال: اذا بعت فأحسني ولا تغشي فإنه اتقى وأبقى للمال...»[2].

ومما يرشد إليه الحديث أن العمل الحرام لا فائدة فيه ولا يبقى ماله بل يذهب بسرعة الريح، ويصرح الحديث كذلك بجواز بيع العطور للنساء أو بيع كل ما يخص المرأة من قبل المرأة لما في ذلك من حفاظ على العفة سواء كان ذلك للبائعة أو ذلك للمشترية، وهذا ما يشجع على فتح محلات الزينة من قبل النساء وبشروط شرعية تحفظ مقام المرأة المؤمنة بائعة كانت أو مشترية، وكما أن الإسلام حرص على

(١) وسائل الشيعة: ج ١٧، ص ٢٣٦. باب استحباب الغزل.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٧، ص ٢٨١، باب تحريم الغش ج٦.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

إعطاء المرأة حقها في العمل الحلال حرص أيضاً على إبعادها عن العمل الحرام كالغناء أو الرقص في الملاهي أو ما شابه ذلك من أعمال تجعل المرأة سلعة رخيصة للمتعة والتلهي وهذا ما أكده الحديث الشريف: «عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن كسب المغنيات؟ فقال:

التي يدخل عليها الرجال حرام...»[١].

بل لعنت المرأة التي تكون وسيلة لإفساد المجتمع المؤمن كما ورد ذلك في قول: «نضر بن قابوس قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

المغنية ملعونة، ملعون من أكل كسبها»[٢].

وقفة إرشادية

هنالك أعمال باطلة مخالفة للشرع المقدس ينبغي محاربتها وإرشاد من يتعاطاها من النساء بالكف عنها لأنها علامة تدل على تخلف الشعوب وابتعادها عن الواقع والموضوعية، كما أنها مدعاة لسخط الرحمن فيخسر من يمارسها في الدنيا والآخرة، فلذا أرى الفرصة مؤاتية للنهي عنها وتعريتها لما لها من انتشار في مجتمعاتنا المعاصرة، وعندما نخص النساء بذلك فهو لأننا نتحدث عن النساء ولا نريد القول إن هذا العمل لا يمارسه الرجال بل هنالك الكثير منهم من يعمل مثل هذه الأعمال.

ومن هذه الأعمال:

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٧، ص ١٢٠، باب تحريم كسب المغنية.

(٢) المصدر نفسه.

كسب النائحة بالباطل

من النساء التي تنوح بالحق ومنها ما تنوح بالباطل وهذا ما حرمه الشرع المقدس لأنه مخالف للواقع ويسوده الكذب والمدح في غير محله وبلا استحقاق، ومما يذكر حرمة بطلان النوح بالباطل إضافة إلى فتوى العلماء الذين استندوا إلى أدلتهم الصحيحة ما ورد عن النبي ﷺ في حديث شريف:

«... وأن النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من حرب»(١).

التكسب بعمل السحر

لا خلاف بين المسلمين على حرمة السحر وحرمة العمل به وهو من كبائر الذنوب التي توجب القتل كما ورد عن رسول الله ﷺ:

«ساحر المسلمين يقتل وساحر الكفار لا يقتل، قيل يا رسول الله لم لا يقتل ساحر الكفار؟ قال: لأن الشرك أعظم من السحر، لأن السحر والشرك مقرونان»(٢).

فإذا كان السحر بمستوى الشرك فهو الظلم العظيم الذي يرتكبه المرء كما جاء ذلك في قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٣).

فلِمَ تلجأ بعض النساء إليه في حل مشاكلهن؟.

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١٧، ص ١٢٠، باب جواز كسب النائحة بالحق لا بالباطل.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٧، ص ١٢٠، باب تحريم تعلم السحر.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٣.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

أليس مما يرعب العاقل المؤمن ما ورد في الأحاديث الشريفة التي بينت فداحة هذه الجريمة التي تهدم البيوت والأسر وتشتت الأحبة وتقطع الأرحام وتمحق الأرزاق؟.

فلقد ورد عن النبي ﷺ:

«ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر ومدمن السحر وقاطع رحم...»[١].

فالذي تعلم السحر وعمل به ومات على ذلك ولم يتب فهو من المدمنين على السحر الذين لا يحق لهم دخول الجنة.

وورد أيضاً: «عن أبي جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن أبيه أن علياً عليه السلام قال:

من تعلم شيئاً من السحر قليلاً أو كثيراً فقد كفر، وكان آخر عهده بربه، وحدّه أن يقتل إلا أن يتوب»[٢].

ولا نريد أن يطول بنا المقام في الحديث عن السحر وإلا لأفردنا له بحثاً خاصاً به.

الكهانة

من الأعمال التي تمارسها بعض النساء وتروج لها عمل الكهانة أو ما يسمى (بالعرافة)، وهذا من الأعمال الشائعة التي نهى عنها الإسلام الحنيف، ولكي يتضح مفهوم الكهانة فقد عرفه العلماء بأنه الإخبار عن المغيبات، بزعم أنه يخبره بها بعض الجان، فهي حرام وحرام التكسب بها والرجوع إلى الكاهن وتصديقه فيما يقول[٣].

(١) وسائل الشيعة: ج 12، ص ١٠٧، باب تحريم تعلم السحر.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٧، ص ١٤٨، باب تحريم تعلم السحر.

(٣) منهاج الصالحين، السيد السيستاني، المعاملات: ص ١٤.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وهذا ما اتفق عليه علماء المسلمين بناء على قول رسول الإسلام المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فلقد ورد عن الهيثم قال:

«قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن عندنا رجلاً ربما أخبر من يأتيه يسأله عن شيء يسرق أو شبه ذلك فنسأله، فقال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

من مشى إلى ساحر أو كاهن أو كذّاب يصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل الله من كتاب»[1].

ختاماً لما تقدم من حق المرأة في العمل نذكر أن المرأة لها حق العمل في تأجير نفسها ولكن بشرط أن لا ينافي حق الزوج فيما إذا كانت متزوجة وفي كل مجالات العمل المباح كالمضاربة والمزارعة والمساقاة وغير ذلك من الأعمال.

الحق السياسي

أعطى الإسلام للمرأة حقها السياسي من خلال مشاركتها في جميع النشاطات السياسية كالترشيح للبرلمانات أو المنظمات أو غيرها، ولها حق الانتخاب والمشاركة في اختيار رئيس الدولة أو ممثلي الشعب، وما الصورة التي يحدثنا القرآن الكريم عنها إلا مصداق واضح يدل على مشاركة المرأة في الأمور الأساسية للحالة السياسية للأمة كما في قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[2].

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١٧، ص ١٥٠، باب تحريم إثبات العراف.

(٢) سورة المتحنة، الآية: ١٢.

فهذه الآية الكريمة لا تفرق بين بيعة الرجل والمرأة لإمام الأمة ورئيسها، ولكي تكون المرأة عضواً نافعاً في الأمة تؤدي دورها بما هو مطلوب ومناسب لابد أن تأخذ بنظر الاعتبار تربيتها سياسياً وإشراكها في الجوانب السياسية لتحقيق المصلحة الكبرى وهذا ما حصل في صدر الإسلام مع السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام عندما مارست دورها في الدفاع عن الإمام والإمامة الإلهية الحقة وتلتها ابنتها زينب العقيلة التي أخذت على عانقها حماية ثمار ثورة أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام.

حق اختيار الزوج

من الحقوق التي منحها الإسلام للمرأة حق اختيار من تريد الاقتران به والمشاركة معه في بناء بيت يملؤهُ الحب والاحترام وتكوين أسرة نموذجية، ولا يجوز لأي أحد أن يُكره المرأة على الاقتران برجل لا تريده زوجاً وإن كان وليها، وسواء أكانت هذه المرأة بكراً أم ثيباً، ومما يؤكد هذا قوله صلى الله عليه وآله وسلم في صحيح مسلم:

«لاتنكح الأيّم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن»(١).

والمراد بالأيِّم هي الثيب أي المرأة التي سبق لها أن تزوجت فطلقت أو ترملت فهذه لها الحق الكامل في تزويج نفسها من تريد لما لها من النضوج والخبرة، وأما المرأة البكر فهي التي لم يسبق لها التزوج بأحد من قبل والتي لم تكن مطلعة على أحوال الرجال فتحتاج إلى من يعينها على أمر زواجها، أما لو كانت عارفة بأحوالهم وصفاتهم فلها الاختيار الكامل في الرضا والرفض سواء عبرت بالنطق أو بالإشارة أو بالسكوت، ومن الصور الرائعة التي ذكرت في هذا الأمر ما جرى بين الأسوة الحسنة سيد الرسل صلى الله عليه وآله وسلم وبين السيدة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام ابنته وشمامته.

---

(١) صحيح مسلم: ج٤، ص ١٤٠، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت.

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

فعن الضحاك بن مزاحم قال:

سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول:

وأن ذكر حديث تزويج فاطمة عليها السلام وأنه طلبها من رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا علي، إنه قد ذكرها قبلك رجال فذكرت ذلك لها فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن على رسلك حتى أخرج إليك، فدخل عليها فأخبرها وقال: إن علياً قد ذكر من أمرك شيئاً فما ترين؟ فسكتت ولم تول وجهها ولم ير فيه رسول الله صلى الله عليه وآله كراهة، فقام وهو يقول: الله أكبر سكوتها إقرارها الحديث[1].

ولو عرضنا هذا الحديث الرائع على من يدعي الحرية ويطالب بحقوق المرأة لانحنى إجلالاً لمضامينه ولقبّل اسم رسول الله صلى الله عليه وآله على هذه الحرية وهذا الإكرام لعنوان المرأة، ففي الحديث أسمى صور الصدق في التعامل مع الخاطب وهو يقول له: «**انه قد ذكرها قبلك رجال**» وإني لا أتجاوز رأيها مع أني رسول الله ولي الولاية على كل المسلمين فلذلك يقول: «**فذكرت ذلك لها فرأيت الكراهة في وجهها**» وعلى هذا الأساس الأخلاقي الكبير دعني أسالها رأيها «**ولكن على رسلك حتى أخرج إليك، فدخل عليها فأخبرها...**» ولما أخبرها ورأى علامة رضاها وعدم وجود الكراهة في وجهها خرج مسروراً لأنه صلى الله عليه وآله كان راغباً في علي عليه السلام أيضاً إلا أنه لابد من رضاها وهاهي قد رضيت دون أن يجبرها أبوها ووليها ودون أن يُلجئها لذلك أو حتى أن يشير بالإيحاء، وإن دل هذا على شيء إنما يدل على سعة حرية المرأة في اختيار زوجها.

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٢٠٦، باب أن يكفي في استئذان البكر سكوتها.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

نصيحة

لابد أن يبتني اختيار الزوج على أسس صحيحة وشرعية وليس هناك أسس أصح من الأسس التي بينها الإسلام الحنيف، فلقد حدّد الإسلام خصائص الرجل الذي يكون زوجاً للمرأة المؤمنة، ولكي تنعم هذه المرأة بحياة هانئة وهادئة وبعيدة عن الظلم والأذى فقد ذكر رسول الله ﷺ صفتين أساسيتين تندرج تحتها جميع الفضائل والكمالات التي تحتاجها الحياة الزوجية الناجحة، فقال ﷺ :

«إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»(١).

فلا شك في نجاح هذه العلقة الشريفة عندما يكون طرفاها من الصالحين والفضلاء الذين تهذبوا بأخلاق الإسلام العظيم، فإن وجدت المرأة العاقلة المؤمنة رجلاً متديناً خلوقاً قليل المال، وآخر ميسوراً فاقداً للخلق والدين فعليها القبول بمن يتصف بالدين والأخلاق لما فيه صلاحها في الدنيا والآخرة، وهذا الرسول الأكرم ﷺ. نهي عن تزويج شارب الخمر كما في قوله ﷺ :

«شارب الخمر لا يزوج إذا خطب»(٢).

لما في شرب الخمر من ضرر عليها وعلى أسرتها بل يكون سبباً في قطع رحمها وتشتيت أحبتها وهذا ما ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام :

«من زوج كريمته من شارب خمر فقد قطع رحمها»(٣).

---

(١) وسائل الشيعة : ج ١٤، ص ٥١، باب أنه يستحب للمرأة اختيار الزوج.

(٢) وسائل الشيعة : ج ١٩، ص ٨٣، باب كراهة تزويج شارب الخمر.

(٣) المصدر نفسه.

وهناك إشارة إلى صنف آخر من الأزواج الذين يفتقدون صفات الرجولة والصفات التي تؤهلهم أن يكونوا آباءً صالحين كالمخنثين المتشبهين بالنساء كما جاء على لسان أهل البيت عليهم السلام وهذا ما ذكره عبد الله بن الحسن عن جده علي بن جعفر عن أخيه قال: «سألته: أن أزوج ابنتي غلاماً فيه لين وأبوه لا بأس به؟ قال:

إذا لم يكن فاحشة فزوجه، يعني الخنث»[1].

ولعل هذا الحديث يوجه إلى المؤمنات اللاتي يتأثرن بوسامة الشاب دون سبر أغواره ومعرفة أسراره وصفاته، كما لا يخلو من جنبة نفسية تبين أن المرأة العاقلة الصالحة التي لم تفسد فطرتها لا يلائِمُها إلا شاب مُلِئ رجولة وحزماً وقوة، واتصف بما يتصف به الرجال عادة لا بما تتصف به النساء، فإن المرأة تميل إلى المنافر لا إلى المشابه كما أن الرجل يميل إلى المرأة الأنثى لا إلى المرأة التي تتشبه بالرجال.

حق الزوجة

حرصاً من الإسلام العظيم على بناء بيت الزوجية بناءً صحيحاً وعلى أسس واضحة وسليمة، ولكي يؤكد الرابطة المقدسة بين الرجل والمرأة رسم منهجاً رائعاً يسير عليه الرجل والمرأة معاً.

ومن أدل الآيات التي تدل على حفظ الحق بين الطرفين قوله تعالى:

﴿... وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ....﴾[2].

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٥٤، باب تزوج سيّئ الخلق والمخنث.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

فيتضح من هذه الآية الكريمة أن للمرأة حقها الشرعي على زوجها كما أن لزوجها حقاً عليها، ولو تأملنا في هذه الآية الشريفة لوجدنا أن الإسلام فرض للمرأة حقها قبل أن يفرض لزوجها وذلك بتقديم قوله ﴿وَلَهُنَّ﴾ على قوله ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ رعاية منه لهذا المخلوق الرقيق وحماية له من الظلم أو الغبن، والذي يتصفح النهج الإسلامي ويستقرئ تنظيم الإسلام للعلاقة الزوجية يلمس بوضوح حرص الإسلام على بناء علاقة زوجية تسودها المودة والرحمة والمعروف وحسن العشرة وخير ما يدل على ذلك قوله تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾(١).

فالمودة التي تتكلم عنها الآية الشريفة هي المحبة المؤطرة بالطاعة من قبل المرأة لزوجها، والرحمة: هي المحبة المؤطرة بالرعاية والحنو والعطف من قبل الزوج لزوجته وبهذه المودة وتلك الرحمة يتحقق السكن والاطمئنان واستقرار البال وهدوء الحال وصفو العيش.

فبما أن الحديث عن حقوق الزوجة فقط لابد أن نقف على ما منحه الإسلام وأقره لها وما أوجبه على الرجل:

أ. حق النفقة

أوجب الإسلام على الرجل نفقة للمرأة سواء كانت زوجة أم أماً أم بنتاً، فإن الرجل مسؤول عن توفير ما تحتاجه المرأة من طعام ولباس وسكن وضروريات

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

العلاج أو وسائل الزينة بل كل ما يناسب وضعها الاجتماعي فالمرأة إذا كانت أما فقيرة ليس لها معيل يعيلها وولدها قادر على ذلك فيجب عليه توفير ما تحتاجه، كذلك البنت الفقيرة أو القاصرة فإن أباها هو الذي يتكفل بنفقتها، وأما إذا كانت المرأة زوجة فيجب على زوجها كل ما يسمى نفقة بل تقدم نفقتها على الأرحام الآخرين، وما ورد في الآية الشريفة:

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[(١)].

صريح وواضح وواسع، ولكي نقف على ما جاء في كتب الفقه فلنقرأ ما قاله العلماء المقدسون في رسائلهم العملية بخصوص نفقة الزوجة الدائمة «أما نفقة الزوجة الدائمة فتجب على الزوج وهي الإطعام والكسوة والسكن والفراش والغطاء وآلة التنظيف وسائر ما تحتاج إليه بحسب حالها...»[(٢)] بل تتسع النفقة الواجبة إلى ابعد ممّا ذكر كما في قولهم «اذا استصحب الزوج زوجته في سفر كانت نفقتها عليه وان كانت نفقتها أكثر من نفقتها في الحضر...»[(٣)] ولكي لا نتسع في هذا الموضوع فإني أحيل القارئ الكريم إلى الرسائل العملية الفقهية للعلماء الأعلام.

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٦ ـ ٧.

(٢) المعاملات السيد الخوئي: ص٢٨٧.

(٣) المعاملات السيد السيستاني: ص١٢٤.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ب. حسن المعاشرة

هو الركن الثاني الذي يعتمد عليه البيت الزوجي المتين لتحقيق الحياة الزوجية السعيدة، وما صرحت به الآية الكريمة:

﴿... وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ...﴾[1].

يدعو بصراحة مطلقة إلى وجوب حسن المعاشرة لما فيها من الأمر الظاهر في الوجوب، وبمخالفة ما دعت إليه الآية الكريمة لا تستقيم الحياة الزوجية ولا يهنأ أحد الزوجين بالآخر لما يحصل من النفرة بينهما بسبب سوء العشرة وغلظة الأخلاق التي صدرت من الرجل.

فإن الحياة الزوجية السليمة والموافقة للشرع المقدس هي ما كانت إمساكاً بمعروف، وأما اذا كانت غير ذلك فلابد أن تكون تسريحاً بإحسان وهذا ما صرّحت به الآية الشريفة:

﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾[2].

ومما حث عليه رسول الإنسانية والرحمة الإلهية ﷺ هو أن يتعامل الزوج بأعلى درجات العشرة الحسنة بحيث لا يصدر منه إلا ما هو خير لزوجته، سواء كان ذلك على مستوى الكلام أو الفعل وفي كل مفردة من مفردات العلاقة الزوجية وهذا ما يتضمنه قوله ﷺ:

«ألا خيركم خيركم لنسائه، وأنا خيركم لنسائي»[3].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٤ ص١٢٢ باب استحباب الإحسان إلى الزوجة.

وصدق الرسول الكريم ﷺ في وصفه نفسه فلقد كان الأسوة الحسنة في عشرته وحياته الشخصية حتى قالت إحدى زوجاته «كان خلقه القرآن»[1].

فالحياة الزوجية لا تكون سكناً ولا تحقق اطمئناناً إذا لم تسُدْها المودّة والرحمة، ولكي يجد الرجل راحته وينعم باستقرار باله ويعيش الحب والحنان لابد أن يعاشر زوجته بالحسنى.

ومن الوسائل الرائعة التي تضفي السرور على أجواء الأسرة وتحقق الاستقرار النفسي للمرأة وتشبع الحالة الجمالية لديها وتوحي لها بالثقة الكبيرة هي قول الرجل لزوجته «أحبّكِ» وهذا ما أرشدنا إليه الزوج القدوة والرسول الأسوة ﷺ بقوله:

«قول الرجل للمرأة إني أحبّكِ لا يذهب من قلبها أبداً»[2].

فإن لهذه الكلمة فعلها السحري على قلب المرأة بل انها تضمن للرجل زوجة وفية محبة لزوجها وحبيبها، فلا يبخل العاقل بقولها اذا اراد السعادة الزوجية، فان لم يكن كذلك في مشاعره الباطنة فليطيب لها الكلام بقوله «أحبّكِ» قاصداً بحبها أنها امرأة مؤمنة تستحق الحب في الله تعالى والمداراة، لأن مدارة الناس من الدين، فبهذه المداراة يصفو له العيش ويكسب الأجر الكبير لأن مداراة الناس من الدين وهذا ما يؤكده الحديث الشريف للرسول الأكرم ﷺ:

«أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بالفرائض»[3].

---

(١) منتخب الفضائل، مسند أحمد: ٧ / ٢٣٤.

(٢) وسائل الشيعة : ج ٢٠، ص٢٣.

(٣) وسائل الشيعة، عن تفسير المعين: ص٣٦٥.

وعلى المؤمن أن لا يجد في نفسه حرجاً من حبه لزوجته وتصريحه بذلك فان حب النساء من الإيمان الذي أكده النبي المصطفى ﷺ بقوله:

«**كلما ازداد العبد إيماناً ازداد حباً للنساء**»[١].

ومراده من حب النساء ما وافق الشرع لا ما يخالفه، كما يحصل ذلك مع النساء الأجنبيات الذي يؤدي إلى هتك الأعراض وممارسة الشهوات المحرمة كالنظر المحرم والغزل واللمس وغير ذلك.

ومما يتفرع على حسن العشرة بين الزوجين الإشباع الغريزي الواعي البعيد عن السذاجة الجنسية وهذا ما يشير إليه الحديث الشريف:

«**ثلاثة من الجفاء: أن يصحب الرجل الرجل فلا يسأله عن اسمه وكنيته، وأن يدعى الرجل إلى الطعام فلا يجيب، أو يجيب فلا يأكل، ومواقعة الرجل أهله قبل الملاعبة**»[٢].

ومحل الشاهد في الحديث المقطع الأخير من النصيحة الإسلامية الرائعة «**ومواقعة الرجل أهله...**» فهذه العبارة الصريحة الواضحة التي تؤكد اهتمام الإسلام نابعة من عمق علمي في فهم نفسية المرأة والرجل معاً بل يتدرج الإسلام في التدخل إلى ابعد من هذا الحد فيقول:

«**إذا أراد أحدكم أن يأتي زوجته، فلا يعجلها، فإن للنساء حوائج**»[٣].

ما أروع رعاية الإسلام للمرأة وما اشد اهتمامه بها.

(١) التفسير المعين، عن البحار: ص٤٢٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص١٤٥ باب استحباب ملاعبة الزوجة.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٤ ص٨٣ باب استحباب ملاعبة الزوجة.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

حق الطلاق

الطلاق : هو انفصام العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة وذلك من خلال التسريح بإحسان من قبل الرجل.

من المكروهات والمبغوضات في الإسلام الطلاق فلقد ورد في الحديث الشريف :

«ما احل الله شيئاً ابغض إليه من الطلاق»[١].

وهو أمر وضع بيد الرجل لقيومية الرجل ولكن إذا أساء الرجل العشرة وترك الإنفاق فإنه يسلب هذا الحق لكي لا يقع على الزوجة ظلم أو تعسف وهذا ما اتفق عليه علماء المسلمين ومما ذكر في هذا الأمر قولهم : «إن الزوج إذا كان ممتنعاً من الإنفاق على زوجته مع استحقاقها النفقة عليه رفعت أمرها إلى الحاكم فيأمر زوجها بالإنفاق أو الطلاق فإن امتنع عن كليهما طلقها الحاكم...»[٢] كما أعطى الإسلام الحق للمرأة التي كرهت عشرة زوجها أن تطلب منه الطلاق مع البذل بما يرضيه ويسمى هذا في لغة الفقهاء الطلاق الخلعي وهناك تفريعات كثيرة نحيل طالبيها إلى كتب الفقه ونكتفي بما تقدم.

ومن الحقوق التي كفلها الإسلام للمرأة حق الأمان والإجارة فإذا أعطت المرأة أماناً أو أجارت أحداً من الأعداء المحاربين نفذ ذلك، وهذا ما تؤكده قصة أم هاني أخت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة :

---

(١) التفسير المعين : ص٩٩.

(٢) المعاملات، السيد الخوئي : ص٣٠١.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

«إنني أجرت رجلين من إحمائي، فقال النبي ﷺ قد أجرنا من أجرتِ يا أم هاني».

ومن الحقوق التي تتعلق بالنكاح حق المرأة في فسخ العقد عند اكتشاف أحد العيوب في الزوج مما يوجب الفسخ، وهناك حقوق أخرى تطلب من مظانها تركناها روماً للاختصار.

الإسلام يتجسد بالإمام الحسين عليه السلام

ختاماً لما تقدم من بيان مكانة المرأة في الإسلام تتضح مكانة المرأة عند الإمام الحسين عليه السلام الذي يمثل الإسلام الحقيقي والتام لما له من خواص اشتراك مع جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بل هو جزء لا يتجزأ وعضو لا ينفصل من النور المحمدي كما دل على ذلك قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«حسين مني وأنا من حسين»[(١)].

وما ورد من الحقوق الكاملة التي سنها الإسلام للمرأة سنراه واضحاً من خلال اطلاعنا على ما للمرأة عند السبط الشهيد عليه السلام وهذا ما سنتعرض له في الفصل الثاني.

(١) كشف اليقين، العلامة الحلي: ص٣٠٥.

الفصل الثاني

المرأة في حياة الإمام الحسين

عليه السلام

في حياة ريحانة الرسول وابن البتول الإمام السبط الشهيد عليه السلام مجموعة من النساء يختلفن في نسبتهن منه فمنهن من حملته وغذته وربته، ومنهن من قاسمته عيشه وأفراحه وأحزانه، ومنهن من عاشرته ورافقته وكانت له وفية مخلصة، ومنهن من عاشت في كنفه وتغذت من علمه ونمت ببركته، ومنهن من ضحت من أجله ونصرته واستشهدت بين يديه، ومنهن من تعاطفت معه ونصرت ثورته وأدانت أعداءه، ومنهن من نصبت عزاءه وبكته وجزعت لأجله، ومنهن من زارته وأقامت مأتمه وفدته ويبقى الإمام الحسين عليه السلام إماماً للمؤمنين والمؤمنات وقدوة في كل الكمالات ومناراً للصبر والشجاعة والرحمة.

فالمرور على هذه المجاميع وهذه النساء يطلعنا على علاقة الإمام عليه السلام بالمرأة الأم والأخت والزوجة والبنت والموالية والمتعاطفة والنائحة، ويطلعنا على صفحة أخرى من صفحات حياته الشريفة ويدلنا على شخصية الإمام الاجتماعية والشخصية ويوضح ويجلي الغبار الذي تركته معركة الطف على الصفحة

الاجتماعية من حياته الشريفة حيث كتب الكثيرون وبكى الجميع وناحت الأحبة على مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وصرخت الأمة الإسلامية المنصفة لمصابه الجلل مما أضفى على شخصية الإمام الحسين عليه السلام طابع التضحية والفداء والشهادة والألم والحزن واللوعة فأدى ذلك إلى طمس الجوانب الأخرى في حياته كبرّه لأمه السيدة الزهراء عليها السلام وحنوّه على أخواته وحسن عشرته مع زوجاته ورحمته ورأفته ببناته وأولاده، ووصل الأمر بالكاتب الذي يكتب عن الإمام الحسين عليه السلام أن يمر على حياته الاجتماعية مرور الكرام أو بشكل موجز لا يظهر الجانب الآخر من شخصيته الكريمة.

فرأيت من الوفاء للإمام عليه السلام أن نعرِّف للأمة بأدبه وعشرته مع المرأة القريبة والبعيدة على حد سواء لكي يطلع الجميع على هذه الحقيقة الرائعة ألا وهي إن الإمام الشهيد عليه السلام كبير وعظيم وعالٍ في حياته الاجتماعية كما هو في حياته الثورية والجهادية، ونريد أن نخاطب المناصرين للمرأة والمنادين بحقوقها من خلال طرح الخلق الإسلامي الرفيع المتجسد في القرآن الناطق العيني الذي هو الإمام المعصوم عليه السلام ونقول لهم بفم مليء، هذه مكانة المرأة في الإسلام.

كما إننا نوجه رسالة إلى من يقتدي بالإمام عليه السلام أن ينظر إلى حسن تعامل الإمام عليه السلام مع المرأة وأن يسير على نهجه في ذلك وفي نفس الوقت نقطع الطريق على من يتاجر بمظلومية المرأة في الديانات افتراءً وكذباً ونرشد النساء إلى إعمال مقارنة بين ما يدعو إليه الإمام الحسين عليه السلام في معاملة المرأة وبين الأفكار والنظريات التي تذهب بالمرأة بعيداً عن فطرتها السليمة وطهارتها الباطنية والظاهرية.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

الأم في حياة الإمام عليه السلام

أوصى الله سبحانه بالوالدين لبيان كرامتهما عنده وارشاد الأولاد إلى حفظ حقهما، ولشدة الرعاية الإلهية في ذلك قرن عبادته بالإحسان إليهما كما في قوله تعالى:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[1].

وأما في مقام شكر المنعم ورد الجميل ومجازاة الإحسان يربي الله سبحانه وتعالى عباده على ذلك فيقول:

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[2].

وتوالت الآيات الكريمة التي تؤكد احترام الوالدين والإحسان إليهما إلى حد بلغت كمال الحجة على الأولاد لكي لا يفر الولد من أداء حقهما، ثم جاءت الآيات الأخرى التي تعلمنا الدعاء لهما والرحمة بهما كما في قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ...﴾[3].

وخصت آيات أخرى الوالدة بعينها لبيان وجوب برها وتعظيمها كما في قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام روح الله وكلمته إلى أمه مريم:

﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[4].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٤.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٤١.

(٤) سورة مريم، الآية: ٣٢.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ولكي لا يقول قائل إن الآية إشارة إلى «أم» عيسى عليه السلام فقط لعدم وجود الأب، فتقول إن الآية الكريمة:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ... ﴾[1].

فيها إشارة إلى دور الأم وألمها وهذا ما أكده الحديث الشريف في محاورة الرجل الذي حج بأمه فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل وفيت حقها؟ أجابه صلى الله عليه وآله وسلم لَمْ توفِ طلقة من طلقاتها: «إن رجلاً حج بأمه فحملها على عاتقه فسأله، هل قضى حقها؟ قال:

لا ولا طلقة واحدة»[2].

وهناك من سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن بر الوالدين وبأيهما يبدأ فأجابه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ابدأ بأمك كما في هذا الحديث الشريف:

«**يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك**»[3].

فمما تقدم يتضح وجوب رعاية الأم والإحسان إليها على وجه الخصوص وهذا ما أكده الإسلام الحنيف الذي جسّده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أكمل صورة.

ولا عجب أن نرى تعامل الإمام الحسين عليه السلام مع والدته السيدة الزهراء الأم النسبية ومع أم البنين الأم الموالية وأم سلمة الأم القرآنية.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث: ج٣، ص ١٣٦.

(٣) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٤٩.

مع أمه الزهراء عليها السلام

علاقة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام بولدها الإمام الحسين عليه السلام ليس كعلاقة الأمهات بأولادهن وإن كانت مراحل العلاقة مشابهة لمراحل الأولاد الآخرين، أي عندما تبدأ علاقة الأم بولدها من مرحلة اختيار الأب الذي يصلح لهذا الوليد وتمر بمرحلة الحمل والولادة والتربية والعشرة وتنتهي بمرحلة الفراق والموت.

فلقد كانت مرحلة الوليد في رتبة اختيار الأب بالنسبة للإمام عليه السلام مرحلة كاملة لا يعيبها عيب لاختيار الله سبحانه الزوج الكفؤ للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ألا وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي عبر عنه الحديث القدسي بالنور وسمي هذا الارتباط المبارك بزواج النور من النور في السموات العلى فأثمر هذا الارتباط الإلهي المقدس أنواراً إلهية ثانيها نور الإمام الحسين عليه السلام وهذا ما أكدّه النور الأول وسيد الكائنات رسول الرحمة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«ثم فتق نور ولدي الحسين فخلق منه الجنة وحور العين، فنور ولدي الحسين أفضل من الجنة وحور العين»(١).

وهكذا المراحل الأخرى التي مر بها الإمام الحسين عليه السلام كانت تحت الاختبار والرعاية الإلهية بل كانت كل مرحلة من وجوده المقدس كرامةً بذاتها ومقدسة وطاهرة عن كل دنس ومعصومة من كل رجس، فلا عجب أن نرى وجوداً كالإمام الحسين عليه السلام يفيض رحمةً ورأفةً وإحساناً مع كل من عاشرهم وعاش في أكنافهم وتربى في حجورهم.

---

(١) تفسير كنز الدقائق، الميرزا محمد المشهدي: ج ٢، ص ٥٢٥.

فالإمام عليه السلام هو الإسلام والإسلام هو الإمام بل إن الإمام عليه السلام هو الوجود العيني للإسلام وللقرآن الكريم، فإذا كان الإمام الحسين عليه السلام بهذه الصورة المنيرة وهذه الصفة الواضحة للقرآن الكريم يكون حينئذ عين العدل والإحسان وعين الأدب الإلهي وعين البر والمعروف ومن ثم يتضح نوع العشرة التي عاشرها الإمام عليه السلام لأمه الصديقة ولأستاذته ومربيته فاطمة الزهراء عليها السلام.

ولكي نقف على شيء من التفصيل في فقرات حياته الكريمة مع أمه الزهراء عليها السلام ومع زوجة أبيه السيدة الطاهرة أم البنين ومع أمه القرآنية أم سلمة لابد أن نطلع على شذرات من خلقه مع هذه النساء الثلاث وكيف كان يتعامل معهن كأمهات وكمؤمنات، ولابد أن نقتدي به في عشرتنا مع أمهاتنا أيضاً.

السيدة فاطمة تبكي في فرحها

ورد في كتاب مدينة المعاجز ذكر الإمام الحسين عليه السلام وأحوال الولادة المباركة التي تدل على الرعاية الإلهية واليد الغيبية في إيجاد هذا الوجود الطاهر، وما ذكره ابن عباس فيه دلالة واضحة على ما أسلفنا حيث يقول:

«لما أراد الله تعالى أن يهب لفاطمة الزهراء الحسين عليهما السلام أوحى الله عز وجل للعيا أن اهبطي إلى دار الدنيا إلى بنت حبيبي محمد صلى الله عليه وآله... ـ إلى أن قال ـ وقالت لها: مرحباً بكِ يا بنت محمد كيف حالك؟.

قالت عليها السلام: **بخير.**

ولحق فاطمة عليها السلام الحياء من لعيا، ثم أن فاطمة ولدت الحسين في وقت الفجر، فقبلتها لعيا وقطعت سرته، ونشفته بمنديل من مناديل الجنة وقبلت عينيه... وقالت له: بارك الله فيك من مولود وبارك في والديك ـ إلى أن قال ـ ودخل

النبي ﷺ على فاطمة، فأقرأها من الله السلام، وقال لها:

يابنية سميه الحسين، فقد سماه الله الحسين.

فقالت: **من مولاي السلام وإليه يعود السلام، والسلام على جبرائيل.**

وهنأها النبي ﷺ وبكى.

فقالت: **يا أبتاه تهنئني وتبكي؟**

قال: **نعم يا بنيةِ آجرك الله في مولودك هذا.**

فشهقت شهقة وأخذت بالبكاء، وساعدتها لعيا ووصايفها، ثم قالت: **يا أبتاه من يقتل ولدي وقرة عيني وثمرة فؤادي؟**. قال: **شرذمة من أمتي يرجون شفاعتي لا أنالهم الله ذلك.**

قالت فاطمة عليها السلام: **خابت أمة قتلت ابن بنت نبيها...**»[1].

ولو تأملنا في هذا الحديث الذي تقشعر له الأبدان لا نستطيع أن نمنع أنفسنا من مشاركة النبي ﷺ وابنته المظلومة بالبكاء، أيصح أن تبكي النفساء في يوم ولادتها لولد ذكر مبارك؟.

أيجوز أن تكون خاتمة وليد مقدس طاهر من بطن طاهر وتربى في حجر طاهر القتل بهذه الصورة البشعة؟.

أيجوز أن يكافئ رسول الله ﷺ ونبي الرحمة ومنقذ العباد من الهلكة بهذه المكافأة؟.

أيجوز التعدي على حدود الله تعالى رغم معرفة الأمة بحدوده في أهل بيت نبيه ﷺ؟.

---

(١) مسند فاطمة: ص ٣١٤.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

تربيتها عليها السلام للإمام الحسين عليه السلام

لا نريد أن نتطرق إلى الصور الرائعة والمواقف المليئة بالحنو والعاطفة التي بدرت من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام تجاه أولادها جميعاً لضيق المقام، ولكن مادمنا في صدد بيان العلاقة بين السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وبين ولدها الإمام الحسين عليه السلام لا بد أن نقف على بعض الصور التي توضح عاطفة الأم ومدى علاقتها بولدها ولاسيما إذا كانت الأم فاطمة عليها السلام والولد الإمام الحسين عليه السلام.

بعد أن ذكرنا قصة بكائها في يوم ولادتها لوليدها المبارك الإمام الحسين عليه السلام نذكر رواية أخرى تبين حنوّ الأم وعاطفتها، وقلقها عند فقدانه فلقد جاء في مسند فاطمة «أن فاطمة أقبلت على أبيها رسول الله باكية في المسجد وهي تقول:

يا أبه وضعت الحسين في مهده، وأخذت في طحن الحب ساعة، فافتقدته، ولم أجده في مهده؟.

فهبط الأمين جبرائيل وقال:

يا رسول أبلغ فاطمة السلام وقل لها: فلتقر عيناها فان الحسين لم يصبه شيء وهو من المقربين... إلى أن قال... **والآن رددته وهو في المهد**»[1].

فكان اهتمام السيدة الصديقة بولدها ينتقش في ذهنه الشريف، ويتغذاه مع طعامه وينمو شعوره بحب هذه المدرسة الإلهية التي ما بخلت عليه بشيء من آداب الإسلام، ومما يذكر أيضاً أنها كانت تنقزه في أثناء طفولته وتقول له:

أنت شبيه بأبي   لست شبيها بعلي[2]

فلقد كان كل سلوك تسلكه الحوراء الإنسية عليها السلام مع ابنها له الأثر البالغ على

---

(١) مسند فاطمة: ص٣١٦.

(٢) مسند فاطمة الزهراء: ص ٣١٨.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

نفسيته الكريمة، وكل نفس تتنفسه هو بمثابة إشعاع ينير روحية الوليد المبارك، كيف لا وهي الرفيقة اللينة، وهي منبع السكينة والرحمة؟!

وفي الرواية التي تقول «إن سلمان، قال:

كانت فاطمة عليها السلام جالسة وقدامها رحى تطحن بها الشعير وعلى عمود الرحى دم سائل والحسين في ناحية الدار يتضور من الجوع، فقلت: يا بنت رسول الله دبرت كفاك وهذه فضة»؟!. فقالت:

أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله أن تكون الخدمة لها يوماً، فكان أمس يوم خدمتها.

قال: سلمان: إني مولى عتاقة، أما أن اطحن الشعير أو أسكّت الحسين لك.

قالت:

أنا بتسكيته أرفق وأنت تطحن الشعير...»[1].

لنا فيما تقدم الموعظة الكاملة التي تبني خلق المسلم رجلاً كان أو امرأة، فهذا الصحابي الجليل سلمان المحمدي لم يستحِ أن يجعل من نفسه خادماً لفاطمة الزهراء عليها السلام لعلمه بمكانتها ومكانة أهل البيت عليهم السلام ولم يستنكف أن يعمل عمل النساء من شؤون البيت لما فيه الثواب الجزيل، وفي هذه الرواية يتضح معنى الحديث النبوي الشريف الذي يقول:

«**جهاد المرأة حسن التبعل**»[2].

وتشرق روح الزهراء عليها السلام الإلهية على أرواح محبّيها وتعلّم المرأة المسلمة أداب الحياة الزوجية ودرجة التكافل بين أفراد الأسرة وعدم الترفع على خدمة

---

(١) مسند فاطمة الزهراء: ص ٣١٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٨، ص ١٠٧.

العائلة ولو كانت الخادمة فاطمة الزهراء عليها السلام.

إننا نغبط تلك الرحى التي لامست يد النور الإلهي المقدس، يد العفة والطهارة، يد الحوراء الإنسية عليها السلام ونهنئ عمود الرحى الذي تخنى بدم يدها الشريفة، ومن جهة أخرى نقول وا لهفاه عليك يا بنت المصطفى وعلى ولدك الإمام الحسين الذي شاركِكِ آلام الجوع.

ومما يصلح كحجة نحتج بها على النساء اللواتي اتخذن خادمات محتاجات للمال وقد أعوزهن الدهر لذلك بما جاء في هذه الرواية التي تبيّن مدى إنسانية الإسلام المتجسد برسول الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم وبابنته الزهراء عليها السلام، فما هذه المقاسمة في العمل مع خادمتها إلاّ دليل على إنسانية البيت النبوي ورحمة سيدة البيت فاطمة الزهراء عليها السلام.

ومما ذكر عن رعايتها للإمام الحسين عليه السلام كانت تحرص على إظهار التبري من قاتل الحسين عليه السلام لتثقف الأمة على موالاة الحسين عليه السلام والبراءة من أعدائه، وكانت تحث الأمة على نصرته في كربلاء، وفي الوقت نفسه تلقي الحجة على الأمة لكي لا تتخلى عن نصرة الحق وهذا ما يؤكده قولها في أثناء حوارها مع أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم عندما هنأها بولادة الإمام الحسين عليه السلام وبكى وسألته عن سبب بكائها فأجابها بأنه يقتل فقالت:

«**خابت امة قتلت ابن بنت نبيها...**»[1].

وفي موضع أخر في محاورة أخرى قالت:

«**ياليتني لم ألده، قاتل الحسين في النار**»[2].

(١) مسند فاطمة: ص ٣١٤.

(٢) مسند فاطمة: ص ٣١٦.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وكانت لهفتها ورقتها وحنّوها ظاهر في مفردات كلامها الشريف عندما تسألهما عن سبب تأخرها عنها في الحضور إلى البيت مما يدل على علو العاطفة الفاطمية اتجاه ولديها الإمامين الحسنين عليهما السلام وهذا ما يظهر في الحوار الأتي المذكور في هذه الرواية الرائعة التي تقول: «حتى اقبل ابناك الحسن والحسين حتى جلسا في حجر أمهما، فسألتهما:

ما أبطأكما وما حبسكما عني...»؟[1].

والحديث على لسان أمير المؤمنين عليه السلام يحاور به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث طويل.

وكان قلب السيدة الزهراء عليها السلام يفوح برائحة الأمومة الطاهرة، ويفيض رحمة وعاطفة حتى وصل الحال بها أن تسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو عين العدل وعين الرحمة أتشجع الكبير على الصغير؟.

عندما كانا يصطرعان وهذا ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام:

«دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات ليلة بيت فاطمة عليها السلام ومع الحسن والحسين عليهما السلام فقال لهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوما فاصطرعا، فقاما ليصطرعا وقد خرجت فاطمة صلوات الله عليها في بعض خدمتها، فدخلت، فسمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: أبه يا حسن شد على الحسين، فاصرعه.

فقالت له: يا أبه واعجباه أتشجع هذا على هذا؟ أتشجع الكبير على الصغير؟.

فقال لها: يا بنية أما ترضين أن أقول أنا: يا حسن شد على

(١) مسند فاطمة: ص ٣٢٩.

الحسين، فاصرعه وهذا حبيبي جبرائيل عليه السلام يقول: ياحسين شد على الحسن فاصرعه»[1].

فتكلمت عاطفة الأم التي ترى وجوب رعاية الصغير وضرورة الدفع عنه، وهذا مما ارتسم في ذهن الإمام الحسين عليه السلام منذ صغر سنه فصار منهجاً للتعامل مع صغاره وصغار المسلمين في أتم الرحمة وأعلى درجات العاطفة ومما يذكر في هذا الأمر ما تتشعب له قلوب الأحبة فلقد ورد «أن سيد الشهداء عليه السلام عندما توجه إلى ساحة القتال سمع السيدة رقية تناديه قائلة:

أبتاه لن أحول دون ذهابك ولكن قف لي هنيئة لأراك وأتزود منك، فأخذها سيد الشهداء عليه السلام في حضنه وجعل يقبلها ويصبرها...»[2].

وورد في موضع آخر «أن السيدة رقية عليها السلام أخذت تهرول خلف أبيها الإمام الحسين عليه السلام برجلين أثقلها العطش حتى وصلت إليه وتشبثت بأذياله وهي تقول:

أبتاه انظر إليّ فإني عطشانة.

وما أن سمع سيد الشهداء عليه السلام هذه الكلمات المشجية جهش بالبكاء وخاطبها بدموع جارية:

الله يسقيكِ فإنه وكيلي عليكم...»[3].

---

(١) بحار الأنوار: ج ٣٧، ص ٧.

(٢) السيدة رقية للخلخالي: ص ١٥٤، نقلاً عن وقائع عاشوراء للسيد محمد تقي مقدم: ص٤٥٥.

(٣) السيدة رقية للخلخالي: ص١٥٦، نقلاً عن الوقائع والحوادث: ج٣، ص١٩٢.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وسنتعرض للمزيد من أجل الوقوف على رحمة الإمام ورأفته وحنوه وعاطفته في موضوع «المرأة البنت».

أم البنين عليها السلام

عندما يلاحظ المتأمل المرأة يظن للوهلة الأولى أن هناك تلازماً بين غيرة المرأة وبين ذاتها، فيحكم بأن الغيرة المذمومة من ذاتيات المرأة لكثرة ما يرى ويسمع عن غيرة النساء التي هي منشأ العداء بينهن، وهذه الغيرة التي يعبر عنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الطاهرون عليهم السلام بأنها من الكفر بقولهم:

«**غيرة الرجل إيمان، وغيرة المرأة كفر**»(١).

ناشئة من عوامل متعددة أهمها الحسد الذي يملأ قلب المرأة غيظاً وحنقاً على ضرتها ومنافستها، بل يتعدّى ذلك إلى الأولاد أيضاً كما روي ان عائشة كانت تقول «ما غرت من امرأة كما غرت من خديجة» وتعدى هذا البغض إلى فاطمة الزهراء عليها السلام لأنها كانت ابنة من أحبها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بل يذكر في التأريخ أن عائشة كانت تتهجم على السيدة الكبرى خديجة بنت خويلد أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيغضب لذلك حتى يحمر وجهه الشريف ويرد عليها بقوله:

«**صدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمال إذ صرفني الناس ورزقني الله منها الولد إذ لم يرزقني من غيرها**»(٢).

فهناك الكثيرات مثل عائشة بل تكاد الغيرة أن تكون صفة أغلب النساء إلا ما رحم ربي.

---

(٢) جامع احاديث الشيعة للبروجردي: ج ٢٠ ص ٢٧٤.

(٣) روضة الواعظين للنيسابوري: ص ٣٦٩.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ومن النساء التي سمت وارتفعت عن هذا المرض الوبيل وعن هذا الكفر القاتل السيدة الطاهرة أم البنين عليها السلام هذه المرأة التي جعلت نفسها خادمة لأولاد ضرتها وفضلتهم على اولادها وأمرتهم أن يكونوا بخدمة أولاد فاطمة عليها السلام بل زفتهم بيدها الى كربلاء وهي تعلم انهم سيكونون القرابين المضرجة بالدماء ولن يرجعوا اليها مع حاجتها الماسة اليهم حتى وصل بها الأمر أن تسأل الناعي عن سلامة الإمام الحسين عليه السلام قبل أن تسأل عن أولادها وفلذة كبدها.

مع الإمام الحسين عليه السلام قبل شهادته

قامت السيدة أم البنين عليها السلام بتعويض سبطي الرسالة وسيدي شباب أهل الجنة العطف والحنان اللذين فقداهما بعد وفاة امهما السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام من خلال ما تكنه في نفسها من مودة وحب واحترام للحسن والحسين عليهما السلام ما لا تكنه لأولادها الذين هم اشبال أمير المؤمنين عليه السلام في كمالهم وآدابهم، وكانت تنطلق من الأمر الالهي في قوله تعالى:

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾.

حتى وصلت بها الرقة والمداراة لاولاد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بأنها طلبت من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يوصي أهل بيته بأن لايدعوها أحد باسمها «فاطمة» لكي لايتذكر أبناء فاطمة الزهراء عليها السلام أمهم فيتجدد حزنهم وتثار أشجانهم، فاستجاب لها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ودعاها بـ«أم البنين».

وتم هذا تحت دراية الإمام الحسين عليه السلام مما أثر في مستوى العلاقة بينه وبين هذه السيدة الجليلة، ومما يذكر أيضاً انها عندما زفت الى بيت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وجدت الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام مريضين، فأخذت تمرضهما

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وتقوم على رعايتهما واغدقت عليهما العطف والحنان واسمعتهما طيب الكلام حتى عوفيا من مرضهما. هذا الخلق الرفيع وهذه العاطفة الجياشة والرقة الواسعة ينم عن جلالة هذه السيدة الكريمة وعن كبر عقلها وتجردها من غيرة النساء والتزامها بتكليفها الشرعي ازاء اولاد الصديقة الطاهرة عليها السلام ولا شك في ان يحتفظ الإمام الحسين عليه السلام بهذه الصورة الناصعة في ذهنه الشريف فتكون منطلقا للتعامل مع هذه الأم الحنون والكف الرؤوف.

مع الإمام الحسين عليه السلام بعد شهادته

لا غرابة أن تقف السيدة الفاضلة أم البنين عليها السلام هذا الموقف من ولدها الإمام الحسين عليه السلام وتسأل عنه قبل أن تسأل عن سلامة أولادها بل عاتبت الناعي الذي أراد أن يسليها ويصرفها عن السؤال عن سلامة الإمام عليه السلام، فإن دل هذا على شيء إنما يدل على علو رتبتها في دينها حيث رأت وجوب الاطمئنان على إمام زمانها ويدل ايضاً على شدة ولايتها لأهل بيت العصمة عليهم السلام، ولو نظرنا من زاوية أخرى للعلاقة بين الإمام الشهيد عليه السلام وبين السيدة أم البنين عليها السلام لوجدنا حباً متبادلاً واحتراماً كبيراً بينهما يجسد حب الأم لولدها وحب الولد لأمه الوفية الرؤوف، حب ينم عن الإيثار الذي تتصف به هذه السيدة الجليلة عندما تقدم أولادها الأربعة كقرابين بين يدي أخيهم وإمامهم الحسين عليه السلام لا يختلف إيثارها عن إيثار الأنبياء عليهم السلام فلقد آثر نبي الله يعقوب عليه السلام ولده يوسف على أخوته لحكمة إلهية كذلك آثرت السيدة أم البنين عليها السلام الإمام الحسين عليه السلام على اخوته من أبيه في حياته وآثرته عليهم بعد شهادته وهذا ما يؤكده الحوار الذي حصل بينها وبين بشر بن حذلم حيث يقول: «ورأيت امرأة كبيرة تحمل على عاتقها طفلاً وهي تشق الصفوف نحوي، فلما وصلت قالت:

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

يا هذا أخبرني عن سيدي الحسين عليه السلام.

فقلت إنها ذاهلة؛ لأني أنادي «قتل الحسين» وهي تسألني عنه، فسألت عنها، فقيل لي: هذه أم البنين عليها السلام، فأشفقت عليها وخفت أن أخبرها بأولادها مرة واحدة. فقلت لها: عظم الله لك الأجر بولدك عبدالله. فقالت: **ما سألتك عن عبدالله، أخبرني عن الحسين عليه السلام**. قال: فقلت لها: عظم الله لك الأجر بولدك عثمان. فقالت: **ما سألتك عن عثمان، أخبرني عن الحسين عليه السلام**.

قلت لها: عظم الله لك الأجر بولدك جعفر. فقالت:

ما سألتك عن جعفر، فانّ ولدي وما أظلته السماء فداءٌ للحسين عليه السلام، أخبرني عن الحسين عليه السلام.

قلت لها: عظم لك الأجر بولدك أبي الفضل العباس. قال بشر: لقد رأيتها وقد وضعت يديها على خاصرتها وسقط الطفل من على عاتقها وقالت:

لقد والله قطعت نياط قلبي، أخبرني عن الحسين.

قال: فقلت لها: عظم الله لك الأجر بمصاب مولانا أبي عبدالله الحسين عليه السلام[(1)].

الأم القرآنية أم سلمة رضي الله عنها

دخلت السيدة أم سلمة التاريخ من خلال اقترانها بسيد الكائنات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وكانت الزوجة المثالية والمؤمنة الموالية والمجاهدة الصابرة التي شهد لها الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم بذلك عندما قال لها «**انت على خير**» في قصة أصحاب الكساء، وكانت المرأة المهاجرة والحريصة على دينها والمواسية لزوجها أبي سلمة والمطيعة لأوامره كما في هذه المحاورة الجميلة التي تمثل درساً إخلاقياً تقتدي به

---

(١) أم البنين، الخلخالي: ص١٤٦.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

الزوجات المؤمنات. يسأل أبو سلمة زوجته المؤمنة: أتطيعيني؟.

قالت: ما استأمرتك إلا وانا اريد أن أطيعك(١).

فلا عجب ان تتمتّع امرأة كأم سلمة بهذا الخلق الرفيع وهي التي شربت حب الإسلام وتزينت بآدابه، ونهلت من تعاليمه حتى صارت في طليعة النساء المسلمات اللواتي رسخ الإيمان في قلوبهن، وانعقدت العقائد الصحيحة بين اضلعهن، فهي من أهل الاستقامة والولاء للنبي ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام ومن الدعاة الى الله تعالى والتي قضت عمرها في نشر دينه الحنيف.

عاشت أم سلمة مع زوجها أبي سلمة في وئام وانسجام وتكافل وتعاون ومواساة حتى بلغ حبها واحترامها لزوجها انها لم تطلب من الله تعالى ان يخلفها عنه بخير منه وهذا ما تؤكده في حديثها قالت أم سلمة: فلما أصبت بأبي سلمة قلت: اللهم عندك احتسب مصيبتي هذه، ولم تطب نفسي أن أقول: اللهم اخلفني فيه بخير منه. ثم قالت: من خير من أبي سلمة؟ أليس، أليس...»(٢).

أي ليس هناك من هو خير من زوجها لأنه فعل معها من المعروف والعشرة الطيبة الكثير فلذلك تقول أليس، أليس أي أليس هو المؤمن المهاجر والزوج المحب الوفي والعشير الطيب؟ فلذلك لاترى بديلاً خيراً منه.

أم سلمة في بيت النبي ﷺ

لا ترى أم سلمة رجلاً خيراً من أبي سلمة فلذلك لما تعرض لخطبتها ابو بكر وعمر ردتهما الى أن جاء خير البشر جميعاً وسيد الكائنات الذي لايضاهى

---

(١) وسط الغابة: ٥/ ٥٨٩، عن اعلام النساء.

(٢) صفوة الصفوة: ٢/ ٢١.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

في كماله ولايصل اليه احد في جماله فأرسل اليها خاطباً فقالت عندها : مرحبا برسول الله ﷺ نعم ليس هناك أفضل وأكمل من هذا البديل فقد أخلفها الله تعالى بما هو خير لها من زوجها المؤمن أبي سلمة. ألا وهو رسول الله ﷺ فلما مَنَّ الله تعالى عليها بهذه النعمة الكبيرة والخلف الحسن؛ دخلت أم سلمة بيت النبي ﷺ وكان اول اهتماماتها هو رضا رسول الله ﷺ وتحقيق رغباته فصارت تحب من يحب وتبغض من يبغض حتى بلغ بها الأمر أن تحب السيدة خديجة وهي ضرتها لأن رسول الله ﷺ كان يحبها ويذكرها بمحبة فأحبتها وأحبت اولادها.

ولمست أن النبي يحب علياً عليه السلام فأحبت علياًعليه السلام ووالته وأخلصت له ولأولاده ولاسيما صاحب الشأن الإمام الشهيد الحسينعليه السلام.

ولكي لايطول الكلام عن أم سلمة رضي الله عنها نكتفي بهذا المقدار لكي يتسنى للقارئ الكريم معرفة هذه الشخصية الكبيرة.

أم الإمام الحسين القرآنية

نزلت آية كريمة تبين العلاقة الشرعية بين المؤمنين وبين زوجات الرسول الكريم ﷺ لكي يتضح الموقف الشرعي الذي يجب أن يقفه الرجال خاصة من نساء النبي ﷺ ، ففي هذه الآية الكريمة :

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ...﴾(١) .

أصبح الحكم الشرعي الفقهي صريحاً بحرمة زوجات النبي ﷺ على غيره لأنهن امهات للمؤمنين.

---

(١) سورة الاحزاب، الآية: ٦.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ومن هذا المنطلق صارت أم سلمة التي هي من أفضل زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم أماً للإمام الحسين عليه السلام بحكم القرآن الكريم ويصدق عليها بأنها الأم القرآنية للإمام الحسين عليه السلام ، ومن جهة أخرى كانت المرأة الفاضلة التي تحمل بين جنبيها كل ما أمر به القرآن الكريم حيال أهل البيت عليهم السلام ابتداءً من المودة وانتهاءً بالموالاة والطاعة، فهي المحبة والعطوفة والمدافعة عنهم والموالية لهم.

ولهذا ومثله أصبح لأم سلمة رضي الله عنها منزلة كبيرة في نفوس أهل البيت عليهم السلام بحيث أصبحت المفضلة عندهم التي يشركونها في أمورهم المهمة كما روى ثقة الاسلام الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام :

«قال إن علياً (صلوات الله عليه) حين سار الى الكوفة استودع أم سلمة كتبه والوصية فلما رجع الإمام الحسن عليه السلام دفعتها اليه»[1].

وروى أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام قال :

«ان الحسين عليه السلام لما صار الى العراق استودع ام سلمة رضي الله عنها الكتب والوصية، فلما رجع علي بن الحسين عليه السلام دفعتها اليه»[2].

ومما يؤكد مقامها عند أهل البيت عليهم السلام هو استئمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم تربة الإمام الحسين عليه السلام عندها لتكن الشاهدة الصادقة على هذه الأمة التي غدرت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) أصول الكافي : ١٥١.

(٢) المصدر نفسه.

مع أم سلمة قبل الشهادة

تقدم الكلام عن هذه السيدة الجليلة والأم الحنون والكف الرؤوف والثقة المؤتمنة، وكيف أصبحت بهذه المنزلة الكبيرة حيث صارت مؤتمنة لأمير المؤمنين عليه السلام وللامام الحسين عليه السلام على أهم ماالديهما، والآن نسلط الضوء على مدى علاقة هذه الأم العطوف بولدها الإمام الحسين عليه السلام الذي يخاطبها «يا اماه» دون حرج وقيد كما سيأتي في هذه المحاورة عن بعض الكتب: لما عزم على الخروج من المدينة أتته أم سلمة رضي الله عنها فقالت: يا بني لا تحزني بخروجك إلى العراق، فإني سمعت جدك يقول:

يقتل ولدي الحسين عليه السلام بأرض العراق في أرض يقال لها: كربلاء.

فقال لها:

يا اماه وأنا والله أعلم ذلك، واني مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بد، وإني والله لأعرف اليوم الذي اقتل فيه، وأعرف من يقتلني، واعرف البقعة التي ادفن فيها، وإني أعرف من يقتل أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردت يا أماه اريك حفرتي ومضجعي(١).

ثم اشار إلى جهة كربلاء، فانخفضت الارض حتى أراها مضجعه ومدفنه وموضع عسكره وموقفه ومشهده، فعند ذلك بكت ام سلمة بكاءً شديداً، وسلمت أمره إلى الله تعالى. فقال لها:

يا اماه قد شاء الله عزوجل أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدوانا، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين، واطفالي مذبوحين مظلومين مأسورين مقيدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معينا»(٢).

(1) بحار الأنوار للمجلسي: ج ٤٤ ص ٣٣١.

(٢) الاسرار الحسينية في المقامات الملكوتية والمعاني الروحانية للإمام الحسين بن ←

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

مع أم سلمة بعد الشهادة

كل عين بكت للإمام الشهيد، بل كل ما في الكون نصب العزاء لسيد الشهداء عليه السلام، لهذا السبط المخضب بالدماء، المسلوب العمامة والرداء، المظلوم المهتضم، ريحانة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفلذة كبد السيدة الزهراء عليها السلام.

قتيل بكاه الأنبياء ورثاه الاوصياء وناحت عليه الجن وبكته الملائكة في السماء، بكاه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه وأهل بيته ونساؤه وممن بكى الإمام الحسين عليه السلام ونصب له العزاء السيدة الفاضلة أم سلمة رضي الله عنها فلقد روي عن ابن عباس قال:

بينما أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخاً عظيماً عالياً من بيت أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخرجت متوجهاً إلى منزلها، حيث أقبل أهل المدينة اليها رجالاً ونساءً، فلما انتهينا إليها، قلت: يا أم المؤمنين مالك تصرخين وتغوثين؟ فلم تجبني وأقبلت على النسوة الهاشميات، وقالت: يا بنات عبدالمطلب أسعدنني وابكين معي، فقد قتل والله سيدكنَّ وسيد شباب أهل الجنة، فقد والله قتل سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وريحانته الحسين عليه السلام.

فقلت: يا أم المؤمنين: ومن أين علمت ذلك؟

قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام ـ الساعة ـ، شعثا مذعوراً، فسألته عن شأنه ذلك، فقال:

قتل ابني الحسين وأهل بيته اليوم فدفنتهم الساعة وفرغت من دفنهم»[1].

←

علي عليه السلام: ص٢٦٢.

(١) الخصائص الحسينية: ص٢٣٠.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ملحقات الأم:

الزهراء مع الحسين بعد شهادته

١. بكاء متبادل

بكت السيدة العزيزة، والبضعة النجيبة على وليدها الإمام الحسين عليه السلام عند ولادته وعند إخبار أبيها المصطفى عن شهادته كما تقدم وبكته حين فقدته في يوم من الإيام في المدينة، فلقد كان هذا البكاء في دار الدنيا، وأما في دار الآخرة فإن السيدة الزهراء عليها السلام دائمة البكاء وتشهق على ولدها الإمام الحسين عليه السلام في كل يوم كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول: «يا ابا بصير، إذا نظرت إلى ولد الحسين، أتاني ما لا أملكه، بما أتى إلى أبيهم وإليهم، يا أبا بصير إنّ فاطمة عليها السلام لتبكيه وتشهق، فتزفر جهنّم زفرة، لولا أنّ الخزنة يسمعون بكاءها وقد استعدّوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق أو يشرّد دخّانها فيحرق أهل الأرض فيكبحونها ما دامت باكية ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض!! فلا تسكن حتىّ يسكن صوت فاطمة»(١) فهذه الأم الرؤوف التي لم تهدأ ولم تستكن على مصيبة ولدها الإمام الحسين عليه السلام نجد الإمام عليه السلام يعبر عن مدى العلاقة الكبيرة بينه وبين هذه الأم الطاهرة روي في وارث الأنبياء عليهم السلام «لما ماتت عليها السلام اذ دخل الحسن والحسين عليهما السلام فقالا:

ما ينيم أُمّنا في هذه الساعة؟.

قالت اسماء: يا ابني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليست امكما نائمة قد فارقت الدنيا.

فوقع عليها الحسين عليه السلام يقبلها مرة ويقول:

---

(١) الإمام الحسين عليه السلام الكهف الحصين: ص ٦٠.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

يـا امـاه انـا ابنـك الحــسين كلمينــي قبـل ان يتــصدع قلبــي فأموت»[1].

فهذه الصورة المفجعة تبين مدى عمق العلاقة بين الشهيدة الزهراء عليها السلام وبين الشهيد الإمام الحسين.

٢. الزهراء عليها السلام تنصر بالدعاء

الدعاء سلاح المؤمن به يصول الانبياء واليه يلجأ الأولياء لما له من رد سريع ينتصر به المظلوم على الظالم، وهذا ما عملت به السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لكي تنتقم من اعداء الله تعالى وقتلة ولدها الإمام الحسين عليه السلام كما نقل عن صاحب البحار.

روي، أن رجلاً بلا أيدٍ، ولا أرجل وهو أعمى، يقول ربّ نجني من النار!، فقيل له: لم تبق لك عقوبة، ومع ذلك تسأل النجاة من النار؟.

قال: كنت فيمن قتل الحسين ـ عليه السلام ـ بكربلاء، فلما قتل رأيت عليه سراويلاً وتكة حسنة، بعد ما سلبه الناس، فأردت أن أنزع منه التكة فرفع يده اليمنى ووضعها على التكة، فلم أقدر على دفعها فقطعت يمينه، ثم هممتُ أن آخذ التكة، فرفع شماله فوضعها على التكة فقطعت يساره، ثم هممتُ بنزع التكة من السراويل، فسمعت زلزلة فخفت وتركته، فألقى الله عليَّ النوم، فنمت بين القتلى فرأيت كأنَّ محمّداً صلى الله عليه وآله، أقبل ومعه عليّ وفاطمة ـ عليهما السلام ـ، فأخذوا رأس الحسين فقبلته فاطمة ـ عليها السلام ـ. ثم قالت:

يا ولدي! قتلوك قتلهم الله، من فعل هذا بك؟.

فكان يقول: **قتلني شمر، وقطع يدي هذا النائم**، وأشار إليَّ، فقالت

---

(٢) بحار الأنوار للمجلسي: ج ٤٣، ص ١٨٦.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

فاطمة لي: **قطع الله يديك ورجليك، وأعمى بصرك، وأدخلك النار، فانتبهت وأنا لا أبصر شيئاً وسقطت مني يداي ورجلاي**، ولم يبق من دعائها إلاّ النّار»[1].

فنستنتج من هذه الرواية المليئة بالكرامة الالهية لأهل بيت العصمة عليهم السلام ما يلي:

أ. إنّ أهل هذا البيت عليهم السلام هم الحق ومادونهم باطل وإلا لما استجاب الله تعالى دعاءهم.

ب. ان نهضة الإمام الحسين عليه السلام حققت اهدافها وهي مرضية لله تعالى رغم الخسارة العسكرية.

ج. إن قتلة الإمام عليه السلام لم ينتموا إلى الإسلام بصلة، وعلى هذا الأساس لم يكن الإمام عليه السلام خارجاً على الإسلام أو طالباً للفتنة.

٣. الزهراء عليها السلام تكرم زوار الحسين عليه السلام

إنّ مقام السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ومنزلتها العظيمة عند الله تعالى تؤهلها ان تحضر لزوار قبر سيد الشهداء عليه السلام والاستغفار لهم كما استغفر نبي الله يعقوب لأولاده وهذا ما يؤكده «داود بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

إن فاطمة عليها السلام بنت محمد صلى الله عليه وآله تحضر لزوار قبر ابنها الحسين عليه السلام فتستغفر لهم ذنوبهم»[2]

وما هذه الكرامة إلاّ حلقة في سلسلة الأجر الذي يناله زوّار الإمام الحسين عليه السلام.

(١) كل ما في الكون يبكي الحسين عليه السلام: ص ١٦٧.

(٢) فور العين: ص ٥٩، عن كامل الزيارات: ٢٣١، بحار الأنوار: ١٠١ ـ ٥٥.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

لقد تواترت الروايات في منزلة زوّار الإمام الحسين عليه السلام، ومالهم من الأجر الكبير ومن أفضل ما ذكر في ذلك ما روي عن أبي عبدالله عليه السلام ـ في حديث طويل ـ قال:

إذا زرتم أبا عبد الله عليه السلام فالزموا الصمت إلاّ من خير، وأن فاطمة عليها السلام لتنظر الى من حضر منكم فتسأل الله لهم من كل خير، ولاتزهدوا في اتيانه، فإن الخير في اتيانه اكثر من ان يحصى[1].

ثم يترقى العطاء الفاطمي ويزداد الإكرام في وقوف سيدة النساء يوم القيامة شافعة مشفعة لزوار وشيعة ولدها الإمام الحسين عليه السلام كما ورد: «فإنها تنادي حينئذ: **يافاطمة سلي حاجتك**، فتقول: **يارب شيعتي**، فيقول الله: **قد غفرت لهم**، فتقول: **يارب شيعة ولدي**، فيقول الله: **قد غفرت لهم**، فتقول: **شيعة شيعتي**، فيقول الله: **أنطلقي فمن اعتصم بك فهو معك**، فتسير ويقوم كل هؤلاء يسيرون معها»[2].

هؤلاء الزوار الذين يقصدون قبر المولى ابي عبد الله عليه السلام يتصفون بالفضائل والكمالات ابتداءً من التقوى ومروراً بالموالاة لأهل بيت الرحمة عليهم السلام وانتهاءً بالمحبة والطاعة لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولأهل بيت نبيه عليهم السلام فيكونون في إطار الولاية والمودة للنبي وآله.

كما وصفهم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«ويأتيه قوم من محبينا ليس في الأرض أعلم بالله ولاأقوم

(١) نور العين: ص ٦٠، كامل الزيارات: ٥٤٣ ـ ٥٤٤.

(٢) الخصائص الحسينية: ص ٢٩٠.

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

بحقنا منهم، وليس على ظهر الأرض احد يلتفت اليه غيرهم، اولئك مصابيح في ظلمات الجور، وهم الشفعاء، وهم واردون حوضي غداً، اعرفهم اذا وردوا عليَّ بسيماهم، وكل أهل دين يطلبون أئمتهم، وهم يطلبوننا ولا يطلبون غيرنا، وهم قوام الأرض، وبهم ينزل الغيث»[١].

المرأة الأخت

بعد ان تناولنا علاقة المرأة الأم بالإمام الحسين عليه السلام وتعرضنا فيما سبق للنساء اللواتي تربطهن بالإمام عليه السلام رابطة الأمومة ابتداءً بالسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ومروراً بالسيدة أم البنين وانتهاءً بالسيدة أم سلمة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعطف الكلام إلى علاقة الإمام الحسين بالمرأة الأخت.

للإمام الحسين عليه السلام كثير من الأخوات، منهن الشقيقات ومنهن أخوات لأبيه أمير المؤمنين عليه السلام وقبل ان نسلط الضوء على سيرته مع شقيقاته لا بأس بعرض أسماء أخواته الكريمات زيادة في المعرفة.

ـ زينب الكبرى العقيلة وزينب الصغرى وأمهما فاطمة الزهراء عليها السلام.

ـ رقية الكبرى وأمها أم حبيب بنت ربيعة.

ـ أم الحسن ورملة وأمهما أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي.

ـ نفيسة، زينب الصغرى، رقية الصغرى، ام هاني، أم الكرام، وجمانة، أمامة، أم سلمة، ميمونة، خديجة، وفاطمة، فأصبح عدد أخوات الإمام الحسين عليه السلام ست عشرة أختاً من أمهات شتى.

---

(١) كل ما في الكون : ص ٨٢، عن البحار: ج ٤/ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٦.

العقيلة زينب

نشأت العقيلة زينب الكبرى عليها السلام في كنف أبيها أمير المؤمنين عليه السلام وحجر أمها سيدة نساء العالمين عليها السلام فأخذت منهما مايسمو بها الى ارقى درجات الكمال، فكانت نعم الخلف لخير سلف، وترعرعت بين أحضان الطهر والعفاف، واغترفت من منهل العلم والحكمة، فملأت علما وفهما وخلقا ورفعة، وتلقت من أبيها علي عليه السلام كل ما يجعلها امرأة بطلة مهابة قويّة، إذا تكلمت تكلمت بحكمة و إذا وقفت في المحن وقفت بصلابة، وإذا ابتليت ببلاء اجتازته بصبر وظفر، وتعلمت من أمها سيدة نساء العالمين عليها السلام كيف تكون الأخت الحنون والزوجة الوفية والأم الرؤوف، فجمعت بين صلابة الرجال ورقة النساء فصارت زينب بطلة كربلاء، ولكي نؤكد هذا الوصف لابد من الوقوف على بعض جوانب حياتها ومواقفها بشكل موجز ومفيد:

ولادتها عليها السلام

بعد أن حملت السيدة الزهراء عليها السلام بحملها الثالث، سرعان ما ازدادت عناية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم واهتمامه بحملها وأخذ ينتظر حمل حبيبته وفلذة كبده فاطمة عليها السلام بشغف وصبر، الى أن وضعت السيدة الكبرى عليها السلام وليدتها الميمونة.

بعد أن بُشر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذه المولودة سارع إلى بيت فاطمة عليها السلام وتلقف حفيدته بحزن ووجوم تتخلله دموع وزفرات، فأخذ يضم المولودة الطاهرة الى صدره ويطبع على وجناتها قبل الابوة المليئة بالرحمة والحنان، فأصاب هذا الموقف السيدة فاطمة عليها السلام بالدهشة والحيرة، فبادرت تسأل أباها عن بكائه فأجابها:

«يافاطمة اعلمي أن هذه البنت بعدي وبعدك سوف تنصب عليها المصائب والرزايا».

الاسم الإلهي

بعد أن وضعت السيدة زينب في حجر أبيها أمير المؤمنين عليه السلام باشر الإمام عليه السلام بتقبيلها وضمها إليه، واجرى عليها السنة المحمدية فأذن في أذنها اليمنى واقام في اليسرى، عند ذلك طلبت اليه السيدة الزهراء تسمية المولودة: **سم هذه المولودة**. فأجابها: **ما كنت لأسبق رسول الله** صلى الله عليه وآله. وبعد أن عرض الإمام على جدها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم تسميتها، قال: «**ماكنت لأسبق ربي**» وكما هو ديدن تسمية أولاد الزهراء عليها السلام، هبط الملك المرسل من قبل الله تعالى يحمل اسماً إلهيةً لهذه المولودة، فقال: **سمّها** «**زينب**»، أي الشجرة المثمرة المباركة، فصار الاسم ينطبق تمام الانطباق على المسمى.

وقفة لطيفة

أُمرنا أن نختار الاسم الحَسَن للوليد الذي يرزقنا الله تعالى إياه وذلك لحق الولد على أبيه كما ورد في الحديث «وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

يا علي: حق الولد على والده ان يحسن اسمه وأدبه، ويضعه موضعا صالحا وحق الوالد على ولده أن لا يسميه باسمه، ولا يمشي بين يديه، ولا يجلس أمامه، ولا يدخل معه في الحمام»(١).

فنختار من الأسماء ما أرشدنا اليه أهل بيت العصمة عليهم السلام بقولهم: قال الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة:

«**إن للولد على الوالد حقا، وإن للوالد على الولد حقا، فحق الوالد على الولد أن يطيعه في كل شيء إلا في معصية الله سبحانه، وحق**

---

(١) من لا يحضره الفقيه للصدوق: ج ٤ ص ٣٧٢.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن أدبه، ويعلمه القرآن»[1].

ولكن بعد ان ينشأ هذا الوليد ويتربى قد يبتعد باطنه عن ظاهره، وقد يخالف فعله اسمه، فاذا سميّ الذكر مثلاً باسم حسن قد يكون ذا أفعال قبيحة، وإذا سميت الأنثى باسم زينب قد تكون امرأة غير صالحة، فلا ينطبق حينها الاسم على المسمى، ومنشأ ذلك هو عدم علمنا بما يؤول إليه مستقبل المولود، ولكن عندما يسمي الله تعالى مولوداً باسم معين، محال أن يخالف الاسم جوهر المولود وباطنه لاحاطته سبحانه بكل شيء علماً، وبناءً على ما تقدم نستشف أن العقيلة زينب عليها السلام مولودة مباركة طاهرة لا تحيد عن اسمها مقدار أنملة أو أقل من ذلك منذ ولادتها وحتى وفاتها.

نشأتها عليها السلام

درجت السيدة زينب الكبرى عليها السلام في بيت الطهارة والعصمة، وترعرعت في مهبط الوحي والتنزيل، واغترفت من معدن العلم والحكمة، تعاهدتها أمها الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام بالأدب النبوي، وعلمتها احكام الشريعة والأخلاق الرفيعة، وغذتها آيات القرآن الكريم، وعرفتها رقة المرأة المؤمنة وعفافها ووفائها وحنوها فغدت كتلة من الأدب الإلهي والخلق الرباني.

وكيف لا تكون كذلك وهي تشهد وترى تعظيم وتكريمه جدها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لأسرتها وبيتها، وتعيش بطولات أبيها في الدفاع عن الإسلام، وحنوه ورحمته على زوجته وعياله، وعبادته وخشيته في محرابه؟! وكيف لا تكون اختا معظّمة لأخويها وهي ترى أخاها السبط الشهيد كيف يعظم أخاه الحسن عليه السلام ويطيعه، ويجله ويتأدب بين يديه؟!

---

(٢) الموسوعة الفقهية الميسرة للشيخ محمد الانصاري: ج١ ص ١٤٢.

صور ربانية

هذه الصور المختلفة من نشأة وسيرة فخر المخدرات وعقيلة الطالبيين توقفنا على عظمة هذه الشخصية الفذة:

الصورة الأولى

حوار بين السيدة زينب وأبيها أمير المؤمنين عليه السلام ينم عن ذكائها وفطنتها.

كانت زينب عليها السلام في طفولتها جالسة في حجر أبيها أمير المؤمنين عليه السلام، وهو عليه السلام يلاطفها بالكلام فقال لها: **بنية قولي واحد**، فقالت: **واحد**، ثم قال لها: **قولي اثنين** فسكتت، فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام تكلمي يا قرة عيني، فقالت عليها السلام: **يا أبتاه، ما أطيق أن أقول اثنين بلسان أجريته بالواحد**! فضمها صلوات الله عليه وقبل بين عينيها. وفي موقف آخر سألت زينب عليها السلام والدها أمير المؤمنين علياً عليه السلام ذات يوم وقالت: **أتحبنا يا أبتاه؟** فردّ الإمام عليها: **وكيف لا أحبكم وأنتم ثمرة فؤادي**!! فقالت زينب عليها السلام: **الحب لله تعالى والشفقة لنا**[1].

وقفة وتحليل

هذه الصورة الجميلة التي اقتطعناها من الحياة المضيئة لفخر المخدرات عليها السلام تدعونا الى تأمل وتحليل نستظهر من خلاله بعض النكات العلمية المتنوعة التي تؤكد جمال وكمال هذه العقيلة الهاشمية. سبق أن تحدثنا عن مكانة المرأة في الإسلام وذلك في الفصل الأول، وبينا حينها درجة توقير الإسلام للمرأة ورأفته بها وحنوه عليها، بخلاف ما كانت عليه الجاهلية العمياء، ففي هذه الصورة ما يؤكد ذلك من خلال تحليلها واستظهار النتائج منها. تقول الرواية: «كانت

---

(١) الشمس الطالعة والأنوار الساطعة: ج١، ٩١.

زينب عليها السلام في طفولتها جالسة في حجر أبيها ... الخ» نستنظر منها ما يلي :

١ . ان الإمام عليه السلام يؤكد رفضه للعادة الجاهلية في وأد البنات.

٢ . اجلس الإمام عليه السلام ابنته في حجره وليس بجنبه أو بين يديه ليتبين لنا ان في هذه الجلسة آثاراً نفسية وعاطفية على شخصية الطفل ولاسيما اذا كانت أنثى.

٣ . خللَ الإمام عليه السلام الجلسة بالملاطفة ليتم الفائدة المرجوة منها وهي تقوية علاقته بابنته وربطها به.

٤ . كانت الملاطفة بالعلم والحكمة ولم تكن بتوافه الأمور حتى لا تضيع الفائدة المرجوة من الملاطفة ألا وهي تربية ابنته تربية عقائدية وعلمية.

٥ . رد السيدة على ابيها بقولها :

«ما اطيق أن أقول اثنين بلسان أجريته بالواحد».

ينم عن فهم وعلم كبيرين يدلان على أن السيدة رغم صغر سنها : إلا أنها موحدة مخلصة لاتشرك بربها احداً، ويدل قولها على أنها معلمة من قبل الله تعالى بدليل أن الإمام عليه السلام اراد أن يعلمها التوحيد فوجدها عارفة به فلذلك ضمها وقبلها.

الصورة الثانية

في هذه الصورة مايدل على عناية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بخدرها وشخصها : قال يحيى المازني : كنت في جوار أمير المؤمنين عليه السلام مدة مديدة، وبالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته، فوالله ما رأيت لها شخصاً، ولا سمعت لها صوتاً، وكانت إذا ارادت الخروج لزيارة جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تخرج ليلا، والحسن عن يمينها، والحسين عن شمالها، وأمير المؤمنين أمامها، فإذا قربت

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين فأخمد ضوء القناديل، فسأله الحسن مرة عن ذلك، فقال: أخشى أن ينظر أحد إلى شخص أختك زينب(١).

وقفة وتحليل

نستظهر من هذه الصورة مايلي:

١ . أن الكمال في حجاب المرأة وعفتها وليس في تكشفها وتساهلها بالظهور أمام الأجنبي.

٢ . جواز زيارة القبور من قبل النساء مع الالتزام بآداب الزيارة.

٣ . الحرص على عدم إظهار شخص المرأة إلا في الضرورة.

٤ . ان صوت المرأة قد يكون احياناً في غير صالحها عندما يكون خاليا من الوقار والأدب فيتجرأ عليها الرجال ولاسيما اذا كان ذلك في غير ضرورة.

٥ . إذا أرادت المرأة الخروج من بيتها فيستحسن أن تكون برفقة أوليائها لكي يهابها الجميع.

الصورة الثالثة

ما قاله الإمام زين العابدين عليه السلام عنها يدل على زهدها في هذه الدنيا الدنية، فلذا قال عليه السلام:

«ما ادخرت شيئاً من يومها لغدها».

وقفة وتحليل

نستظهر من قول الإمام زين العابدين عليه السلام في حق عمته زينب الكبرى ما يلي:

(١) زينب الكبرى للنقدي: ص ٢٢.

١ . أن السيدة الطاهرة على درجة عالية من التوكل على الله تعالى فلا تهتم بغدها.

٢ . أنها على يقين تام وكامل بالموت فلذا أرسلت بضاعتها أمامها إلى قبرها.

٣ . الانفاق في مرضاة الله تعالى لايدعو إلى القلق والخوف من الفقر.

٤ . يمكن الاستفادة من هذا الحديث أنها عليها السلام لا تجمع ولا تصرف إلا ما تحتاجه في يومها.

الصورة الرابعة

ما يدل على عبادتها إيثارها قال الإمام زين العابدين عليه السلام :

إن عمتي زينب كانت تؤدي صلواتها من قيام، الفرائض والنوافل عند سير القوم بنا من الكوفة، إلى الشام، وفي بعض المنازل كانت تصلي من جلوس، فسألتها عن سبب ذلك، فقالت:
أصلي من جلوس لشدّة الجوع والضعف منذ ثلاث ليال، لأنها كانت تقسم ما يصيبها من الطعام على الأطفال، لأن القوم كانوا يدفعون لكل واحد منا رغيفاً واحداً من الخبز في اليوم والليلة[١].

وقفة وتحليل

نستنظر من قول الإمام زين العابدين عليه السلام في حق عمته العقيلة ما يلي :

١ . أن القيام في صلاة الفريضة واجب، وفي الصلوات المستحبة أفضل من الجلوس.

٢ . ما سقط من محن ومصائب على سيدتنا زينب لم يكن عذراً لترك النوافل بل يستفاد من الرواية عكس ذلك وهو لا بد من اللجوء الى الله تعالى والتضرع اليه

---

(١) زينب الكبرى : ص ٦٣.

عند نزول البلاء ليخفف أو ليكشف عنا.

٣ . تنبئنا هذه الصورة عن فضيلة الإيثار التي كانت تتصف بها سيدتنا زينب عليها السلام .

٤ . تنبئنا هذه الصورة أيضاً عن رأفة ورحمة هذه السيدة العظيمة بالأطفال الذين معها.

٥ . تنبئنا هذه الصورة أيضاً عن أداء واجبها إزاء الأطفال الذين كانوا بعهدتها كأمانة.

٦ . تنبئنا هذه الصورة أيضاً عن خسة القوم الذين يحيطون بآل البيت عليهم السلام .

٧ . تنبئنا هذه الصورة أيضاً عن اهتمام الإمام المعصوم عليه السلام برعيته والاستفهام عن حالهم.

٨ . تنبئنا هذه الصورة أيضاً أن سؤال الإمام المعصوم عليه السلام لم يكن من باب الجهل بالشيء، وإنما من أجل إظهار فضائل السيدة بطلة كربلاء عليها السلام ليتأسى بها المؤمنات.

الصورة الخامسة

ما يدل على سخائها وردها للمعروف أن الرسول الذي ساير أهل البيت في طريقهم من الشام إلى المدينة قد أحسن صحبته لهم، ولما قربوا من المدينة قالت فاطمة بنت أمير المؤمنين لأختها زينب :

قد وجب علينا حق هذا لحسن صحبته فهل لك أن تصليه؟.

قالت :

والله ما لنا ما نصله به إلا أن نعطيه حلينا.

قالت فاطمة :

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

فأخذت سواري ودملجي، وسوار أختي ودملجها، فبعثنا به إليه، واعتذرنا من قلتها، وقلنا: هذا بعض جزائك، لحسن صحبتك إيانا.

فقال: لو كان الذي صنعته للدنيا كان في دون هذا رضاي، ولكن والله ما فعلته إلا لله، وقرابتكم من رسول الله ﷺ [1].

وقفة وتحليل

في هذه الصورة الرائعة تظهر فضائل جمة لأهل بيت النبي ﷺ وفضائل محبيهم وكما يلي:

١ . إحسان الصحبة من قبل الرجل الذي سايرهم يدل على ان هذا الرجل ليس من الموالين ليزيد، وليس من القوم الذين جاءوا بهم من كربلاء إلى الشام.

٢ . إحسان الصحبة كان خالصاً لله تعالى ولرسوله ﷺ، ولم يكن عن طمع في حطام الدنيا مما يدل على رجاحة عقل هذا الرجل الذي آثر الآخرة على الدنيا.

٣ . كلام فاطمة بنت أمير المؤمنين لأختها زينب الكبرى مليء بالدروس الأخلاقية الرفيعة كالالتزام بحق الصحبة الحسنة، وبيان استحباب صلة الصاحب في الطريق إذا كان ممن يستحق الصلة، والطريقة المهذبة في مخاطبة أختها الكبرى اذ جعلت لها الخيار في اختيار الصلة أو عدمها بقولها: «**فهل لك أن تصليه**»؟.

---

(١) البحار: ١٠ / ٢٢٩.

٤ . قول سيدتنا زينب عليها السلام : «**والله مالنا ما نصله به إلا أن نعطيه حلينا**»

يشتمل على أمور:

الأول: أن السيدة الكبرى تشير الى السلب الذي تعرضوا له من قبل القوم حيث لم يبقَ لديهن شيئ إلا بعض الحلي التي خفيَ عليهم.

الثاني: أنّ شأن المرأة زينتها بالحلي وغيره حتى لو كانت زينب الكبرى لما في ذلك من أظهار لأنوثة المرأة الذي ينسجم مع فطرتها.

الثالث: إقرارها باستحقاق الرجل لهذه الصلة رداً على ما صنعه من معروف.

٥ . قول السيدة فاطمة عليها السلام : «**واعتذرنا من قلتها، وهذا بعض جزائك...**» فيه إشارة إلى ما يلي:

الأول: أن ما قام به الرجل من حسن الصحبة لايضاهيه الثمن المادي ولاسيما اذا كان بهذا المقدار الموهوب.

الثاني: فيه دلالة على سخاء السيدتين عليهما السلام.

الثالث: فيه أدب رفيع يدل على سمو أخلاق السيدتين عليهما السلام.

الصورة السادسة

مايدل على مقامها ومنزلتها مناداة زوجها وابن عمها لها فلقد كان يناديها:

«يا بنت المرتضى، ويا عقيلة بني هاشم».

وقفة وتحليل

يتجلى الخلق الإسلامي في هذه الصورة بأعلى درجاته وكما يلي:

١ . مناداة عبد الله بن جعفر رضي الله عنه لزوجته بهذا النداء يدل على معرفته لمقامها

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ومنزلتها، ويدل على حسن عشرته لها لاستحقاقها ذلك، أي إن السيدة عليها السلام هي التي انتزعت هذا الاحترام الكبير من زوجها، فلتتأسَّ بها نساء المسلمين.

٢ . فيه دلالة على ضرورة العشرة بالمعروف بين الزوج وزوجته، ابتداءً من ادب المخاطبة ومروراً بصرف النفقة وانتهاءً بالمداراة والمحبة.

الصورة السابعة

في هذه الصورة دلالة على أنها أمينة أمير المؤمنين عليه السلام على الهدايا الإلهية، ففي حديث مقتل أمير المؤمنين عليه السلام الذي نقله المجلسي رحمه الله « نادى الحسن بأخته زينب وأم كلثوم:

هلمي بحنوط جدي رسول الله صلى الله عليه وآله فبادرت زينب عليها السلام مسرعة حتى أتته به، فلمّا فتحته فاحت الدار وجميع الكوفة وشوارعها لشدة رائحة ذلك الطيب»(١).

وهناك صور أخرى لم نأت بها روماً للاختصار ولاسيما أننا لا نريد أن نكتب عن تفاصيل حياة هذه الصديقة الصغرى، وإنما يهمنا بيان علاقتها بأخيها الإمام الحسين عليه السلام.

وقفة وتحليل

ان التأمل في هذه الصورة يدعونا الى أن نقف على ما يلي:

١ . أن السيدة زينب عليها السلام كانت أمينة أبيها على الهدايا الإلهية.

٢ . أن الله تعالى حبا رسوله الكريم صلى الله عليه وآله بهذا الحنوط لإظهار مقامه ومنزلته.

٣ . كان حنوط رسول الله صلى الله عليه وآله من الجنة وقد أبقى منه لأخيه أمير المؤمنين عليه السلام مما يدل على علو علي عليه السلام ومنزلته عند الله ورسوله.

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي: ج ٤٢ ص ٢٩٤.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

العقيلة في حياة الإمام عليه السلام

لكي نسلط الضوء على العلاقة الإيمانية والوشيجة الرحمية، لابد من عرض بعض الصور النيرة التي تبيّن درجة الارتباط بين أخ خلق للدفاع عن الدين وبين أخت خلقت لأجله.

الصورة الأولى

يروى أن الإمام الحسين عليه السلام بشر جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بولادة السيدة الصغرى وكان عمره المبارك ثلاث سنوات فقال لجده:

«ياجداه، الله تبارك وتعالى رزقني أختاً».

وما أن وقع الخبر على مسامع الجد الرحيم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم هاجت آلامه وبكى كثيراً، فسأله الحسين عليه السلام:

لِمَ تبكي ياجداه؟.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

يا نور عيني عما قريب ستعرف سر هذا البكاء، وبالفعل اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنته فاطمة عليها السلام عن المصائب التي ستنزل على هذه السيدة العقيلة.

من خلال تأمل هذه الصورة يظهر لنا سر العلاقة الخاصة بين الإمام الحسين عليه السلام وأخته العقيلة الهاشمية، فكأنما أراد الإمام عليه السلام بإخباره لجده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم عن ولادة أخته أن يقول لقد جاءت شريكتي في مصيبتي، وجاء من يدافع عن نهضتي.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

الصورة الثانية

يروى أن الإمام الحسين عليه السلام كان اذا أقبل على أخته وهي في مهدها تهش وتبش في وجهه، وما أن يبتعد عنها تصرخ وتبكي، يالهذه الأخوة! ويا لهذه العلاقة! ويا لهذه المحبة والمودة! فلذا هذه الصورة لا تحتاج الى تعليق.

الصورة الثالثة

إنّ السيدة زينب عليها السلام رغم أنها أقل مقاماً واصغر سنا من أخيها الإمام الحجة المعصوم عليه السلام اذا قدمت عليه يجلها ويعظم مقامها ويقوم لها كما ورد في التاريخ:

«إنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يقرأ القرآن الكريم فلما دخلت عليه اخته زينب عليها السلام قام إجلالا لها وأجلسها في مكانه».

نلمس من هذه الصورة أن الإمام المعصوم عليه السلام يعطي كل ذي حق حقه، فلم يقم لأخته ويجعلها تبعا لعاطفته بل لاستحقاقها ذلك لما لها من صفات كاملة تامة، ونستطيع ان نستظهر من اجلاس الإمام عليه السلام لاخته في مكانه، ان للسيدة زينب مقاماً يتلو مقام المعصوم، وان لها القدرة على اداء مهام الإمام عليه السلام عند غيابه، إلاّ ما اختص بالحجة الذي بعده الإمام زين العابدين عليه السلام.

وفي هذه الصورة لقطات رائعة اخرى فيها دلالات عظيمة نذكر منها ما يتعلق ببحثنا:

منها: ان اجلال الإمام عليه السلام واستقباله لأخته العقيلة فيه دلالة على رفعة الخلق الحسيني وحنانه ورحمته بصلة الرحم.

منها ان الأخ الاكبر ينبغي ان يكون عطوفاً مع اخته الصغرى، لا كما يفعل

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

البعض من الأخوة حينما يرى نفسه رجلاً واخته امرأة، يطلب منها ان تكون خادمة له حتى لو كانت اكبر سناً منه.

منها: ورد عن رسول الله ﷺ قول بكراهية القيام لأحد كما في قوله:

«لا تقوموا كما يقوم الاعاجم بعضهم لبعض ولا بأس بأن يتخلل عن مكانه»[1].

وما قيام الإمام عليه السلام لأخته إلا تطبيقاً للإستثناء الذي ورد في قول رسول الله ﷺ حيث اثبت من خلال قيامه لها أنها مما رضى عنه الله ورسوله ﷺ.

العقيلة عليها السلام مع الإمام عليه السلام قبل الشهادة

من خلال الصورة التاريخية التي نقلت لنا عن حركة الركب الحسيني من المدينة إلى كربلاء نستشف أموراً كثيرة تبين مقام السيدة الصغرى عليها السلام ودورها النسائي القيادي كونها كبيرة البيت العلوي فلقد ورد في التاريخ «رأيت بني هاشم وقد أعدوا لمحارمهم أربعين محملاً مزركشاً ومزيناً تعلوها رايات خفاقة، وبينما أنا أنظر إلى ذلك الموكب الرهيب إذا بشاب جميل ووسيم على خده خال خرج من ذلك الحرم وهو ينادي ويقول: يا بني هاشم ابتعدوا وافسحوا ولما ابتعد بنو هاشم عنه رأيت امرأتين جليلتين تخرجان من حرم الإمام الحسين عليه السلام وقد حفّت بهما النساء، وأعد لهما ذلك الشاب الوسيم محملاً فلما دنا من المحمل ثني رجله فركبت الامرأتان المحمل والحسين عليه السلام ينظر إليهم، فسألت رجلاً منهم: من هما تلك الامرأتان؟ ومن هو ذلك الشاب ذو الطلعة الغراء؟ فقيل لي: تلك الامرأتان أحداهما زينب بنت علي عليه السلام والأخرى أم كلثوم بنت علي عليه السلام، وأما ذلك

---

(١) مكارم الأخلاق للطبرسي: ص ٣٦.

الشاب الجميل فهو عباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام»[1].

وقفة

من خلال تأملنا لهذه الرواية المليئة بالجمال والرفعة والبهاء والهيبة، نلمس روعة الصورة وعلو الشخصية كما يلي:

١. حرص الإمام عليه السلام أن يكون الموكب مهيباً ينسجم مع مقام بني هاشم وهيبتهم، ومع علو القيادة وعظمتها.

٢. الحرص على عفة المرأة رغم ان ظهورها أمام أبناء عشيرتها وأعمامها.

٣. حينما تكون حركة الركب الحسيني حركة علنية وبهذه الأبهة والهيبة إنما تدل على الشجاعة والإقدام وعدم الالتفات للحكومة الحاكمة.

٤. ينبغي ان تسافر المرأة برفقة محارمها ولاسيما إذا كان سفرها بعيداً.

٥. ان الراوي يصف جلال العقيلة زينب وأختها السيدة أم كلثوم لما رأى من حجاب كامل، وحركة وقورة، ورزانة عالية.

مواقف ومنازل

أولا: منزل الخزيمية

سارت القافلة الحسينية المباركة متجهة إلى العراق مارة بمنازل متعددة كان فيها للسيدة زينب عليها السلام مواقف وحوارات مع أخيها الإمام الحسين عليه السلام كما في منزل «الخزيمية» فلقد روي ان الإمام الحسين عليه السلام لما نزل في «الخزيمية» وأقام فيه يوماً وليلة قصدته أخته زينب عليها السلام في صباح تلك الليلة وقالت:

إني سمعت البارحة هاتفاً يقول:

---

(١) زينب الكبرى بطلة الحرية ص ١٠٢، وفي التعليقة: الخصائص الزينبية.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ألا يـا عـين فـاحتفلي بجهـد	فمـن يبكـي علـى الـشهداء بعـدي
علـى قـوم تـسوقهم المنايـا	بمقـدار إلـى انجـاز وعـد

فقال لها الإمام الحسين عليه السلام :

«**يا أختاه كل الذي قضى الله فهو كائن**»[1].

نلمس من هذه المحاورة اهتمام السيدة زينب عليها السلام بما سيؤول إليه المصير وحزنها على فراق الإمام المعصوم عليه السلام والأخ الحنون والكهف الحصين والأحبة من بني هاشم والأصحاب المخلصين، ونلمس روعة الرد العقائدي الذي يبعث الهدوء في النفس والاطمئنان في القلب، ويوطد العلاقة الإيمانية مع الباري جل شأنه.

ثانيا: السيدة الصغرى في منزل «الرُحيمة»

من خلال عرض هذه الأحداث التي وقعت في منازل السفر التي قطعها الركب الحسيني نستظهر أموراً كثيرة ولاسيما فيما يتعلق بالسيدة زينب عليها السلام .

فلقد ورد في الرواية التاريخية :

«ان الإمام الحسين عليه السلام حط رحاله في منزل الرُحيمة للراحة من وعثاء السفر ومشقة الطريق، فنصب خيامه وانزل حريمه وبينما هو مشغول بذلك اخبره أحد أصحابه بأنه رأى رؤوس النخيل، إلا أن الإمام عليه السلام تحقق من الأمر فتبين له ان الذي رآه هذا الرجل إنما هو خيل ورجال وليس نخيلاً حتى إذا ما اقتربت الخيل اتضح ان الحر بن يزيد الرياحي على رأس جيش من أهل الكوفة قدموا ليحبسوا الإمام عليه السلام عن الرجوع ويجبروه على القدوم إلى الكوفة.

واتضح أيضاً ان القوم يقصدون القتال إذا امتنع الإمام عليه السلام عن ذلك وان

---

(١) الشمس الطالعة: ج ٢، ص ٨.

الغدر قد وقع من بعض أهل الكوفة الذين دعوا الإمام عليه السلام لقيادتهم ضد السلطة الأموية الغاشمة.

فلما علمت السيدة زينب عليها السلام بذلك ايقنت بالخطر المحدق بالإمام عليه السلام وعياله وأصحابه وتألمت وتأثرت كثيراً حتى ارتفع صوتها بين نسائها قائلة:

«... ليت الأعادي يرضون أن يقتلونا بدلاً عن أخي»[1].

لا شك في ان السيدة زينب عليها السلام متيقنة مما سيقع في كربلاء ومما سيحل بأخيها وبأهل بيته وأصحابه إلا ان الحق ان تعبر عن مشاعرها الأخوية وعن موقفها إزاء إمامها لتعلمنا وجوب الدفاع عن حرمة المعصوم عليه السلام وتؤكد لنا أحقية الإمام عليه السلام في قيادة الأمة، وتدعو النساء إلى احترام ومحبتها الأخوة.

ثالثا: السيدة البطلة في كربلاء

حل الركب الحسيني في أرض كربلاء وضُربت الأخبية، وأنزلت الحريم، تتقدمهن لبوة الطف وسيدة بني هاشم عليها السلام واستقر المقام بزينب الصابرة فجاءت إلى أخيها الإمام الحسين عليه السلام وقالت:

أرى هذه مخوفة وقد امتلكني خوف عظيم.

فقال لها الحسين عليه السلام:

أختاه حينما خرجنا إلى صفين نزل أبي بهذا الموضع، وبعد انقضاء صلاته وضع رأسه في حجر أخي الحسن عليه السلام وكنت حاضراً، ونام ساعة ثم انتبه وأخذ يبكي، فسأله أخي الحسن عليه السلام: أبتاه لم تبكي؟ فقال: «كأني رأيت في منامي أن هذا الوادي بحرٌ

---

(١) الشمس الطالعة: ج ٢، ص ٩.

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

من الدم والحسين قد غرق فيه وهو يستغيث فلا يُغاث.

ثم نظر إليّ والدي وقال: يا أبا عبد الله، لو جرى عليك ذلك فماذا أنت فاعل؟.

قلت: أصبر ولابدّ لي من الصبر.

فلما سمعت زينب عليها السلام ذلك بكت بكاءً شديداً»[1].

لاشك في ان بكاء السيدة الصغرى بهذه الشدة ليس عاطفة جياشة فحسب، وليس رقة نسائية فقط بل هو موقف رافض لما يجري على المعصوم عليه السلام، وألم وحزن على انتهاك حرمة الإسلام المتجسد في شخصية الإمام الحسين عليه السلام.

رابعاً: لوعة العقيلة في يوم تاسوعاء

ما انفكت شريكة الإمام الحسين عليه السلام ملازمة لأخيها ومشاطرته همومه وأحزانه، ولاسيما حينما تراه وحيداً قد أحاطت به جيوش العمى من كل حدب وصوب، وهي تنظر في عينيه حائراً متألماً لما سيصيب هؤلاء الجهلة بسببه، فلقد ورد: «ان عمر بن سعد زحف على مخيم الحسين عليه السلام عصر اليوم التاسع من محرم وكان لصيحتهم دوي يوحي بالهجوم، وكان الحسين عليه السلام محتبياً بسيفه وقد خفق برأسه فسمعت أخته العقيلة الصيحة فدنت من أخيها وقالت:

يا أخي أما تسمع هذه الأصوات قد دنت منا؟.

فرفع الحسين عليه السلام رأسه وقال:

إني رأيت رسول الله الساعة في المنام وهو يقول: إنك صائر إلينا عن قريب. فلطمت زينب عليها السلام وجهها ونادت بالويل والثبور:

---

(١) الشمس الطالعة: ج ٢، ص ٩، ١٠.

يا ويلتاه!!.

فقال لها الحسين عليه السلام :

«**ليس لك الويل يا أخية اسكتي رحمك الله، ولا تشمتي بنا القوم**».

فسكتت[1].

من خلال التأمل في هذه الرواية التاريخية يظهر لنا مما يرتبط بالسيدة زينب عليها السلام ما يلي :

١ . ان السيدة الحزينة عليها السلام لم يشغلها تعب السفر ولا إدارة العائلة من نساء وأطفال عن متابعة الأحداث ومشاركة الإمام عليه السلام شؤونه الحربية.

٢ . لطمها لوجهها دلالة على جواز الفعل، ولاسيما وقد فعلت ذلك أمام المعصوم عليه السلام الذي يعدّ إقراره حجة على الجواز.

٣ . أكد الإمام عليه السلام ان الويل للعصاة والكفار وليس للمؤمن الصالح من خلال قوله «**ليس لك الويل يا أخية**».

٤ . دعاؤه بالرحمة لأخته بقوله «**رحمك الله**» ينم عن الخلق العالي في المخاطبة، و حبه الرحمة لأخته كما يحب ذلك لنفسه.

٥ . يؤكد الإمام الحسين عليه السلام ان شماتة الأعداء فيها أذًى كبير وهي جزء من الحرب النفسية التي تزيد في معنويات العدو.

٦ . امتثال السيدة الصغرى لأمر أخيها يعني طاعتها لإمامها قبل ان تكون طاعة لأخيها رغم حاجتها للتعبير عن مشاعرها الجياشة.

---

(١) الشمس الطالعة : ج ٢، ص ١٢.

خامساً: السيدة العقيلة في الليلة الرهيبة

يعجز القلم عن وصف تلك الليلة لما فيها من هم وحزن وقلق وخوف، لأنها ليلة ذات صباح مظلم، ونهار دموي، ليلة يرحل في غدها الأحبة، وتنتهك الحرمات وتسحق المقدسات، ويُقتل الرجال وتزهق أرواح الأطفال، وتحرق الخيام، وتنطفئ زهرة الشباب، ويعتدى على حجة الله في خلقه، ويؤذى النبي المصطفى ﷺ، وتثكل سيدة النساء عليها السلام، يا لها من ليلة حمقاء تجمعت فيها جيوش العمى وجنود الضلال لتنزل الظلم على بيت آل الرسول ﷺ وتفرق بين الأم ووليدها وبين الأخت وأخيها، وبين الأخ وأخيه، وبين الصديق وصديقه وبين الإمام ورعيته، في هذه الليلة لم تنطبق الجفون على بعضها، ولم تجف العيون عن دمعها، ولم يفتر العبّاد عن عبادتهم، ولم يتعب القراء عن قراءتهم لكتاب ربهم، فلذا نرى في هذه الليلة سيدتنا أم المصائب عليها السلام وهي تنتقل من خيمة إلى أخرى كما تنتقل النحلة بين الورود، تارة عند إمامها الحسين وأخيها الحنون عليه السلام وأخرى عند حاميها وكافلها، وثالثة مع أولادها وأبناء أخوتها، ورابعة في خيام بني عمها لتملأ ناظريها منهم وتسكّن روعها وتقر قلبها.

سادساً: لم تخطئ السيدة عليها السلام

انبلج الفجر وأدبر الليل بسرعة خاطفة، وأشرقت الشمس، واقتربت المنايا، وجاء الأجل، وتهيأ الأبطال لنصرة الحق ودحض الباطل، واستعدت النفوس للقاء الله تعالى، ولبس الرجال القلوب على الدروع، وجلس الإمام المعصوم عليه السلام في خباء له ومعه جون الصحابي الوفي كما ورد عن مولانا علي بن الحسين عليه السلام:

«إني لجالس في تلك العشية التي قتل أبي في صبيحتها وعندي عمتي زينب تمرّضني إذ اعتزل أبي خباء له وعنده جون

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

مولى أبي ذرّ الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول:

يا دهر افّ لك من خليل — كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيل — والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل — وكلّ حي سالك سبيلي

فأعادها مرّتين أو ثلاثة حتى فهمتها وعرفت ما أراد، فخنقتني العبرة فرددتها ولزمت السكوت، وعلمت أنّ البلاء قد نزل، وأما عمتي فإنها لمّا سمعت وهي امرأة ومن شأن النساء الرقّة والجزع فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها وإنها لحاسرة حتى انتهت إليه فقالت:

واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أمّي فاطمة وأبي عليّ وأخي الحسن، يا خلفية الماضين وثمال الباقين، فنظر إليها الحسين عليه السلام؛ فقال لها: يا اخيّة، لا يذهبنّ بحلمك الشيطان ـ وترقرقت عيناه بالدموع ـ وقال:

لو ترك القطا يوماً لنام، فقالت يا ويلتاه، أفتغصب نفسك اغتصاباً فذلك أقرح لقلبي وأشدّ على نفسي، ثمّ لطمت وجهها وهوت إلى جيبها فشقّته وخرّت مغشياً عليها...[1].

من خلال التمعن بهذه الصورة الحزينة استوقفتني بعض العبارات التي تفوه بها سيد الشهداء عليه السلام مع أخته قائلاً: «**يا أخية، لا يذهبن بحلمك الشيطان**» وولده الإمام زين العابدين عليه السلام حينما يقول: «**واما عمتي فإنها لما سمعت وهي امرأة ومن شأن النساء الرقة والجزع فلم تملك نفسها**... الخ كما ورد أعلاه» فلابد من رفع التوهم الذي قد يحصل من تفسير كلام الإمامين المعصومين

(١) كلمة السيدة زينب عليها السلام: ص ٤٢.

في حق السيدة الصغرى عليها السلام.

١ . بالنسبة لعبارة الإمام الحسين عليه السلام لا تعني ان السيدة زينب عليها السلام يمكن ان تكون تحت سلطة الشيطان في أي حال من الأحوال لامتناع وصوله إليها لقوله تعالى:

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾(١).

ولاشك في علو مقام هذه السيدة الجليلة عليها السلام التي هي من المصاديق الظاهرة لهذه الآية الكريمة إلا ان قول الإمام عليه السلام يأتي في معنى قول الله تعالى لرسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾(٢).

أي اثبت على ما أنت عليه من التقوى «فيكون الأمر الإلهي تأكيداً على واجبات النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جهة، وهي درس وعبرة لكل المؤمنين من جهة أخرى»(٣).

وهكذا يكون معنى قول الإمام المعصوم عليه السلام لأخته التي تليه في العصمة.

٢ . وأما قول الإمام المعصوم زين العابدين عليه السلام:

«واما عمتي فإنها لما سمعت وهي امرأة ومن شأن النساء الرقة والجزع فلم تملك نفسها ... الخ».

فهو مبني على ان السيدة زينب عليها السلام حكمها كحكم النساء الأخريات من

---

(١) سورة النحل، الآيات: ٩٨ ـ ١٠٠.

(2) سورة الأحزاب، الآية: ١.

(٣) الأمثل: ج١٣، ص ١٠٠.

حيث الرقة والعاطفة الجياشة التي يجب ان تتحلى بها المرأة بصورة عامة والتي تنسجم مع فطرتها وإلا إذا لم تتصف بالرقة والعاطفة فهي ناقصة الأنوثة والأمومة معاً ولاشك في أن السيدة زينب عليها السلام امرأة عالِمة غيرُ معلَّمة وفَهِمة غير مفهَّمة كما وصفها بذلك الإمام زين العابدين عليه السلام في موطن آخر، فلا يجوز ان نتصورها امرأة جزوعاً إلى درجة الخروج على أمر الله بل يجب ان نشهد بأن صبرها صار مثالاً يقتدى به وتؤخذ منه الدروس والعبر.

سابعا: السيدة عليها السلام تحث على النصرة

ورد عن بعض أرباب المقاتل: أن الحسين عليه السلام خرج ليلة العاشر من المحرم في جوف الليل إلى خارج الخيام يتفقد التلال والعقبات، فتبعه نافع بن هلال الجملي فسأله عما أخرجه في هذه الساعة فقال نافع يا ابن رسول الله، أفزعني خروجك إلى جهة معسكر هذا الطاغية في هذه الساعة!. قال الحسين عليه السلام:

إني خرجت أتفقد التلاع والروابي، مخافة أن تكون مكمنا لهجوم الخيل يوم تحملون ويحملون.

ثم رجع عليه السلام وهو قابض على يد نافع وهو يقول:

هي هي والله وعد لا خلف فيه.

ثم قال لنافع: ألا تسلك بين هذين الجبلين في جوف الليل، وتنجو بنفسك؟!.

فوقع نافع على قدمي أبي عبد الله يقبلهم ويقول: «إذاً ثكلت نافعاً أمّه، سيدي إن سيفي بألف وفرسي مثله، فوالله الذي منّ بك عليّ، لا فارقتك حتى يكلأ عن فري وجري.

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

ثم دخل خيمة النساء ووقف نافع بإزاء الخيمة ينتظره، فسمع زينب عليها السلام تقول للحسين عليه السلام ـ وقد اختنقت بعبرتها ـ:

وا أخاه، وا حسيناه، أشاهد مصرعك وأبتلي برعايتي هذه المذاعير من النساء، والقوم ـ يا ابن أمي ـ كما تعلم ماهم عليه من الحقد القديم، ذلك خطب جسيم يعز عليّ مصرع هذه الفتية وأقمار بني هاشم.

ثم قالت:

يا أخي، هل استعلمت من أصحابك نياتهم.؟! فإني أخشى أن يسلموك عند الوثبة واصطكاك الأسنة.

فبكى الحسين عليه السلام وقال لها:

أما والله، لقد بلوتهم، فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنية دوني استيناس الطفل إلى محالب أمه.

قال نافع: فلما سمعت هذا منه بكيت، وأتيت حبيب بن مظاهر، فوجدته جالساً في خيمته والسيف مصلت بين يديه، فحكيت له ما سمعت من الحسين ومن أخته زينب.

فنهض حبيب قائماً على قدميه، وقال: والله لولا انتظار أمره لعاجلتهم وعالجتهم بسيفي هذه الليلة ما ثبت قائمه بيدي.

فقلت له: إني خلفته عند أخته زينب، وهي في حال وجل، ورعب، وأظن أن النساء قد أفقن وشاركنها في الحسرة، فهل لك أن تجمع أصحابك وتواجههن بكلام يطيب قلوبهن ويذهب رعبهن.

فقام حبيب ـ ومعه نافع ـ ونادى بين الخيام يا أصحاب الحمية، ويا ليوث

الكريهة !.

فتطالعوا من مضاربهم كالأسود الضارية يقدمهم أبو الفضل العباس بن علي عليه السلام ثم التفت إلى أصحابه وحكى لهم ما شاهده وسمعه نافع من الحسين ومن أخته زينب.

فقالوا بأجمعهم: والله الذي منّ علينا بهذا الموقف، لولا انتظار أمره لعاجلناهم بسيوفنا الساعة فطب نفساً وقرّ عيناً.

فجزاهم حبيب خيراً، وقال: هلموا لنواجه النسوة ونطيب خاطرهن.

وجاء حبيب ومعه أصحابه إلى خيم النساء، وأخذ ينادي السلام عليكم يا ساداتنا، السلام عليكم يا معشر حرائر رسول الله، هذه صوارم فتيانكم، آلوا أن لا يغمدوها إلا في رقاب من يريد السوء بكم، وهذه أسنة غلمانكم أقسموا أن لا يركزوها إلا في صدور من يفرق ناديكم، فخرجن النساء إليهم ببكاء وعويل ـ تقدمهن العقيلة زينب ـ وقلن لهم:

«أيها الطيبون حاموا عن بنات رسول الله وحرائر أمير المؤمنين».

فضج القوم بالبكاء حتى كأن الأرض تميد بهم(١).

لا حاجة إلى التعليق على هذه الصورة الرائعة التي تظهر من خلالها السيدة الصغرى زينب عليها السلام بحق لبوة حيدر وفخر النساء بما لها من شعور مرهف وعاطفة رقيقة مؤطرتين بفهم عميق وعقل حكيم يجعلها أفضل النساء بعد أمها السيدة الزهراء عليها السلام في الاهتمام بأمور الأمة والدفاع عن الإمامة والإمام بما أوتيت من قوة.

---

(١) الشمس الطالعة: ج ٢، ص ٢٢ ـ ٢٥.

ثامنا: ابتسامة السيدة زينب عليها السلام

في هذه الليلة الرهيبة التي ملأت القلوب حزنا وهمّاً تتنقل السيدة المهمومة من خيمة إلى أخرى دون أن يغمض لها جفن ودون أن يهدأ لها قلب أو تستقر لها نفس إلا أنها مع هذه المعاناة الكبيرة ابتسمت السيدة الصغرى عليها السلام وهذا ما حدثتنا عنه قائلة :

«لما كانت ليلة عاشوراء من المحرم خرجت من خيمتي لأتفقد أخي الحسين عليه السلام وأنصاره وقد أفرد له خيمة فوجدته جالساً وحده يناجي ربه ويتلو القرآن، فقلت في نفسي: أفي مثل هذه الليلة يُترك أخي وحده! والله لأمضين إلى إخوتي وبني عمومتي وأعاتبهم بذلك. فأتيت إلى خيمة العباس فسمعت منها همهمة ودمدمة، فوقفت على ظهرها فنظرت فيها فوجدت بني عمومتي وإخوتي وأولاد إخوتي مجتمعين كالحلقة، وبينهم العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام وهو جاث على ركبتيه كالأسد على فريسته، فخطب فيهم خطبة ما سمعتها إلا آخر خطبته: يا إخوتي وبني عمومتي إذا كان الصباح فما تقولون؟!.

فقالوا: الأمر إليك يرجع، ونحن لا نتعدى لك قولك.

فقال العباس: إن هؤلاء، أعني الأصحاب، قوم غرباء، والحمل ثقيل لا يقوم به إلا أهله، فإذا كان الصباح فأول من يبرز إلى القتال أنتم، نحن نقدمهم للموت لئلا يقول الناس قدّموا أصحابهم فلما قتلوا عالجوا الموت بأسيافهم ساعة بعد ساعة.

فقامت بنو هاشم وسلوا سيوفهم في وجه أخي العباس وقالوا: نحن على ما أنت عليه.

قالت زينب عليها السلام :

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

فلما رأيت كثرة اجتماعهم وشدة عزمهم وإظهار شيمتهم سكن قلبي وخرجت ولكن خنقتني العبرة فأردت أن أرجع إلى أخي الحسين عليه السلام وأخبره بذلك فسمعت من خيمة حبيب بن مظاهر همهمة ودمدمة فمضيت إليها ووقفت بظهرها ونظرت فيها فوجدت الأصحاب على نحو بني هاشم مجتمعين كالحلقة وبينهم حبيب بن مظاهر وهو يقول: يا أصحابي لم جئتم إلى هذا المكان؟ أوضحوا كلامكم رحمكم الله.

فقالوا: أتينا لننصر غريب فاطمة.

فقال لهم: لم طلقتم حلائلكم؟.

فقالوا: لذلك.

قال حبيب: فإذا كان في الصباح فما أنتم قائلون؟

فقالوا: الرأي رأيك ولا نتعدى قولاً لك.

قال: فإذا صار فأول من يبرز إلى القتال أنتم، نحن نقدمهم للقتال، ولا نرى هاشمياً مضرجاً بدمه وفينا عرق ينبض، لئلا يقول الناس قدّموا ساداتهم للقتال وبخلوا عليهم بأنفسهم فهزوا سيوفهم على وجهه وقالوا: نحن على ما أنت عليه.

قالت زينب عليها السلام :

ففرحت من ثباتهم ولكن خنقتني العبرة، فانصرفت عنهم وأنا باكية وإذا بأخي الحسين عليه السلام قد عارضني فسكنت نفسي وتبسمت في وجهه.

فقال: أخية!! فقلت: لبيك يا أخي، فقال عليه السلام: يا أختاه منذ رحنا من المدينة ما رأيتك مبتسمة، أخبريني ما سبب

تبسمك؟!.

فقلت له: يا أخي رأيت من فعل بني هاشم والأصحاب كذا وكذا»[1].

مما ورد أعلاه نلمس رجاحة عقل هذه السيدة عليها السلام ومداراتها لمشاعر أخيها عندما تقول: «**ففرحت من ثباتهم ولكن خنقتني العبرة، فانصرفت عنهم وأنا باكية وإذا بأخي الحسين عليه السلام قد عارضني فسكنت نفسي وتبسمت في وجهه...**» هذا موقف أخلاقي رفيع مليء بالحس الرهيف، وموقف آخر من المداراة والذوق في رعاية الأخت لأخيها واحترام وإجلال المأموم لإمامه يظهر من خلال قولها: «**ولما كانت ليلة عاشوراء من المحرم خرجت من خيمتي لأتفقد أخي الحسين عليه السلام وأنصاره وقد افرد له خيمة فوجدته جالساً وحده يناجي ربه ويتلو القرآن، فقلت في نفسي: أفي مثل هذه الليلة يترك أخي وحده!! والله لأمضين إلى أخوتي وبني عمومتي وأعاتبهم بذلك**».

تاسعا: السيدة عليها السلام مديرة البيت الهاشمي في كربلاء

عادة تدار البيوت والعوائل من قبل أرباب الأسر، فيتصدى الرجل إلى تأمين ما يجب عليه تأمينه من خارج البيت، وتتصدى المرأة لإدارة البيت في الداخل لتسير مسيرة الحياة بصورة سهلة وصحيحة، وهذه الإدارة لعائلة واحدة ذات أشخاص معدودين، ولكن ما تحملته السيدة الصغرى عليها السلام أكبر بكثير من هذه المهام فهي مديرة البيت العلوي بأجمعه قبل حركة الإمام الحسين عليه السلام وصارت مديرة البيت الهاشمي عند

---

(1) الشمس الطالعة: ج ٢، ص ٢٥ ـ ٢٧.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

حركة الإمام عليه السلام فهي المسؤولة عن النساء اللواتي كن في الركب الحسيني وعن الأطفال والصبيان الذين يرافقونهنَّ، وما ورد في كتب التاريخ من صور تبيّن إدارة السيدة زينب عليها السلام لعائلة الإمام الحسين عليه السلام قبل رحيله يؤكد هذا المعنى:

الصورة الأولى

عن الشيخ المفيد رضي الله عنه أنّه يقول: «روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال:

«إني لجالس في تلك العشية التي قتل أبي في صبيحتها وعندي عمتي زينب تمرّضني».

هذه الصورة تظهر مسؤولية السيدة الصغرى عليها السلام إزاء مريض كربلاء وخليفة الإمام الحسين عليه السلام فهذه وظيفة واحدة من وظائف متعددة تصدت لها سيدتنا زينب عليها السلام.

الصورة الثانية

إضافة إلى اهتمامها بأخيها الإمام الحسين عليه السلام ومواساتها له، وحثها بني عمومتها وأصحاب أخيها على التضحية دفاعاً عن الدين وعن الإمام المعصوم عليه السلام نجدها تبحث عن الطرق المناسبة التي تشعر العائلة بالاطمئنان كاقتصادها في صرف الماء بعد شحته، ووضعها عبد الله الرضيع بين يديها لتعلله ليسكت عن البكاء، وتصبّر سكينة على العطش.

الصورة الثالثة

كانت عليها السلام المبادرة دائماً إلى مواساة الإمام عليه السلام عند استشهاد أحد أفراد

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

الأسرة العلوية كما حصل ذلك في استشهاد علي الأكبر عليه السلام كما جاء عن حميد ابن مسلم: فكأني انظر إلى امرأة تنادي بالويل والثبور وتقول:

«حبيباه، يا ثمرة فؤاداه يا نور عيناه يا أخياه وابن أخياه».

فسألت عنها قيل هي زينب بن علي عليه السلام.

الصورة الرابعة

ينقل ان ليلى ام علي الأكبر ورملة أم القاسم طلبن منها ان يبكين على ولديهما ونقلت ذلك إلى الإمام عليه السلام فأذن لهن وهذا ما رواه صاحب كتاب الشمس الطالعة، في بعض الكتب: «قيل إن الحسين عليه السلام لّما جاء بالقاسم إلى الخيمة التي فيها عليّ الأكبر وضعه إلى جنبه فجعل ينظر إلى وجه الأكبر تارة والى وجه القاسم تارة أخرى وهو يكفكف دموعه بكمه وقيل إنه عليه السلام تمدد بينهما وأخذ يقبلهما وينادي:

«واولداه واعليّاه، واقاسماه، وابن أخاه».

وطال جلوس الحسين عليه السلام في الخيمة فاستبطأت ليلى أم الأكبر ورملة أم القاسم خروج الحسين من الخيمة لأنهن يردن أن يبكين على شهدائهن وليس بإمكانهنّ دخول الخيمة والحسين فيها لأنهنّ يخجلن ويستحين من أبي الأحرار، يقول الراوي: فطلبت ليلى وأم القاسم من الحوراء زينب أن تذهب وتطلب من الحسين أن يفسح لهنّ المجال ليقضين وطرهنّ من البكاء على الشباب فجاءت زينب ودخلت على الحسين كلّمته في ذلك وقالت:

«أخي أبا عبد الله، الله يساعدك على هذه المصيبة والله يجبر قلبك ولكن سيدي هذه رملة أم القاسم وليلى أم عليّ الأكبر لهنّ حوباً في البكاء، ويردن الدخول على قتلاهن».

فقال الحسين عليه السلام :

«**إن المصيبة والرزء أكبر فليأتين وليندبن قتلاهنّ، فلما سمعت زينب كلام أخيها الحسين عليه السلام، التفتت إلى خيمة النساء، وصاحت، يا ليلى ويا رملة هلمن للبكاء والعويل**».

واما إدارة السيدة الصغرى عليها السلام لعائلة الإمام الحسين عليه السلام بعد رحيله ومن معها في واقعة الطف فواضحة جليّة، ولا بأس بإيراد بعض الصور التي تبيّن هذه الإدارة الفذة لصاحبة العقل الكامل والصفات العلوية :

الصورة الأولى

من أهم الأدوار وأولها التي أدتها هذه الصدّيقة الصغرى عليها السلام هو حماية خليفة الله في أرضه وإمام زمانها بعد أبيه الإمام العليل زين العابدين عليه السلام حيث نقل في التاريخ : «رأيت امرأة جليلة واقفة بباب الخيمة والنار تشتعل من جوانبها تارة تنظر يمنة ويسرة وأخرى تنظر إلى السماء وتصفق بيديها وتارة تدخل تلك الخيمة وتخرج، فأسرعت إليها وقلت يا هذي؛ ما وقوفك هاهنا والنار تشتعل من جوانبك وهؤلاء النسوة قد فررن وتفرقن ولم تلحقي بهنّ وما شأنك؟. فبكت وقالت :

«**يا شيخ إنّ لنا عليلاً في الخيمة وهو لا يتمكّن من الجلوس والنهوض فكيف أفارقه وقد أحاطت النار به هكذا!**»[1].

الصورة الثانية

صبرت وأي صبر صبرها، وحزنت وأي حزن حزنها، فلا يضاهي مقامها

---

(١) الشمس الطالعة : ج ٢، ص ٩٩.

مقام، فهي بنت الشهداء وأخت الشهداء وأم الشهداء وعمة الشهداء وخالة الشهداء، وعندما اقبل على السيدة الأكمل بعد أمها الزهراء عليها السلام ليل الحادي عشر بهمومه ووحشته وآلامه صبرت وأدت وظيفتها على أكمل الوجوه، فلقد ورد في بعض الكتب عن كتاب الشمس الطالعة عن مقتل ابن عربي ما مضمونه أن الحسين عليه السلام أوصى أخته زينب عليها السلام بجمع العيال بعد ان يحرق الأعداء الخيام، وفعلاً بعد أن أحرقت الخيام ذهبت زينب عليها السلام في جمع العيال ففقدت طفلين للحسين فذهبت وأختها أم كلثوم عليها السلام في طلبهما فرأتهما معتنقين نائمين على الأرض، فلما دنت منهما عليهما السلام حركتهما فإذا هما ميتين عطشاً[1].

في بعض الكتب: «قيل: إنها جمعت العيال والأطفال وأخذت تتفقّدهم بنفسها وتناديهم بأسمائهم إلى أن وصلت إلى الرباب: **رباب رباب**، ما من جواب فخرجت تفتش عنها فإذا هي بفارس يدور حول الخيمة، قالت: يا هذا من أنت؟ قال سيدتي أنا من عسكر عمر بن سعد أمرني بحراستكم هذه الليلة.

قالت: **يا هذا فقدنا امرأة أما رأيتها؟**.

قال: لا ولكن صار مروري على ساحة المعركة فسمعت أنيناً لعلها هي فأقبلت زينب تنادي:

رباب أين أنت؟ ما الذي أخرجك في هذه الليلة؟.

قالت لها: **سيدتي صدري أوجعني وثدياي درّتا عليّ فخرجت أبحث عن ولدي...**».

---

(١) الشمس الطالعة: ج ٢، ص ١٠٧.

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

الصورة الثالثة

تولت السيدة العقيلة عليها السلام إركاب النساء والأطفال في عصر يوم الحادي عشر من المحرم حفاظاً على هيبة البيت العلوي وصيانة لخدر النساء اللواتي معها وتجنباً للاحتكاك مع الرجال الأجانب وان دعت الضرورة لذلك، فحرصت السيدة على إدارة الركب الحسيني بصورة منظمة دون ارتباك أو خوف ولاسيما وهي امرأة ومن شأن النساء الرقة والعاطفة وسرعة الجزع إلا أن السيدة زينب عليها السلام استطاعت أن تضع لكل مقام تصرفا خاصاً به، فإذا كانت الحالة التي أمامها تتطلب الصبر والتجلد تلبست بذلك، وإذا كانت الحالة تتطلب الدفاع والحماية بادرت إلى ذلك، وإذا كانت الحالة تقتضي الموقف العاطفي نراها عليها السلام لا تدخر وسعاً في ذلك وهذا ما تبينه الصورة التاريخية لحركة الركب الحسيني في كربلاء فلقد ورد عن كتاب الشمس الطالعة: «إنه لمّا كانت الليلة الحادية عشرة وكانت ليلة مقمرة أخذت الحوراء زينب عليها السلام تلتفت إلى الحماة فما رأت منهم أحداً إلا وقد قطع الحمام أنينه وصافح التراب جبينه عند ذلك قالت لأختها أم كلثوم:

نحن هذه الليلة نقوم في حراسة العيال والأطفال ونقسّم الليل ثلاثة أقسام، قسم عليّ وقسم عليك وقسم على ابنة أخي سكينة.

فقامت زينب في حراسة العيال من أول الليل».

عن كتاب أسرار الشهادة: «روى عبد الله بن سنان عن أبيه أنّه أمر ابن سعد (لعنه الله) بان تحمل النساء على الاقتاب بلا وطاء وحجاب فقدّمت النياق إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أحاط القوم بهنّ وقيل لهن تعالين واركبن فقد أمر ابن سعد بالرحيل. فلما نظرت زينب عليها السلام إلى ذلك نادت وقالت:

سوّد الله وجهك يا ابن سعد في الدنيا والآخرة تأمر هؤلاء

القوم بأن يركبونا ونحن ودائع رسول الله ﷺ؟ فقل لهم يتباعدون عنا يُركب بعضنا بعضاً.

قال: فتنحوا عنهنّ، فتقدّمت زينب عليها السلام ومعها أم كلثوم وجعلت تنادي كل واحدة من النساء باسمها وتركّبها على المحمل حتى لم يبق أحد سوى زينب عليها السلام فنظرت يميناً وشمالاً فلم تر أحداً سوى زين العابدين عليه السلام وهو مريض فأتت عليه وقالت له:

قم يا ابن أخي واركب الناقة.

فقال:

يا عمتاه اركبي أنت ودعيني أنا وهؤلاء القوم.

فرجعت إلى ناقتها لأنها لم تقدر على مخالفة الإمام فالتفتت يميناً وشمالاً فلم تر إلا الأجساد على الرمال ورؤوساً على الأسنّة بأيدي الرجال فصرخت وقالت:

«واغربتاه وأخاه واحسيناه واعباساه، وارجالاه واضيعتاه بعدك يا أبا عبد الله».

قال الرواي: فلما رأتهم على هذه الحالة ذكرت خروجهم من الحجاز وما كانوا عليه من العزّة والرفقة والعظمة والجلالة. فبكيت على حالهم وما جرى عليهم، ثم قال: «فلمّا نظر الإمام زين العابدين عليه السلام إلى ذلك لم يتمالك على نفسه دون أن قام وهو يرتعش من الضعف فأخذ بعصاه يتوكأ عليها واتى إلى عمّته وثنى ركبته وقال:

اركبي فلقد كسرت قلبي وزدت كربي، فأخذ ليركبها فارتعش من الضعف وسقط على الأرض».

فلما رآه الشمر أتى إليه وبيده سوط فضربه فجعل عليه السلام ينادي:

«واجدّاه، وامحمداه، واعليّاه، واحسناه، واحسيناه!».

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

فبكت زينب عليها السلام وقالت:

«**ويلك يا شمر، رفقاً بيتيم النبوة وسليل الرسالة وحليف التقى وتاج الخلافة**».

فلم تزل تقول كذا حتى نحته عنه، وإذا بجارية مسنة سوداء، قد أقبلت إلى زينب عليها السلام فأركبتها فسألت عنها فقالوا هذه فضة جارية فاطمة الزهراء عليها السلام. ثم أركبوا الإمام عليه السلام على بعير أعجف، فلم يتمالك الركوب من شدة الضعف فاخبروا ابن سعد فقال قيدوا رجليه من تحت بطن الناقة!! ففعلوا ذلك وساروا بهم على تلك الحالة[١].

الصورة الرابعة

وهي تؤدي دور تخفيف اللوعة عن القلب الكسير للإمام زين العابدين عليه السلام وتواسي إمامها العليل عليه السلام بما حفظته عن أهلها عليهم السلام.

فتقول له:

«**ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأخوتي، فوالله إن هذا لعهد من الله إلى جدك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات، إنهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة، والجسوم المضرجة، فيوارونها، وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره، ولا يمحى رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وطمسه فلا يزداد**

(١) الشمس الطالعة: ج ٢، ص ١٠٧.

أثره إلا علواً...»[1].

وقفة

هذا النص الذي ورد على لسان الحكيمة العاقلة الكاملة التي تفرغ عن لسان أبيها أمير المؤمنين عليه السلام بقدر ما يحتوي على الحزن والألم فهو يحتوي على مضامين عالية ورائعة وتبعث السرور في قلوب المؤمنين وهي كالآتي:

١ . ان السيدة الصغرى عليها السلام تؤكد إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام بقولها:

«يا بقية جدي وأخوتي...».

وكونه الحجة الذي يخلف الإمام الثالث من أئمة أهل البيت عليهم السلام .

٢ . ان هذا القول الذي سردته على ابن أخيها العليل عليه السلام قول لا يعتريه الشك أو الاحتمال أو التغير بدليل قسمها بالله تعالى على ان هذا عهد من الله لرسوله المصطفى ولسيد الشهداء عليه السلام فنراها تقول:

«فوالله إن هذا عهد من الله إلى جدك وأبيك».

٣ . انها تشير إلى فئتين من المؤمنين، الفئة الأولى هي التي تجمع الأعضاء المقطعة والأجساد الطاهرة وتواريها وتنصب علما شامخاً لا ينتكس وأثراً بارزاً لا يُدرس، والفئة الثانية هي التي تديم بقاء هذا العلم وهذا الأثر تحافظ على قبر سيد الشهداء عليه السلام .

٤ . تبشر ببشارات هي:

أ. ان هذه الأجسام الطاهرة ستدفن وسيكون لها قبر بفعل محبيها وعشاقها.

---

(١) كامل الزيارات: ص٢٢١.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ب. ان الذين يدفنون الأجساد وينصبون العلم والذين يحافظون على قيام هذا القبر ويدافعون عنه معروفون في أهل السماء مما يدل على حسن مكانتهم وعلو مقامهم.

ج. ان هذا القبر سيبقى شامخا في النفوس قبل التراب، وان هؤلاء الشهداء وسيدهم الإمام الحسين عليه السلام مكانهم في القلوب قبل القبور، وسيعجز أئمة الجور والضلال عن الإطاحة بهذا الشموخ مهما طال الزمن، ومهما كثرت وتنوعت أدوات التهديم.

د. ان هذا القبر وهذا الطف سيسلّم مصاناً شامخاً معطاءً إلى مولانا الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف رغم تكرر الليالي والأيام وعبث العابثين.

عاشرا: السيدة زينب تكمل النهضة

استشهد الإمام الحسين عليه السلام وولده وإخوته وبنو عمومته وأصحابه، تحول الدور إلى الإمام السجاد عليه السلام وعمته السيدة زينب عليها السلام في استمرار النهضة الحسينية المباركة فشرعا في صفع الطغيان الأموي ابتداءً من الكوفة وانتهاء في مجلس الطاغية الفاسق يزيد بن معاوية من خلال تسليط الضوء على الثورة والثوار وبيان مقام من تصدى للباطل في كربلاء، وتعرية زيف الأمويين وأذنا بهم وضحالة اتباعهم، وهبت السيدة العلوية عليها السلام لممارسة دورها الإعلامي الحق من خلال خطبها المتتالية، فتارة تخاطب الجماهير وأخرى ترد على ابن زياد (لعنه الله) وما ينقله بشير بن خذيم الأسدي شاهد على علم وحكمة العقيلة عليها السلام قال: «لم أر والله خفرة أنطق منها، كأنما تنطق وتفرع على لسان أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أشارت إلى الناس بأن انصتوا فارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس، ثم قالت بعد

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

حمد الله تعالى والصلاة على رسوله ﷺ :

أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر، أتبكون فلا رقأت العبرة ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة انكاثاً تتخذون ايمانكم دخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلا الصلف النطف والعجب والكذب والشنف وملق الاماء وغمز الأعداء كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة، ألا بئس ما قدمت أنفسكم أن سخط الله عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون وتنتحبون، أي والله فابكوا كثيرا واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسلٍ بعدها أبداً، وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوّة ومعدن الرّسالة، ومدره حجتكم ومنار محجتكم، وملاذ خيرتكم ومفزع نازلتكم. وسيّد شباب أهل الجنة ألا ساء ما تزرون، فتعساً ونكساً وبعداً لكم وسحقا، فلقد خاب السّعي، وتبّت الأيدي، وخسرت الصّفقة، وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة، ويلكم يا أهل الكوفة أتدرون أي كبد لمحمد صلى الله عليه وآله فريتم؟، وأيّ كريمة له أبرزتم، وأيّ دم له سفكتم؟ وأي حرمة له انتهكتم؟ لقد جئتم شيئاً إداً تكاد السموات يتفطّرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّا. ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء كطلاع الأرض وملء السماء، أفعجبتم أن مطرت السماء دماً ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون، فلا يستخفتكم المهل فإنّه لا يحفزه البدار ولا يخاف عليه فوت الثار، وإن ربّكم لبالمرصاد[1].

---

(1) مقتل الحسين للسيد المقرم: ص ٣٢٦.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ثم أنشأت تقول:

مـاذا تقولـون إذ قـال النبـي لكـم ... مـاذا صـنعتم وأنـتم آخـر الأمـم
بأهــل بيتــي وأولادي وتكرمتــي ... مـنهم أسـارى ومـنهم ضـرّجوا بـدم
ما كان هذا جزائي إذ نـصحت لكم ... أن تخلفـوني بـسوء فـي ذوي رحـم
إنـي لأخـشى علـيكم أن يحـلّ بكـم ... مثـل العـذاب الـذي أودى علـى إرم

ثـم ولّـت عـنهم، قـال حـذام: فرأيـت النّـاس حيـارى قـد ردوا أيـديهم في أيديهم، فالتفتّ إلى شيخ إلى جانبي يبكي وقد اخضلت لحيته بالبكاء ويده مرفوعة إلى السماء وهـو يقـول: بـأبي وأمـي كهـولهم خير الكهـول وشـبابهم خير الـشباب ونسلهم نسل كريم، وفضلهم عظيم، ثم أنشد يقول:

كهــولهم خيــر الكهــول ونــسلهم ... إذا عـدّ نـسل لا يبـور ولا يخـزى(١)

وما رواه الشيخ المفيد رحمه الله شـاهد على بطولـة هـذه اللبـوة فيقـول: وانحـازت زينـب ابنـة أمير المؤمنين عليه السلام عـن النـساء وهـي متنكّـرة لكـن جـلال النبـوة وبهـاء الإمامة المنسدل عليها استلفت نظر ابن زياد فقال: من هذه المتنكّرة؟ قيل لـه: ابنـة أمير المؤمنين زينب العقيلة.

فـأراد أن يحـرق قلبهـا بـأكثر ممـا جـاء إلـيهم فقـال متـشمّتاً: الحمـد لله الـذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم فقالت عليها السلام:

«الحمـد لله الـذي أكرمنـا بنبيّـه محمـد وطهرنـا مـن الـرجس تطهيراً إنّما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا».

فقال ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ قالت عليها السلام:

«ما رأيتُ إلاّ جميلاً هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلـى

---

(١) الدمعة الساكبة في أحوال النبي والعترة الطاهرة: ج ٥، ص٣٦ ـ ٣٨.

مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أمّك يا ابن مرجانة».

السيدة الهاشمية عليها السلام ترعى العائلة

تأكيداً منها على التصدي لإدارة شؤون عائلة أخيها الإمام الحسين عليه السلام وتنفيذاً للعهد الذي أعطته إياه نراها تنتقل من وظيفة إلى أخرى مع ما هي عليه من ألم وحزن ومرارة تركتها مصيبة كربلاء، فتارة تبحث عن أيتام أخيها الإمام عليه السلام وأخرى ترعى حالة ابن أخيها الإمام السجاد عليه السلام وما ورد في كتب التاريخ يوضح هذه الصورة، عن الشيخ رحمه الله قال: «لما رحلوا بالسبايا والرؤوس إلى دمشق وعدل بهم يراجع عن الطريق إلى قصر بني مقاتل، وكان ذلك اليوم يوماً شديد الحر وكانت القربة التي معهم خرقت وأريق ماؤها فاشتد بهم العطش، وأمر ابن سعد عدة من قومه في طلب الماء وأمر بفسطاط فجلس هو وأصحابه (لعنهم الله)، ورموا بالسبايا والأطفال على وجه الأرض تصهرهم الشمس، فأتت زينب عليها السلام إلى ظل جمل هناك وفي حضنها علي بن الحسين عليه السلام وقد اشرف على الهلاك من شدة العطش وبيدها مروحة تروحه بها من الحر وهي تقول:

«يعزّ عليّ أن أراك بهذا الحال يا ابن أخي»[1].

السيدة العقيلة عليها السلام تقاتل بالشعر

ورد عن أبي مخنف ان العقيلة الهاشمية عليها السلام أنشأت أبياتاً من الشعر في منازل مختلفة مر بها الركب الحسيني كمنزل نصيبين فقالت:

أتشهرونا في البرية عنوة ... ووالدنا أوحى إليه جليل

(1) الشمس الطالعة: ج ٢، ص ١٦٢، ١٦٣.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

كفــرتم بــربّ العــرش ثــم نبيّــه ... كـأن لـم يجـئكم فـي الزمـان رسـول
لحكـم إلــه العــرش يــا شــرّ أمــة ... لكـم فــي لظـى يــوم المعــاد عويـل

وهناك أبيات أخرى أنشأتها عندما وصلت القادسية فقالت:

ماتـت رجـالي وأفنـى الـدهر ساداتي ... وزادنـــي حـــسرات بعـــد لوعـــات
صـالوا اللئـام علينـا بعـد مـا علمـوا ... إنّــا بنــات رســولٍ بالهـــدى آتـــي
يـــسيّرونا علـــى الأقتـــاب عاريـــةً ... كأنّنــا بيــنهم بعــضُ الغنيمـــات
يَعْـزُزْ عليـك رسـول الله مـا صـنعوا ... بأهــل بيتــك يــا خيــر البريّــات
كفــــرتم برســــول الله ويلكــــم ... أهْـداكم مـن سـلوكٍ فـي الـضلالاتِ

ومن خلال هذه الأبيات المنسوبة لعقيلة الهاشميين عليها السلام نستظهر ما يلي:

١ . إشارة وتصريح إلى أن هؤلاء السبايا هم آل البيت عليهم السلام الذي أوصى الله تعالى بهم.

٢ . ان إقدام هؤلاء الأوغاد على انتهاك حرمة قافلة آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أدى إلى خروج الفاعل عن دين النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٣ . وعبرت السيدة العالمة عليها السلام بأن الجزاء سيكون في يوم المعاد إضافة إلى ما سينالهم من عذاب في الدنيا.

٤ . بيان شناعة المصيبة وألمها وما ألم بها عليها السلام من حزن شديد.

٥ . قامت السيدة عليها السلام بتعريف السبايا لأهل القادسية لكي تلقي عليهم الحجة.

٦ . تشتكي ما ألمَّ بهم إلى جدها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وتخاطبه مخاطبة الأحياء ليقينها بحياته عند ربه يرزق حيث انه سيد الأولين والآخرين، ويتضمن خطابها لجدها صلى الله عليه وآله وسلم رداً على من لا يعتقد بحياة الأموات.

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

السيدة الهاشمية عليها السلام لسان حق

توالت المصائب على سيدتنا زينب عليها السلام مصيبة بعد أخرى وهي صابرة شامخة تهدر بصوت اللبوة العلوية التي تفرغ عن لسان أبيها أمير المؤمنين عليه السلام فتارة تقرع رؤوس الكفر بكلام لا يقوله إلاّ من أوتي جناناً صلبا، وأخرى تعرّف الركب الحسيني لمن يجهل أو يتجاهل ذلك لإلقاء الحجة ودفع الاشتباه، وثالثة تثني على من يحترم ويعظّم آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وما حصل من رد على تبجّح (شمر بن ذي الجوشن) يشير إلى تقريعها لهذا المسخ فيقول سهل بن سعد الساعدي: «دخل الناس من باب الخيزران ودخلت في جماعتهم، وإذا قد أقبل ثمانية عشر رأساً والسبايا على المطايا بغير وطاء والرأس الشريف على رمح بيد شمر بن ذي الجوشن لعنه الله وهو يقول:

أنا صاحب الرمح الطويل   أنا قاتل الدين الأصيل
أنا قتلت ابن سيّد الوصيين   وأتيت برأسه إلى يزيد أمير المؤمنين

وعلى الرغم من الظروف البالغة من القسوة والشدة إلا أن زينب عليها السلام ردت عليه بشجاعة لا نظير لها وقالت:

«كذبت يا لعين ابن اللعين، ألا لعنة الله على القوم الظالمين، يا ويلك تفتخر عند يزيد الملعون ابن الملعون بقتل من ناغاه في المهد جبرئيل وميكائيل، ومن اسمه مكتوب على سُرداق عرش ربّ العالمين، ومن ختم الله بجدّه المرسلين وقمع بأبيه المشركين، فمن أين مثل جدّي محمد المصطفى وأبي عليّ المرتضى وأمي فاطمة الزهراء صلوات الله عليهم أجمعين»!(١).

(١) الشمس الطالعة: ج ٢، ص ١٦٩.

ولها موقف تتجلى فيه الشجاعة والحكمة أكثر مما سبق مع شمر بن ذي الجوشن حيث يقول الشيخ المفيد: «ثم دعا بالنساء والصبيان فأجلسوا بين يديه فرأى هيأة قبيحة فقال: قبح الله ابن مرجانة لو كانت بينكم وبينه قرابة ورحم ما فعل هذا بكم ولا بعث بكم على هذا، فقالت فاطمة بنت الحسين ولما جلسنا بين يدي يزيد رقّ لنا فقام إليه رجل من أهل الشام أحمر فقال: يا أمير المؤمنين هب لي الجارية يعنيني وكنت جارية وضيئة فأرعدت وظننت أنّ ذلك جائز لهم فأخذت بثياب عمّتي زينب وكانت تعلم أنّ ذلك لا يكون[1].

وأما ما يرتبط بتعريفها الركب الحسيني لمن يجهل أو يتجاهل فهناك أكثر من موقف يشير إلى ذلك كموقفها مع أهل الكوفة المذكور آنفاً، ولكي تشكر المخلوق ـ اذ إن شكره شكر للخالق ـ نراها تثني بالقول أو بالفعل على كل من استنكر هذه الجريمة التي لحقت بآل البيت عليهم السلام أو من ساهم في تخفيف هذه المصيبة، وما بينه التاريخ لشاهد على قولنا هذا فلقد ورد أن الركب الحسيني عند ذهابه إلى الشام مر بمنازل كثيرة في طريقه كتكريت ـ الموصل ـ حرّان ـ دعوات ـ قنسرين ـ سيبور ـ حمص ـ بعلبك ـ قصر بني مقاتل ـ وكان أغلب أهل هذه المنازل أسهموا في أذى أهل البيت عليهم السلام حيث انهم من أتباع يزيد (لعنه الله) وهناك منازل أخرى لا بأس بذكرها كان أهلها من محبي أهل البيت عليهم السلام في حينها كالموصل وسيبور وقنسرين وحماة وحمص وكانوا يرفضون استقبال جلاوزة الطاغية ويغلقون في وجوههم الأبواب ويلعونهم ويرمونهم بالحجارة ويبكون لما حلّ بالأسرة المحمدية وعلى سبيل المثال لما مرت السيدة زينب عليها السلام ومن معها على بلدة حماة وعرفت أن أهلها أغلقوا الأبواب

(1) الشمس الطالعة: ج ٢، ص ١٧٩.

في وجوه القوم ومنعوهم من دخول البلدة احتجاجاً على فعلتهم النكراء، سألت عن اسم البلدة فقالوا لها تسمى «حماة» فقالت:

«**حماها الله من كلّ ظالم**»[1].

العقيلة تهد أركان الطغاة

بعد دخول السبايا إلى الشام المشؤوم وإيقاف الركب في باب الساعات طويلاً تنكيلا بأهل البيت عليهم السلام، وخروج الناس الذين أعماهم الشيطان فرحين مسرورين يضربون الدفوف، وتجاوز المسخ يزيد على الرأس الشريف لسيد الشهداء عليه السلام، وتمثله بأبيات شعرية لابن الزبعرى قامت اللبوة الحيدرية وحكيمة البيت العلوي وعقيلة الوحي والنبوة والإمامة سيدتنا زينب عليها السلام لتقض أركان الدولة اليزيدية وتؤسس منهاجاً للثائرات وتضع نبراساً يقتدى به في قول الحق عند حكام الجور والطغيان فقالت:

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول:

﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾[2].

أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نُساق كما تُساق الأُسارى

أنّ بنا على الله هواناً

---

(١) زينب الكبرى بطلة الحرية: ص ١٨٣. وفي تعليقة الكتاب: منتهى الآمال: ج ١، ص ٣٠٥.

(٢) سورة الروم، الآية: ١٠.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وبك عليه كرامة

وأنّ ذلك لعِظم خطرك عنده؟

فشمخت بأنفك

ونظرت في عطفك

جذلان مسروراً

حين رأيت الدنيا لك مستوسقة

والأمور متّسقة

وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا،

فمهلاً مهلاً،

أنسيت قول الله تعالى:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾(١).

أمن العدل يا ابن الطلقاء

تخديرك حرائرك وإماءك

وسوقك بنات رسول الله سبايا

قد هتكت ستورهنّ

وأبديت وجوههنّ

تحدو بهنّ الأعداء من بلد إلى بلد

ويستشرفهنّ أهل المناهل والمعاقل

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ويتصفح وجوههنّ القريب والبعيد،

والدنيّ والشريف ليس معهنّ من حُماتهنّ حميّ

ولا من رجالهنّ وليّ،

وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء

ونبت لحمه بدماء الشهداء؟

وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت،

من نظر إلينا بالشنف

والشنآن، والإحن

والأضغان؟

ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم:

لأهلّـــوا واســـــتهلّوا فرحـــاً   ثــم قــالـوا يــا يزيــد لا تــشل

منتحياً على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة،

تنكتها بمخصرتك،

وكيف لا تقول ذلك؟

وقد نكأت القرحة

واستأصلت الشأفة

بإراقتك دماء ذريّة محمد ﷺ

ونجوم الأرض، من آل عبد المطلب

وتهتف بأشياخك،

زعمت أنك تناديهم

فلتردنّ وشيكاً موردهم

ولتودّنّ أنك شللت وبكمت

ولم يكن قلت ما قلت،

وفعلت ما فعلت،

«اللهم خذ بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حماتنا»

فوالله ما فريت إلا جلدك،

ولا حززت إلا لحمك،

ولتردنّ على رسول الله ﷺ

بما تحمّلت من سفك دماء ذرّيته.

وانتهكت من حرمته

في عترته ولُحمته،

حيث يجمع الله شملهم.

ويلمُّ شعثهم

ويأخذ بحقهم،

﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾[1].

حسبك بالله حاكماً

وبمحمد ﷺ خصيماً

وبجبرئيل ظهيراً

وسيعلم من سوّل لك

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

ومكّنك من رقاب المسلمين،

بئس للظالمين بدلا،

وأيّكم شرٌ مكاناً وأضعف جنداً،

ولئن جرّت علي الدواهي مخاطبتك

إني لأستصغر قدرك

وأستعظم تقريعك

وأستكثر توبيخك

لكنّ العيون عبرى،

والصدّور حرّى،

ألا فالعجب كلٌ العجب

لقتل حزب الله النجباء

بحزب الشيطان الطلقاء،

فهذه الأيدي تنطف من دمائنا

والأفواه تتحلّب من لحومنا،

وتلك الجثث الطواهر الزواكي

تنتابها العواسل

وتعفوها أمّهات الفراعل،

ولئن أتخذتنا مغنما

لتجدنا وشيكا مغرما،

حين لا تجد إلا ما قدّمت يداك،

وما ربّك بظلام للعبيد،

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وإلى الله المشتكى،

وعليه المعوّل،

فكد كيدك.

واسْعَ سعيك،

وناصب جهدك

فوالله لا تمحو ذكرنا

ولا تميت وحينا،

ولا تدرك أمدنا

ولا يرحض عنك عارها

وهل رأيك إلا فند

وأيّامك إلا عدد

وجمعك إلا بدد

يوم يناد المنادي

ألا لعنة الله على الظالمين.

والحمد لله رب العالمين، الذي ختم لأوّلنا بالسعادة والمغفرة،

ولآخرنا بالشهادة والرحمة،

ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب،

ويوجب لهم المزيد،

ويحسن علينا الخلافة إنّه رحيم ودود

وحسبنا الله ونعم الوكيل[١].

---

(1) مقتل الحسين، السيد المقرم: ص ٣٧٧.

السيدة زينب عليها السلام تقيم مجالس العزاء

إن أول مجلس عزاء على الإمام عليه السلام للنساء هو ما قامت به السيدة العقيلة في كربلاء عند سقوط أخيها الإمام الحسين عليه السلام عن ظهر جواده بل انها أقامت هذه المجالس في حياته وبعد وفاته ولا سيما عند استشهاد إخوتها وبني عمومتها وهذا ما تناقلته كتب المقاتل ولكن لكي يتضح دور السيدة عليها السلام في مدينة جدها صلى الله عليه وآله وسلم مركز الإشعاع الفكري والعلمي لابد من الوقوف على الصور الحزينة التي فيها أكثر من مدلول:

الصورة الأولى

عند وصولها إلى المدينة المنورة ورد أنها أخرجت رأسها من المحمل ونادت في النساء والأطفال:

«انزلوا من الهوادج، فإني أرى الروضة المنورة لجدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

ثم ناحت وبكت بكاءً شديداً حتى كادت نفسها تخرج، فأقبل الناس من كل ناحية يندبون ويلطمون، وارتفعت الأصوات بالبكاء، وضجت تلك البقعة ضجة شديدة كأن الأرض زلزلت تحت أقدامهم. ثم مالت ببصرها إلى كربلاء، وأخذت تكلم أخاها الحسين عليه السلام وتقول:

«أخي حسين!! هؤلاء جدك وأمك وأخوك وأهل بيتك ينتظرون قدومك!! يا نور عيني!! قتلت وأورثتنا الأحزان الطويلة، فياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً»[(١)].

ثم عرّجت على قبر جدها.

---

(١) الشمس الطالعة: ج ٢، ص ٢٢٤.

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

الصورة الثانية

بثت السيدة زينب عليها السلام شكواها إلى جدها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن وقفت على باب مسجده الشريف وهي تنادي: «**يا جداه، إني ناعية إليك أخي الحسين**».

الصورة الثالثة

هذا الحوار الذي جرى بين سيدتنا أم المصائب وشريكتها في المصيبة السيدة الفاضلة زوجة أمير المؤمنين عليه السلام وأم الشهداء الأربعة «أم البنين» حوار لا مثيل له في وصف الحزن الذي أصاب هذه العائلة الإلهية، فلذا جاء في التاريخ حينما دخل أهل البيت عليهم السلام المدينة أقبلت أم البنين ـ أم العباس بن علي عليه السلام ـ إلى زينب عليها السلام وقالت: «**يا ابنة أمير المؤمنين عليه السلام أين أولادي؟!**». فقالت زينب عليها السلام: «**قد قتلوا جميعاً**». فقالت أم البنين: «**أرواحهم لروح الحسين فداء، أين ولدي الحسين**»؟ فقالت زينب عليها السلام: «**قتلوه عطشاناً**»؟!!. لما سمعت أم البنين ذلك ضربت بيديها على رأسها وجعلت تصرخ وتنادي: «**واحسيناه**». ثم قالت لها زينب عليها السلام: «**أتيتك بذكرى من ولدك العباس عليه السلام**». فقالت أم البنين: «**وما هي**»؟!. فأخرجت زينب عليها السلام ترس أبي الفضل العباس والمطلخ بدمه الزاكي من تحت إزارها ولما رأت أم البنين ذلك تفطر قلبها حزناً ولم تتحمل فوقعت مغشياً عليها[1].

الصورة الرابعة

السيدة الصغرى عليها السلام تسرد ما ألم بها من مصائب لنساء المدينة وتركز على السيدة رقية حبيبة أخيها الحسين عليه السلام فتقول: «وأما مصيبة وفاة رقية في خربة الشام فقد احدودب لها ظهري وشاب رأسي».

---

(١) الشمس الطالعة: ج ٢، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

الصورة الخامسة

عودة البنت إلى حضن أمها، فلقد سارعت السيدة زينب عليها السلام بهمومها وأحزانها وآلامها إلى أمها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام منادية:

«أماه! أماه، لقد ضربوني بالسياط حتى جرحوا متني».

ثم قالت:

«لقد أتيتك بقميص الحسين».

وقفة

عند تأمل هذه الصور الحزينة التي سبق ذكرها نستطيع الخروج بعدة ملاحظات وهي:

١ . ان السيدة زينب عليها السلام تحرص على إظهار مظلومية أهل البيت عليهم السلام في مدينة تحت ولاية أعدائهم، وتحرض الجماهير ضد هذه الحكومة الظالمة وتسحب البساط من تحت أقدامها، روى صاحب «أخبار الزينبيات» بإسناده عن مصعب بن عبدالله، قال: «كانت زينب بنت عليّ وهي بالمدينة تؤلّب الناس على القيام بأخذ ثأر الحسين، فلمّا قام عبدالله بن الزبير بمكة وحمل الناس على الأخذ بثأر الحسين وخلع يزيد، بلغ ذلك أهل المدينة، فخطبت فيهم زينب، وصارت تؤلبهم على القيام للأخذ بالثأر، فبلغ ذلك عمرو بن سعيد، فكتب إلى يزيد يعلمه بالخبر، فكتب إليه أن فرّق بينها وبينهم، فأمر أن ينادي عليها بالخروج من المدينة والإقامة حيث تشاء، فقالت:

قد علم الله ما صار إلينا، قتل خيّرنا، وانسقنا كما تساق الأنعام، وحملنا على الأقتاب، فوالله لا خرجنا وإن اهريقت دماؤنا.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

فقالت لها زينب بنت عقيل: يا بنة عمّاه، قد صدقنا الله وعده، وأورثنا الأرض نتبوّأ منها حيث نشاء، فطيبي نفساً، وقرّي عيناً، وسيجزي الله الظالمين، أتريدين بعد هذا هواناً، ارحلي إلى بلد آمن.

ثمّ اجتمع عليها نساء بني هاشم، وتلطّفن معها في الكلام، وواسينها»(١).

٢. في مخاطبتها لجدها المصطفى ﷺ وأمها الزهراء عليها السلام رد على من يتشدق بحرمة زيارة القبور، وصفعة لمن يعتقد بأن أهل البيت أموات لا يسمعون شيئاً وكان فعلها موافقاً لما جاء عن رسول الله ﷺ بجواز زيارة القبور.

٣. في إقامة المآتم على أخيها الإمام المظلوم عليه السلام وأهل بيته وأصحابه دليل على جواز بل استحباب ذلك.

٤. بما أن مدينة الرسول ﷺ يقصدها الناس من أطراف الأرض صار لابد من استغلال موقعها لنشر مظلومية أهل البيت عليهم السلام.

٥. تأكيدها على ان السيدة رقية عليها السلام دفنت في الشام مما يسد الباب على من يشكك في قبرها.

٦. ان الهموم والأحزان وعدم الراحة النفسية سبب في سرعة الهرم والشيخوخه عند قولها: «**وأما وفاة رقية...**».

وهذا سبق علمي بحت يتوافق مع قول أبيها أمير المؤمنين عليه السلام: «**الهم نصف الهرم**».

وهناك استنتاجات أخرى تركناها للاختصار.

---

(١) الركب الحسيني في الشام ومنه إلى المدينة المنورة: ج ٦، ص٤٢١.

ام كلثوم الأخت الثانية للإمام عليه السلام

تكلمنا عن دور المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام وتعرضنا في بحثنا عن دور المرأة الأم ثم عرجنا على دور المرأة الأخت، وتناولنا موقف السيدة العقيلة زينب عليها السلام ودورها في حياة أخيها الإمام الحسين عليه السلام ولكي نتم الحديث عن دورها وسعة دور السيدة زينب عليها السلام الذي غطى كل دور نسائي.

استنجاد الإمام بأم كلثوم عليها السلام

ورد في كتب المقاتل أن الإمام الحسين عليه السلام بقي وحيداً لا ناصر له ولا معين حيث ان أصحابه وأهل بيته مجزّرون على رمضاء كربلاء، وخيامه خالية من كل رجل باستثناء ولده الإمام زين العابدين عليه السلام الذي كان يعاني آلام المرض ويتجرع غصص المصيبة على فراشه، وهو لا يقوى على شيء، إلا أنه عليه السلام حينما سمع نداء أبيه وصراخ الأطفال وعويل النساء اهتزت الغيرة الهاشمية واشرأبت الشجاعة العلوية فانتفض من فراشه وخرج من الخيمة يتوكّأ على عصا ويجر سيفه لأنه لا يقوى على حمله، فلما رآه الإمام الحسين عليه السلام صاح بأخته أم كلثوم:

«احبسيه يا أختاه لئلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمد صلى الله عليه وآله».

فقال زين العابدين عليه السلام:

«يا عمتاه، ذريني أقاتل بين يدي ابن رسول الله».

فأخذت أم كلثوم تمانعه وتنادي خلفه:

«يا بني ارجع حتى أرجعته إلى فراشه».

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

أم كلثوم تشارك في المصائب

لا فرق عند إمامنا الحسين عليه السلام بين أخواته وبناته ونسائه بل ونساء أصحابه إلاّ بحسب الأدوار والمشاركة، فكل ما نزل من المصائب كان لأم كلثوم نصيب منها، فتارة عند مشاركتها الركب الحسيني السفر وعناءه، وأخرى عند عطش النساء والأطفال، وأخرى عند وداع وشهادة الإمام عليه السلام وولده وإخوته وأصحابه، ورابعة عند حرق الخيام وهجوم الخيل، وخامسة عندما أخذ رجل قرطي أم كلثوم وخرم أذنها، وسادسة عند ضرب المتون ولطم الوجوه، وسابعة عند ركوب النياق الهزّل، وثامنة عند السبي، وتاسعة عند دخول الكوفة، وعاشرة عند دخول مجلس الطاغية ابن زياد و... ومصائب لا نقوى على ذكرها وإحصائها.

أم كلثوم تحرس العيال

حلّ ليل الحزن، وجاءت ظلمة الليل في وقت فقد فيه الحماة وغاب فيه الأبطال وقتلت فيه الرجال، وضاع من هوله الأطفال، وحرقت بناره الخيام، ليل ثقيل بهمومه وآلامه لم يبقَ من رحل آل الرسول إلا خيمة محروقة جوانبها، فقامت السيدة أم كلثوم لتشارك أختها العقيلة زينب عليها السلام في جمع العيال وصيانة الأطفال، ووطنت نفسها على مشاركة أختها في حراسة العائلة المذعورة في ذلك الليل الرهيب، وهذا ما ذكره أرباب السير فقالوا: إنّه لما كانت الليلة الحادية عشرة وكانت ليلة مقمرة أخذت الحوراء زينب عليها السلام تلتفت إلى الحماة فما رأت منهم أحداً إلا وقد قطع الحمام أنينه وصافح التراب جبينه عند ذلك قالت لأختها أم كلثوم: نحن هذه الليلة نقوم في حراسة العيال والأطفال ونقسّم الليل ثلاثة أقسام، قسم عليّ وقسم عليك وقسم على ابنة أخي سكينة، فقامت زينب في حراسة العيال من أول الليل.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

أم كلثوم تأبى الصدقة

لما تشرفت كوفة الغدر بدخول الركب الحسيني واجتمع أهلها حول سبايا كربلاء ورأوا الأطفال على هيأة يرق كل قاس وغليظ لها فأخذوا يناولون الأطفال تمراً وخبزاً فصاحت بهم أم كلثوم وقالت :

يا أهل الكوفة إنّ الصدقة علينا حرام.

وصارت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال وأفواههم وترمي به إلى الأرض قال : كلّ ذلك والناس يبكون على ما أصابهم.

ثم إن أم كلثوم أطلعت رأسها من المحمل وقالت لهم :

صه يا أهل الكوفة، تقتلنا رجالكم، وتبكينا نساؤكم؟. فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء.

وقفة حول حادثة الصدقة

١ . في تصديها لانتزاع الخبز والتمر من أيدي الأطفال الذين هم بحاجة ماسة إلى الطعام، والذين هم معذورون من حيث التكليف الشرعي عند تناولهم للحرام كونهم صغاراً لا تثريب عليهم وكونهم مضطرين لذلك إلا انها أبت إلا أن تبعدهم عن تناول الحرام لكي لا ينبت لهم لحم أو عظم من الحرام وفي هذا الموقف ورع وتقوى وطهارة لا نظير لها.

٢ . ان انتزاع الصدقة من أيدي أطفال أهل البيت عليهم السلام فيه دلالة على تعظيم أهل البيت عليهم السلام بما فيهم الأطفال، وينبغي التعامل معهم بهذا التعظيم.

٣ . تؤدي السيدة أم كلثوم عليها السلام تكليفاً شرعياً ألا وهو حماية الأطفال من كل ضرر يلحق بهم سواء كان معنوياً أم مادياً.

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

٤ . تصرّف السيدة الجليلة أم كلثوم عليها السلام تصرّف حضاري سبقت به غيرها ممن يدعي احترام الطفولة والاهتمام بها.

٥ . ان تصرف السيدة أم كلثوم عليها السلام يعطي انطباعاً حسناً عن زهد أهل البيت عليهم السلام كباراً وصغاراً في الدنيا رغم حاجتهم الضرورية لها، ولو كانوا من طلاب الدنيا ومناصبها وزخارفها لتهافتوا على الطعام الذي هم بأمس الحاجة إليه، إلاّ انها أبت إلا أن تعلو المبادئ على شهوات الدنيا.

أم كلثوم تقرّع أهل الكوفة

بعد أن تصدت السيدة زينب الكبرى عليها السلام لتوبيخ أهل الكوفة وتلتها بنت أخيها فاطمة بنت الحسين عليها السلام تكلمت السيدة أم كلثوم بخطبة صعقت بها آذان أهل الكوفة.

فقالت:

يا أهل الكوفة سوأة لكم،

ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه

وانتهبتم أمواله وورثتموه

وسبيتم نساءه ونكبتموه،

فتباً لكم وسحقاً.

ويلكم أتدرون أيّ دواهٍ دهتكم؟

وأيّ وزر على ظهوركم حمّلتم؟

وأيّ دماء سفكتموها؟

وأيّ كريمة أصبتموها؟

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وأيّ صبية سلبتموها؟

وأيّ أموال انتهبتموها؟

قتلتم خير رجالات بعد النبيّ.

ونزعت الرّحمة من قلوبكم

ألا إنّ حزب الله هم الفائزون

وحزب الشيطان هم الخاسرون،

ثم قالت:

قتلتم أخي صبراً فويل لأمّكم ... ستجزون ناراً حرّها يتوقد

سفكتم دماء حرّم الله سفكها ... وحرّمها القرآن ثمّ محمد

الا فابشروا بالنار إنّكم غداً ... لفي سقر حقّاً يقيناً تخلّدوا

وإني لأبكي في حياتي على أخي ... على خير من بعد النبي سيولد

بدمع غزير مستهل مكفكف ... على الخدّ مني ذائباً ليس يجمد[١]

وقفة

ان الخطاب الموجّه إلى أهل الكوفة لا يعني ان الكوفة من البلاد التي تبغض أهل البيت عليهم السلام لما فيها من شيعة وموالين لأمير المؤمنين عليه السلام وجدوا منذ ان بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بولايته وتأكد ولاؤهم بعد أن اتخذ أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة عاصمة للخلافة الإسلامية، الا أن هذا لا يعني أيضاً ان بعض أهل الكوفة ممن يوالي بني أمية وممن ملأ النفاق صدره لم يشارك في قتال الإمام الحسين عليه السلام بل هم من قتل الإمام عليه السلام، وفي قتلهم للإمام عليه السلام دليل على ان الكوفة كسائر البلاد الإسلامية الأخرى التي تضم المحب لأهل البيت عليهم السلام والمبغض لهم.

(1) الشمس الطالعة: ج ٢، ص ١٣٨.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

السيدة تدعو فيستجاب لها

ورد في كتب التاريخ ان السيدة أم كلثوم ترد على الشامي عندما تجرأ وطلب استخدام فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام كخادمة برد علوي الهي فقالت أم كلثوم للشامي:

«**أسكت يا لكع الرجال، قطع الله لسانك وأعمى عينيك، وأيبس يديك، وجعل النار مثواك، إنّ أولاد الأنبياء لا يكونون خدمة لأولاد الأدعياء.**

قال: فوالله ما استتمّ كلامها حتى أجاب الله دعاءها في ذلك الرجل فقالت:

الحمد لله الذي عجّل لك العقوبة في الدنيا قبل الآخرة فهذا جزاء من يتعرّض لحرم رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي رواية السيد رحمه الله فقال الشامي: من هذه الجارية؟، فقال يزيد: هذه فاطمة بنت الحسين، وتلك زينب بنت علي بن أبي طالب، فقال الشامي: الحسين ابن فاطمة وعلي بن أبي طالب، قال: نعم، فقال الشامي: لعنك الله يا يزيد تقتل عترة نبيك، وتسبي ذرّيته، والله ما توهمت إلا أنّهم سبي الروم، فقال يزيد: والله لألحقنك بهم، ثم أمر به فضرب عنقه»[1].

وقفة

عندما يستدعي الموقف وقفة نبيّن فيها عظمة أفراد هذا البيت الرسالي برجاله ونسائه نسرع مبهورين لذلك، فلذا أدعوكم للتأمل في هذا المقطع التاريخي لتستظهروا منه ما يمكن استظهاره، ومما استظهرت منه ما يلي:

١ . ان السيدة أم كلثوم عليها السلام لم يرهبها يزيد أو غيره ممن هو مقرب من يزيد عندما يستدعي الموقف إنكار المنكر وردع الباطل، ولا تخاف في الله لومة لائم.

(1) الشمس الطالعة: ج ٢، ص ١٨٠.

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

٢ . ركزت السيدة الجليلة أم كلثوم عليها السلام على لسانه لجرأته وكلامه المخالف للشرع، وعلى عينه لعدم تمييزه بين من يصلح للخدمة ومن لا يصلح لها، وعلى يديه لإشارته إلى فاطمة بنت الإمام عليها السلام.

٣ . وفي مقطع من قولها عليها السلام بينت أن الأسارى هم من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وان الأمير المزعوم مشكوك في نسبه وطهارة مولده.

٤ . استجابة الدعاء للسيدة أم كلثوم عليها السلام تصديق لقولها انهم من أولاد الأنبياء، وتأكيد على أحقية أهل البيت عليهم السلام وبطلان مدعى غيرهم.

٥ . يكون تعجيل العقوبة في الدنيا لسببين:

الأول

لإسقاط العقوبة عن الفاعل في الآخرة، فتقع العقوبة تكفيراً للذنوب.

الثاني

تكون العقوبة ردعاً للفاعل في الدنيا، وعقوبة أخرى كجزاء له في الآخرة، وهذا ما حصل للشامي وإلا لا يمكن تفسير قول السيدة عليها السلام «الحمد لله الذي عجل لك العقوبة في الدنيا» بأن العقوبة تكفير للذنوب لأن ذلك في صالح المعتدي، فيلزم أن يفسر قصدها بالمعنى الثاني.

أم كلثوم لا ترضى إلا القصاص

شرع الإسلام لقتل العمد القصاص أو الدّية وجعل لولي الدم الاختيار في ذلك، ويجري هذا التشريع في حصول القتل العمد للأفراد المؤمنين، إلا أن الطاغية يزيد أراد ان يجري هذا التشريع في حق سيد الشهداء عليه السلام وحجة الله على خلقه وخليفة الله في أرضه وأولاده وأخوته وعمومته وأصحابه فعرض بوقاحة لا نظير

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

لها وجرأة لا تليق إلا بأخلاق أولاد الأدعياء العوض على سيدتنا أم كلثوم عليها السلام فواجهته بصفة أولاد الأنبياء عليهم السلام وهذا ما حدثنا به التاريخ فقال: فلما كان اليوم الثامن دعاهنّ يزيد وعرض عليهن المقام فأبين وأرادوا الرجوع إلى المدينة، فأحضر لهم المحامل وزيّنها وأمر بالانطاع الابريسم وصبّ عليها الأموال وقال: يا أم كلثوم خذوا هذا المال عوض ما أصابكم.

فقالت أم كلثوم:

يا يزيد ما أقلّ حياءك وأصلب وجهك؟.

وفي رواية:

أصلف وجهك أتقتل أخي وأهل بيتي وتعطيني عوضهم مالاً؟ والله لا كان ذلك أبداً.

وقفة

في رفض أم كلثوم تتجلى أمور كثيرة منها:

١ . ان السيدة عليها السلام لا تقر جريان الديّة فيما حصل من قتل في كربلاء فيما إذا كان الخيار هو الدية دون القصاص، لأنه قتل للمبادئ وقتل للشريعة وقتل للقرآن، وفي مثل هذا القتل لا تجري أحكام الدية بل لابد من القصاص.

٢ . قولها عليها السلام: «**يا يزيد ما أقل حياءك**» لا يعني ان ليزيد حياء إلا أنه قليل بل تعني أن لا حياء لك يا يزيد وهذا ما درج عليه العرب في مخاطباتهم.

٣. قولها: «**والله لا كان ذلك أبدا**» يمكن أن يفهم منه أن الإمام الحسين عليه السلام قتيل كربلاء ووارث الأنبياء عليهم السلام وخليفة الله تعالى في أرضه وحجته على عباده،

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

لا ولي له إلاّ الله تعالى وهو لا يرضى إلا بالنار وهذا ما ينسجم مع قول الزيارة «**السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره**».

المرأة البنت

على أثر ما تقدم من بحثنا في بيان دور المرأة الأم والأخت في حياة الإمام الحسين عليه السلام نعرج بالبحث على دور المرأة البنت في حياة الإمام عليه السلام، ولقد جاء في التاريخ ان للإمام الحسين عليه السلام ثلاث بنات وقيل بنتين والأول أشهر، وهذه البنات من أمهات شتى، فسكينة أمها الرباب بنت امرئ القيس، وفاطمة أمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله، ورقية أمها أم إسحاق أيضاً وهناك قول ان للإمام عليه السلام بنتاً تسمى فاطمة تركها في المدينة وهذا ما ورد في كتاب «معالي السبطين» للعلامة الحائري: ان أمها «شاه زنان» بنت يزدجرد فتكون أختاً للإمام السجاد عليه السلام، ومهما كانت الأقوال وتعددت الآراء فاننا نسلط الضوء على السيدة سكينة وأختيها فاطمة الصغرى أو (النبوية) ورقية عليهما السلام ولا بأس ان نفتتح البحث بالسيدة سكينة عليها السلام.

السيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام

عندما يكون الحديث عن سيدة جدها أمير المؤمنين عليه السلام وسيد الوصيين وجدتها سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام تظهر الكلمات محمرة الوجنات حياء، وتتمنع السطور عن وصفها عياء، فلا قلم يكتب ولا ورق يسع، ولا خيال يصف سيدةً، أبوها سيد الشهداء عليه السلام، وعمها الزكي المجتبى، وعماتها عقيلة الطالبين زينب الكبرى عليها السلام، وأم كلثوم ربيبة العلويين، نمت في حجر الرباب بنت امرئ القيس وعاشت مع أخويها الإمام زين العابدين عليه السلام وعلي شهيد كربلاء

شبيه خلق الإمام الحسين عليه السلام وصفاته وشمائله ومبادئه وشيمه، فكانت زهرة البنات العلويات، وشريكة اللبوات الحسينيات فاطمة ورقية في عطر النبوة وبلاغة الإمامة وجمال الروح وعفاف النفس وسمو الأخلاق، فقضت ردحاً من الزمن في المصائب صابرة، وعلى الطغاة ثائرة لا تأخذها في الله لومة لائم إلى ان ودعت الحياة عن عمر يناهز الخامسة والسبعين تائقة إلى لقاء ربها ومشتاقة إلى المكث مع أهلها في جنانه ورضوانه.

شخصية السيدة تأبى الاتهام

عند الوقوف أمام السرد التاريخي المغرض الذي تناول زواج السيدة الجليلة حبيبة الإمام الحسين عليه السلام نراه قد كتب بأقلام باغضة لأهل البيت عليهم السلام وحاسدة لعلوهم وباكية على البيت الأموي الذي ملأ الدنيا عيوباً وانحرافاً وفساداً، ومن يقرأ التاريخ المنحرف لا يرى إلا ما تندهش له العقول، ويضحك منه ذوو الألباب، أبى الحقد الأموي الا أن يلصق بأشرف أسرة في الوجود تهماً لا تليق إلا بآل أمية وآل مروان وآل زياد وبمن سار على نهجهم وأفكارهم وتلبس بأخلاقهم.

اتهم المؤرخون المنحرفون السيدة سكينة بأنها تزوجت من سبعة أزواج ولدواعٍ واهية وبطريقة لا تليق إلا بامرأة لا حياء لها يردعها ولا ولي لها يمنعها ولا عشيرة تغار عليها، ولكي لا نخرج عن موضوع الكتاب نتعرض لبعض هذه الاتهامات نرد عليها ما أمكننا الرد وهي كما يلي:

روى الأصفهاني قال: حدّث الزبير بن بكّار قال: حدّثني عمّي مصعب، قال: تزوجت سكينة بنت الحسين عليهما السلام عدة أزواج، أوّلهم عبدالله بن الحسن بن

علي وهو ابن عمّها وأبو عذرتها، ومصعب بن الزبير، وعبدالله بن عثمان الحزامي، وزيد بن عمرو بن عثمان، والأصبغ بن عبدالعزيز ولم يدخل بها، وإبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف ولم يدخل بها[(١)].

ولكي يتضح للقارئ حقد الوضّاعين على بني هاشم لابد له من الاطلاع على هذه الافتراءات الوخيمة، ففي هذه القصة الآتية نرى مخالفة الداعي إلى الزواج، فاقرأ أو تأمل:

يقول الأصفهاني: تنفست بنانة جارية سكينة يوماً، وتنهدت حتى كادت أضلاعها تنشقّ؛ فقالت لها سكينة: ما لك؟ ويلك فقالت بنانة: أحبّ أن أرى في الدّار جلبة تعني العرس.

فدعت سكينة رضي الله عنها مولى لها تثق به، وقالت له: إذهب إلى إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف، فقل له: إنّ الذي دفعناك عنه، قد بدا لنا فيه، ائت أخوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخطب سكينة».

وإبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف، كان قد خطب السيدة سكينة بعد مقتل مصعب، فأنكرته وردّته في غير رفق، وبعثت إليه قائلة: أبلغ من حمقك أن تبعث إلى سكينة بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تخطبها؟.

فسكت إبراهيم وتراجع فلمّا جاءه رسول سكينة، لم تسعه الدنيا فرحاً، فجمع نحو سبعين رجلاً أو ثمانين من رجال بني زهرة وأعيان قريش، واتجه بهم في جمع حافل مشهود، ساعياً إلى «علي بن الحسين» ليخطب إليه أخته سكينة. وبلغ الأمر بني هاشم وقالوا: كيف يجرؤ إبراهيم على خطبة الشريفة الهاشمية. وذهبوا إليها وقد حمل كل منهم عصا بعد أن تنادوا فيما بينهم إلاّ يخرجن منكم إنسان إلاّ

---

(١) آمنة بنت الحسين: ص ٩٩.

ومعه عصاً[١].

والتقى الجمعان عند بيت سكينة، وقد اشتعل الغضب بينهم، فتضاربوا حتى أصيب منهم يومئذ أكثر من مائة شخص.

ترى هل نظرت سكينة إلى هذه المعركة الصغيرة نظرة ضيقة كما قالوا وعلقت قائلة لمولاتها بنانة، وابتسامة ساخرة على شفتيها:

أي بنانة: أرأيت في الدار جلبة عرس؟.

فأجابت بنانة قائلة: أي والله، إلاّ أنها شديدة[٢].

ويجاب على الافتراءات حسب ما ورد أعلاه وهو كما يلي:

اما بالنسبة لما رواه الأصفهاني فهو كذب وافتراء للأسباب التالية:

١. ان العداء لآل البيت عليهم السلام تجلى في كثير من مواقف آل الزبير ابتداءً من الزبير بن العوام ومروراً بولده عبدالله وانتهاء بمصعب الزبيري المتوفى سنة (٢٣٦هـ) وهذا لا غبار عليه لمن تصفح التاريخ وتأمل في نصوصه.

٢. بادر مصعب الزبيري المذكور آنفاً إلى دفع التهمة عن ابنتهم سكينة بنت خالد بن مصعب بن الزبير بإلصاقها بالسيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام حيث كانت سكينة الزبيرية تجتمع مع الشاعر ابن أبي ربيعة والمغنيات يغنين لها.

٣. تناقلت الافتراء سلسلة من الوضاعين كالزبير بن بهار وابنه ثم تلقاها المبرد ومررها إلى تلميذه الزجاجي فأخذه المؤرخون دون فحص وتمحيص.

٤. استغراقها في الله تعالى حاجب كبير يحجبها عن الانغماس في شهوات الدنيا ولذاتها، بل لا أرى للمستغرق في الله تعالى ان يستبدل لذته هذه بلذة فانية

---

(١) سكينة بنت الحسين، عبدالمنعم الهاشمي: ص ٥٤، ٥٥.

(٢) نفس المصدر.

دنيّة. وسنفرد لهذا الأمر عنواناً خاصاً يليق بخيرة النسوان.

٥. لم نعهد أحداً من رجال أهل البيت عليهم السلام الذين طهرهم الله تعالى وأذهب عنهم الرجس فضلاً عن نسائهم ان خرج على سنن ونهج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام، وما ورد عن سيد المرسلين في تزويج بنات بني هاشم من ولدهم صريح في دفع هذا الافتراء عن السيدة الجليلة سكينة.

حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«بناتنا لبنينا وبنونا لبناتنا»[1].

هذا ما سار عليه أمير المؤمنين عليه السلام في تزويج السيدة زينب عليها السلام من ابن عمها عبدالله بن جعفر رضي الله عنه وتابعه في ذلك الإمام الحسين عليه السلام حيث زوج ابنته فاطمة من ابن أخيه الحسن المثنى بن الحسن المجتبى عليه السلام وزوج ابنته الأخرى سكينة ـ التي هي محل البحث ـ من ابن أخيه عبدالله بن الحسن المجتبى عليه السلام.

وأنا اقسم قاطعا ان الإمام زين العابدين عليه السلام لا يخالف سنة جده وأبيه، ولا يمكن ان تقع المخالفة من السيدة الطاهرة الجليلة المستغرقة في الله تعالى سيدتنا سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام.

٦. لو تأملنا روايات الأصفهاني لوجدنا امرأة همها لذتها وشهواتها ودنياها، وهذا خلاف شهادة الإمام المعصوم سيد شباب أهل الجنة عليه السلام لها بأنها مستغرقة في الله تعالى ولا تصلح لرجل.

٧. صور الأصفهاني في سليلة الطهر والعفاف وعنوان الوقار والخدر بأنها امرأة ذات شبق جنسي، بل هي محل لذة لمن هب ودب.

---

(1) وسائل الشيعة، ج ٢٠، ص ٧٤.

٨. ألغى الأصفهاني دور الإمام زين العابدين عليه السلام الذي هو حجة الله تعالى على خلقه وألغى دور بني هاشم ونسائهم إذ جعل من السيدة سكينة امرأة مستبدة في قرارها وذات مزاج وقرار غير متزن بل هي امرأة كثيرة النزوات.

٩. افتراء الأصفهاني لا ينسجم مع حزن بني هاشم ونسائهم على سيدهم ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما أصابه من مصائب جعلت إمامنا زين العابدين عليه السلام دائم العبرة وكثير الزفرة وشديد الحسرة وقد روي ان الإمام زين العابدين عليه السلام بكى على أبيه أربعين سنة صائماً نهاره قائماً ليله فاذا حضره الافطار جاء غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه فيقول كل يا مولاي فيقول قتل ابن رسول الله جائعاً قتل ابن رسول الله عطشاناً فلا يزال يكرر ذلك ويبكي حتى يبل طعامه من دموعه ثم يمزج شرابه بدموعه فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عز وجل(١)، وكيف ينسجم ذلك مع ما عليه سكينة من فرح وأُنس؟.

١٠. ما قاله الأصفهاني يثير العجب من امرأة لم تقتدِ بأمها الرباب التي حزنت على زوجها الإمام الحسين عليه السلام حتى الممات.

١١. عندما طلب من الرباب التزوج بعد الإمام الحسين عليه السلام ردت بعبرة باكية كيف تستبدل حمواً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ وهذا الموقف لا تتجاوزه السيدة سكينة التي تربت في حجر أمها الرباب.

قال الأستاذ علي دخيل: كيف تعقد سكينة مثل هذا الاجتماع والمدينة بأسرها في مأتم على الحسين عليه السلام؟! فالرباب ـ أم سكينة ـ يقول عنها ابن كثير: ولما قُتل كانت معه فوجدت عليه وجداً شديداً ... وقد خطبها بعده أشراف

---

(١) المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية للسيد محسن الأمين: ص ٢٨٧.

قريش، فقالت: ما كنت لأتخذ حمواً بعد رسول الله ﷺ، والله لا يؤويني ورجلاً بعد الحسين سقف أبداً، ولم تزل عليه كمدة حتى ماتت، ويقال: إنّها عاشت بعده أياماً يسيرة[1].

١٢. أقوال الكتّاب وأصحاب القلم دليل على عدم قبول هذه الافتراءات الواهية كقول الدكتورة بنت الشاطئ:

«ننكر أن تلاقي سيدة مثل الذي لاقت بنت الحسين من فوادح المحن وأرزاء الأيام والليالي، ثم تستطيع ـ بحال ما ـ أن تنسى كلّ الذي لقيت، ويصفو لها العيش هنيئا غير كدر!.

بل إنه لما يشبه المحال عندنا، أن تقوى أنثى، بالغة ما بلغت إرادة الحياة عندها، أن تنسلخ من ماضيها كله، وما العهد به ببعيد، وأن تنحي عنها أطياف من ملأوه فرحا وترحا، لتبدأ صفحة جديدة لا ظل فيها من ذلك الماضي، ولا صلة لها بهمومه ومآسيه.

وعلماء النفس قد اطمأنوا إلى أن للنفس البشرية حافظة واعية تختزن كل ما يمر بها من أحداث، وتحتفظ بها على تطاول العهد بها وبُعد المدى، وتظل تؤثر في سلوك المرء مهما تقوى إرادته على التخلص منها، بل مهما يغلب على يقينه أن الزمان قد عفى على آثارها فتاهت في غيابة النسيان.

وما كان الذي جرى لسكينة بنت الحسين بالذي يُنسى، ولا كان الزمن قد تراخى به منذ شهدت المذبحة المروعة في كربلاء في مستهل عام ٦١ هـ»[2].

---

(١) ابصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ٣٦.

(٢) سكينة بنت الحسين، بنت الشاطئ: ص ١٢٠.

وكقول الأستاذ عبد المنعم الهاشمي :

«كنّا قد عزفنا على التوقف عند حد زواج السيدة سكينة بنت الحسين رضي الله عنها من عبدالله بن الحسن ابن عمها، ومصعب بن الزبير. وذلك لاضطراب الروايات وتدني بعضها إلى المستوى الذي نعتقد أنّ السيدة سكينة أرفع من ذلك بكثير، وإن لم يكن في هذه الروايات ما يسيء إليها كبشر، لكن يستغرب على البيت الهاشمي الخارج لتوه من ابتلاءات بدأت بمقتل الإمام علي رضي الله عنه ، وجاءت وفاة الإمام الحسن بن علي التي أثير حولها شك كبير في أن تكون بفعل السّم الذي قدمته له زوجته جعدة، وجاءت بعد ذلك محنة كربلاء وما كان فيها، وقد شهدت السيدة سكينة رضي الله عنها قدراً كبيراً من أحداث هذه المحن وبكائياتها، مما يجعل لنا الحق أن نصدر هذه الصفحات بعنوان مرويات الزواج المضطربة»[1].

أما بالنسبة لما رواه عن زواجها من إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف لسبب سخيف وتافه بسخافة وتفاهة الأصفهاني فيه العجب والدهشة الكبيرة، فنقول: أوصلت بك يا سليل الأمويين ويا كذابهم ان تسرد قصة يندى لها جبين كل ذي حياء؟!. أترضى امرأة لها مسكة عقل ان تفعل هذا الفعل؟ أتلصق تهمة لا تليق إلا بأولاد الأدعياء لا أولاد الأنبياء؟ تباً للدنيا ولكلابها...!.

ولكي يعذرني القارئ الكريم على هذه المقدمة ويضم صوته إلى صوتي فأكرر هذه الفرية الشنعاء يقول الأصفهاني: تنفست بنانة جارية سكينة يوماً، وتنهدت حتى كادت أضلاعها تنشقّ. فقالت لها سكينة: ما لك؟ ويلك فقالت بنانة: أحبّ أن أرى في الدّار جلبة تعني العرس.

---

(١) سكينة بنت الحسين ، أستاذ عبدالمنعم الهاشمي : ص ٥١.

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

فتزوجت السيدة سكينة لرغبة جاريتها فقط وقالت لها وهي مبتسمة : أي بنانة : «أرأيت في الدار جلبة عرس»؟ فأجابت بنانة قائلة : «أي والله إلا أنها شديدة».

استغراق خيرة النسوان

قبل التعليق على استغراق السيدة سكينة في الله تعالى لابد من ذكر النص الذي ورد على لسان العصمة والشهادة، لسان سبط المصطفى وقرة عين المرتضى الإمام الحسين عليه السلام فيقول الراوي : إن الحسن المثنى بن الحسن بن أمير المؤمنين عليه السلام أتى عمه أبا عبدالله الحسين يخطب إحدى ابنتيه فاطمة وسكينة، فقال له أبو عبدالله عليه السلام اختار لك فاطمة فهي أكثرها شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أما في الدين فتقوم الليل كله وتصوم النهار، وفي الجمال تشبه الحور العين، وأما سكينة فغالب عليها الاستغراق مع الله تعالى فلا تصلح لرجل[1].

هذه الشهادة الواردة من المعصوم عليه السلام قلادة تزين عنق السيدة الجليلة سكينة، وتدلنا على مقامها وسموها، وتبين لنا علاقتها بربها وفنائها في بارئها، وهذه العبارة الحسينية العميقة ترشدنا إلى شخصية السيدة الطاهرة سكينة فيتضح لنا من خلالها قداسة هذه الفتاة، وحياؤها وعفتها وعلو أخلاقها وحسن تربيتها ورجاحة عقلها وطهارة باطنها وجمال ظاهرها.

السيدة سكينة مبهورة بجمال خالقها وجلال معشوقها وغارقة في نوره وكماله، كيف لا وقد وقع هذا الأمر لنساء مصر عندما رأين جمال الصديق يوسف عليه السلام وهو بشر مخلوق! فما بالك بجمال خالق يوسف ومصوره وبارئه؟!. لقد بلغت السيدة سكينة رتبة عظيمة في مجاهدة النفس وصقل القلب وتخلية الباطل

(١) السيدة سكينة بنت الحسين : عبدالمنعم الهاشمي : ص ٥٤.

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

وتحليته وطرد الأغيار وتسليم الأمر والانقطاع إلى الله تعالى إلى درجة الفناء في نوره بحيث لا ترى سواه ولا تنشغل بعداه.

نظر الإمام الحسين عليه السلام بنور الإمامة فخرق قلب ابنته وسبر غورها فرأى فيها قد وهبت وجودها لموجدها وألغت كيانها أمام عظمته فوصفها بخيرة النسوان في يوم الأحزان يوم كربلاء عندما رآها قد وضعت رأسها بين ركبتيها وقد تنحت عن النسوة وهي دامعة ناحبة فقال عليه السلام :

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي — منك البكاء إذ الحمام دهاني
لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة — مادام مني الروح في جثماني
فإذا قتلت فأنت أولى بالذي — تأتينه يا خيرة النسوان

ونقول بعدما تقدم: ألا يكفيك يا أصفهاني شهادة المعصوم عليه السلام لابنته بأنها خيرة النسوان؟! وهل يجوز لخيرة النسوان ان تأتي بما افتريته عليها؟!

سكينة في كربلاء

مصائب كربلاء لا يقوى عليها إلا من سبكته الظروف الصعبة والمحن ولا يتحملها إلا من وصل إلى كماله وعلوه، ولا يصبر عليها إلا من تخلق بأخلاق الأنبياء عليهم السلام وهذا ما لمسناه في الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه، وكان ممن صحبهم إلى طفوف كربلاء نسوة وصبية، ومن جملة هذه النسوة سيدتنا سكينة عليها السلام التي واجهت هذه المصائب بكل قوة ووقار وبكل نباهة وصبر، فتارة تصف لنا ليلة العاشر من المحرم وأخرى تروي لنا بعض أحداث ذلك اليوم الرهيب، وثالثة تعبر عن عاطفتها وحزنها دون ان تخلط ذلك باضطراب وخروج على تعاليم الشريعة.

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

سكينة تصف ليلة العاشر

مما ذكره الفاضل الدربندي في أسرار الشهادات عن السيدة سكينة عليها السلام لجدير بالوقوف والتأمل والاستنباط إلا أننا لا نريد الخروج عن صلب الموضوع، ألا وهو دور السيدة سكينة في كربلاء. لقد شاركت السيدة الطاهرة أفراد أهل بيتها في وصف أحداث الطف ومصائب الغاضرية وأصبحت بذلك مصدراً تاريخياً صادقاً فلذا نقل صاحب كتاب أسرار الشهادات عن مؤلف كتاب «نور العيون» بإسناده عن سكينة عليها السلام بنت الإمام الحسين عليه السلام قالت:

إنها كانت ليلة مقمرة، كنتُ جالسة في الفسطاط، فإذا سمعتُ صوت البكاء من خلف الفسطاط، فسكتُّ خوفاً من اطلاع الأخوات وسائر النسوة، فخرجت وقلبي لا يشهد بالخير، وكنتُ أمشي وأضرب قدمي على ذيلي وأسقط وأقوم، فرأيت أبي جالساً وأصحابه حوله، فسمعت أبي يقول لهم:

أنتم جئتم معي لعلمكم بأنّي أذهب إلى جماعة بايعوني قلباً ولساناً، والآن تجدونهم قد استحوذ عليهم الشيطان ونسوا الله، والآن لم يكن لهم مقصد سوى قتلي وقتل من يُجاهد بين يدي، وسبي حريمي بعد سلبهم، وأخاف أن لا تعلموا ذلك، أو تعلموا ولا تتفرقوا للحياء مني، ويحرم المكر والخدعة عندنا أهل البيت، فكل من يكره نصرتنا فليذهب في هذه الليلة الساترة، ومن نصرنا بنفسه فيكون معنا في الدرجات العالية من الجنان، فقد أخبرني جدي: إن ولدي الحسين يُقتل بطف كربلاء غريباً وحيداً عطشاناً، فمن نصره فقد نصرني ونصر ولده القائم، ومن نصرنا بلسانه فإنّه في حزبنا في القيامة.

قالت سكينة :

والله ما أتمّ كلامه إلاّ وتفرّق القوم من نحو عشرة وعشرين، فلم يبق معه إلاّ ما ينقص عن الثمانين ويزيد عن السبعين[١]، فنظرت إلى أبي فوجدته قد نكس رأسه في حزن وكرب، فلمّا رأيت ذلك خنقتني العبرة، فرددتها ولزمت السكوت وتوجّهت إلى السماء وقلت: اللهم إنّهم خذلونا فاخذلهم، ولا تجب دعاءهم، ولا تجعل لهم في الأرض مسكناً، وسلّط عليهم الفقر، ولا تنلهم شفاعة جدّي.

فرجعت إلى الفسطاط وتنهمل دموعي، فنظرت عمتي أم كلثوم إليّ فقالت: مالك؟ فقصصت القصة لها، فلما سمعت ذلك نادت وا جدّاه، وا عليّاه، وا حسناه، وا حسيناه، وا قلّة ناصراه، ولا أدري كيف لنا المخلص من أيدي الأعادي، وليت الأعادي يرضون أن يقتلونا بدلاً عن أخي، فاجتمعت النساء من بكائها فبكين.

وسمع أبي بكاءهنّ فخرج من الفسطاط باكياً، فدخل على فسطاطهنّ، فقال: ما هذا البكاء؟ فقربت عمتي إليه وقالت: يا أخي رُدّنا إلى حرم جدّنا، فقال: كيف لي ذلك مع كثرة الأعادي؟ فقالت: أجل، ذكّرهم محل جدّك وأبيك وجدّتك وأخيك، فقال: ذكّرتهم فلم يذكروا، ووعظتهم فلم يتعظوا ولم يسمعوا قولي، وليس لهم رأي سوى قتلي، ولابدّ أن تروني على الثرى جديلاً، ولكن أوصيكم بالصبر والتقوى، وذلك أخبر به جدكم، ولا خلف لوعده، وأسلمكم على من لو هتك الستر لم يستره أحد، ثم

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ص ٤٨٣.

تباكينا ساعة والإمام عليه السلام يقول:

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[1] [2].

عواطف سكينة

عندما نتصفح التاريخ والسير نرى صوراً عاطفية جياشة في ثورة الدم والفداء ولاسيما ما يتعلق بالإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، ولاسيما نساؤه وبالذات حبيبته وابنته سكينة ومن هذه الصور ما يلي:

الصورة الأولى

الإمام عليه السلام يمنع ابنته عن البكاء لئلا تؤذي قلبه الشريف فيقول لها بكل حب وحنو ورأفة:

لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة ... ما دام مني الروح في جثماني

فإذا قتلت فأنت أولى بالذي ... تأتينه يا خيرة النسوان

تكلم الإمام الرحيم مع ابنته وعزيزته بعاطفة الأبوة ورحمة المربي لما لهذه البنت من منزلة في قلب أبيها.

الصورة الثانية

عند سقوط شبيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم علي الأكبر قالت السيدة سكينة:

لما سمع أبي صوت ولده وهو يقول: «**يا أبه عليك مني السلام**» رأيته قد أشرف على الموت وعيناه تدوران كالمحتضر وجعل ينظر إلى أطراف الخيمة وكادت روحه أن تطلع من جسده وصاح من وسط الخيمة «**ولدي قتل الله**

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٧.

(٢) إكسير العبادات في أسرار الشهادة للدربندي: ج٢، ٢٢٢ ـ ٢٢٣. الإيقاد: ٩٣ ـ ٩٤. الدمعة الساكبة: ج٤، ص٢٧١ ـ ٢٧٢ بتفاوت.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

قوماً قتلوك»[1] وفي رواية كان الإمام عليه السلام يقوم ويقعد عند معرفته بقتل ولده الأكبر عليه السلام[2].

الصورة الثالثة

حين أراد أن يخرج فجاءت ابنته الصغيرة صائحة حاسرة مع شدة حبّه لها وتعلقت بثوبه قائلة: مهلاً مهلاً توقف حتى اتزود من النظر إليك، فهذا وداع لا تلاق بعده.

ثم قبلت يديه ورجليه، فجلس وأجلسها في حجره، وبكى بكاءً شديداً ومسح دموعه بكمّه وجعل يقول:

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي منك البكاء إذا الحمام دهاني

فهل يتصور قلب لا يغلب عليه في مثل هذه الحالة، فهذا أحد مواضع بكائه[3].

الصورة الرابعة

أن الإمام الحسين عليه السلام لما نظر إلى اثنين وسبعين رجلاً من أصحابه وأهل بيته صرعى التفت إلى الخيمة ونادى:

«**يا سكينة، يا فاطمة، يا زينب، يا أم كلثوم عليكم مني السلام.**

فنادته سكينة عليها السلام: **يا أبة استسلمت للموت؟!.**

فقال عليه السلام: **كيف لا يستسلم من لا ناصر له ولا معين.**

فقالت عليها السلام: **يا أبة ردنا إلى حرم جدنا؟.**

---

(١) الشمس الطالعة: ج ٢، ص ٤٧.

(٢) مجمع المصائب: ج ١، ص ١٨٤.

(٣) انظر المناقب ٤: ١٠٩. المنتخب للطريحي: ٤٥٠. وتقدم في هامش ص ٦٦.

فقال عليه السلام : **هيهات لو ترك القطا لنام.**

فتصارخن النساء فسكتهن الإمام الحسين عليه السلام وحمل على القوم».

قيل : إنه كثر قول النساء : «الوداع الوداع، والفراق الفراق».

فألقت سكينة مقنعتها من رأسها وقالت : «**يا أبتي استسلمت للموت، فالى من تكلنا**».

فبكى الإمام الحسين عليه السلام وقال :

«**يا نور عيني كيف لا يستسلم للموت من لا ناصر له ولا معين، ورحمة الله ونصرته، لا تفارقكم في الدنيا والآخرة، فاصبري على قضاء الله ولا تشتكي فإن الدنيا فانية، والآخرة باقية**».

الصورة الخامسة

قالوا : ولما قُتل علي بن الحسين الأكبر، دخل الحسين خيمة النساء باكياً حزيناً آيساً من نفسه. ولما رأته ابنته سكينة بهذه الحالة قالت له :

يا أبه، مالي اراك تنعى نفسك وتدير ظهرك، أين أخي علي؟.

فقال لها الحسين :

قتله اللئام.

فنادت سكنية :

وآ أخاه، وآ مهجة قلباه.

وأرادت الخروج، فمنعها الحسين، وقال لها :

يا سكينة، اتقي الله، واستعملي الصبر.

فقالت :

يا أبتاه، كيف تصبر من قُتل أخوها، وشُرّد أبوها؟.

فقال الحسين:

إنا لله وإنا إليه راجعون.

وقفة

عند تأمل هذه الصور الحزينة أقف مندهشاً أمام هذه السيدة الصابرة الوقور، وأرى أدباً لا نظير له بين البنت وأبيها، وأعيش حبها لأبيها وتعلقها به عليه السلام.

دور السيدة سكينة في الشام

كما كان لعماتها وأخواتها دور في أحداث الشام فلسكينة عليها السلام بعض المواقف التي تدل على كمال نفسها ورجاحة عقلها، ولكي نسلط الضوء على ذلك نورد بعض المواقف التي ذكرت في كتب التاريخ:

منها: السيدة سكينة تهتم بحرمة العائلة الحسينية وتحرص على صيانتها من أنظار الناس، وهي بذلك تظهر تعظيماً لحرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلقد جاء في الرواية:

قال سهل: فبينا أنا كذلك إذ أقبلت الرايات يتلو بعضها بعضاً، وإذا بفارس بيده رمح منزوع السنان، عليه رأس من أشبه الناس وجهاً برسول الله، وإذا من ورائه نسوة على جمال بغير وطاء، فدنوت من أولاهنّ فقلت لجارية منهنّ: يا جارية، من أنت؟.

قالت:

أنا سكينة بنت الحسين عليه السلام.

فقلت: ألك حاجة، فأنا سهل بن سعد الساعدي، وقد رأيت جدّك وسمعت حديثه؟

قالـت : **يـا سـهل، قـل لـصاحب الـرأس أن يقـدّم الـرأس أمامنـا حتـى يشتغل الناس بالنظر إليه ولا ينظروا إلى حرم رسول الله ﷺ.**

منها : في صورة ينفطر لها القلب وتبكي العيون دماً تدافع السيدة سكينة عليها السلام عن رأس أبيها، وهي بدفاعها هذا تكون قد تحدت الطاغية في عقر داره وأثبتت عدوانه على أهل البيت عليهم السلام فتقول : إنني لم أر أقسى من يزيد اللعين، حيث كان يضرب ثنايا والدي أمامنا، ولذا لم أطق تحمّل هذا العمل الشنيع منه وألقيت بنفسي على الرأس الشريف مخاطبة يزيد : ما ذنب هذا الرأس حتى تضربه؟!

فتعجّب يزيد اللعين من جرأتها وتساءل قائلاً : من أنت؟ فقلت :

أنا سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام[(١)].

منها : ألقمت سيدتنا سكينة عاتكة بنت الطاغية يزيد حجراً عندما بدأت تتبجح وتفتخر بفعلة أبيها الشنيعة، من خلال بيان مظلومية أبيها الإمام الحسين عليه السلام، كما إنها ردت عليها بكلام نزل كالصاعقة على رأس هذه العفنة المتجلببة بالفخر والكبرياء الزائفين ولذا لابد من الوقوف إجلالاً لهذه الشجاعة التي أبدتها سيدتنا سكينة عليها السلام لتكمل الانتصار الذي بدأته عمتها السيدة زينب عليها السلام في مخاطبتها ليزيد الفسق والانحراف فهدت عروشه الواهية بقولها الذي ورد في كتاب السيدة رقية : كان ليزيد اللعين ابنة اسمها عاتكة كانت حاضرة في مجلس أبيها وتساءلت من العلويات فقالت : من منكنّ سكينة؟ فقالت السيدة سكينة عليها السلام :

أنا ابنة من قتلتموه انتقاماً لكفّار بدر، أف أتهزؤون وتسخرون بنا؟!.

---

(١) راجع أمالي الصدوق : ص ٢٣٠. بحار الأنوار : ج ٤٥، ص ١٥٤. روضة الواعظين : ج ١، ص ١٩١.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

فقالت عاتكة : أنا ابنة يزيد صاحب الرئاسة والعزة ومقيم الحق، وإذا بالسيدة سكينة تجيبها قائلة :

بمن تفخرين؟ أتفخرين بأبيك قاتل ذرية الرسول ﷺ؟! أم بأمك التي مكنت نفسها من غلام. فبأيّهما تفخرين، ألا لعنك الله ولعن أباك.

ولما سمعت ابنة يزيد هذه الشجاعة من السيدة سكينة ألقمت حجراً ولم تنبس ببنت شفة[1].

منها : رأت سيدتنا سكينة في منامها رؤيا ذكرها الفاضل الدربندي عن روايات معتبرة، وذكر صاحب البحار عن ابن نما بفارق مهم ألا وهو أن السيدة سكينة لم تقص رؤياها على يزيد بل أرادت كتمانها عنه إلاّ انها شاعت بين الناس، في حين يذكر الدربندي أن السيدة قصت رؤياها على يزيد، وسواء كان الأمر كما قال ابن نما أو كما ذكر الدربندي لابد لنا من الاطلاع على الرؤيا والتأمل في مضمونها لنستنبط منها ما ينفعنا في حياتنا الدنيا وآخرتنا، روى الدربندي : أن سكينة بنت الحسين قالت :

يا يزيد رأيت البارحة رؤيا إن سمعتها مني قصصت عليك.

فقال يزيد (لعنه الله) : هاتي ما رأيت. قالت :

بينما أنا ساهرة وقد كللت من البكاء بعد أن صليت ودعوت الله بدعوات، فلما رقدت عيني رأيت أبواب السماء قد تفتحت، وإذا أنا بنور ساطع من السماء إلى الأرض، وإذا بوصائف من وصائف أهل الجنة، وإذا أنا بروضة خضراء في تلك الروضة

---

(١) راجع : إكسير العبادات في أسرار الشهادات : ج ٣، ص ٤٢٥.

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

قصر، وإذا أنا بخمس مشائخ يدخلون إلى ذلك القصر، عندهم وصيف فقلت: يا وصيف أخبرني لمن هذا القصر؟ فقال: هذا لأبيك الحسين أعطاه الله تعالى ثواباً لصبره فقلت: ومن هذه المشائخ؟.

فقال: أما الأول فآدم أبو البشر وأما الثاني فنوح وأما الثالث فإبراهيم خليل الرحمن، وأما الرابع فموسى كليم الله فقلت له: ومن الخامس الذي أراه قابضا على لحيته باكياً حزيناً من بينهم؟ فقال لي: يا سكينة أما تعرفينه؟ فقلت: لا، فقال: هذا جدك رسول الله ﷺ، فقلت له: إلى أين يريدون؟ فقال: إلى أبيك الحسين فقلت: والله لألحقن جدي وأخبرنه بما جرى علينا فسبقني ولم ألحقه.

فبينما أنا متفكرة، وإذا بجدي علي بن أبي طالب وبيده سيف وهو واقف فناديته: «يا جداه، قتل والله ابنك من بعدك» فبكى وضمني إلى صدره وقال: يا بنية، صبراً وبالله المستعان، ثم أنه مضى ولم أعلم إلى أين، فبقيت متعجبة كيف لم أعلم به، فبينما أنا كذلك إذا بباب قد فتح من السماء، وإذا بالملائكة يصعدون وينزلون على رأس أبي».

قال: فلما سمع يزيد (لعنه الله) ذلك لطم على وجهه فبكى وقال: ما لي ولقتل الحسين[1].

وفي رواية أخرى: أن سكينة قالت:

ثم أقبل عليّ رجل دري اللون قمري الوجه حزين القلب، فقلت

(١) بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٩٤، العوالم: ج ١٧، ص ٤٢٠.

للوصيف: فمن هذا؟ فقال: جدك رسول الله ﷺ، فدنوت منه وقلت له: «يا جداه قتلت والله رجالنا، وسفكت والله دماؤنا، وهتكت والله حريمنا، وحملنا على الاقتاب من غير وطاء، نساق إلى يزيد (لعنه الله)»، فأخذني إليه وضمني إلى صدره، ثم أقبل إلى آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى، ثم قال لهم: أما ترون إلى ما صنعت أمتي بولدي من بعدي؟ ثم قال الوصيف: يا سكينة اخفضي صوتك فقد أبكيت رسول الله ﷺ.

ثم أخذ الوصيف بيدي فأدخلني القصر فإذا بخمس نسوة، قد عظم الله تعالى خلقهن وزاد في نورهن، وبينهن امرأة عظيمة ناشرة شعرها، وعليها ثياب سود، وبيدها قميص مضمخ بالدم، وإذا قامت يقمن معها، وإذا جلست يجلسن معها.

فقلت للوصيف: من هؤلاء النسوة اللاتي قد عظم الله خلقهن؟ فقال: يا سكينة، هذه حواء ام البشر، وهذه مريم بنت عمران، وهذه خديجة بنت خويلد، وهذه هاجر، وهذه سارة، وهذه التي بيدها القميص المضمخ بالدم وإذا قامت يقمن معها وإذا جلست يجلسن معها، هي جدتك فاطمة الزهراء.

فدنوت منها وقلت لها:

«يا جدتاه، والله قتل أبي، وأيتمت على صغر سني».

فضمتني إلى صدرها وبكت بكاءً شديداً وبكين النسوة كلهن، وقلن لها: يا فاطمة يحكم الله بينك وبين يزيد (لعنه الله) يوم الفصل.

ثم أن يزيد (لعنه الله) تركها ولم يعبأ بقولها[1].

وقفة

هذه الرؤيا الصادقة التي رأتها السيدة الطاهرة المستغرقة في الله تعالى سيدتنا سكينة نستنبط منها أموراً:

١ . ان السيدة عليها السلام نامت وهي على طهارة متوجّهة إلى الله تعالى داعية باكية، فرأت هذه الرؤيا الصادقة، كأنما السيدة سكينة عليها السلام تشير إلى شروط الرؤيا الصادقة.

٢ . أرادت سيدتنا قص هذه الرؤيا لتكون حجة على مظلومية أهل البيت عليهم السلام وتأكيداً لشرعية النهضة الحسينية في وجه الانحراف من خلال سرد أحداث الرؤيا المتضمنة حضور الأنبياء وأهل البيت عليهم السلام إلى مكان قتل الإمام عليه السلام.

٣ . في مضامين الرؤيا كثير من العبر والحكم كوجوب التحلي بالصبر إزاء البلاء الإلهي لينال الصابر مقام الصابرين، وفيها أيضاً ان قتل العترة الطاهرة هو قتل للشريعة وتعدٍّ على الأنبياء والرسل جميعا.

٤ . ان في قوله عليه السلام المذكور سابقاً ردعاً لما سيقع من الظالمين وحكام الجور على عترة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم على مدى الدهور.

٥ . في المقطع الذي يقول:

«ثم أخذ الوصيف بيدي فأدخلني القصر فإذا بخمس نسوة، قد عظم الله تعالى خلقهن وزاد في نورهن، وبينهن امرأة عظيمة ناشرة شعرها، وعليها ثياب سود، وبيدها قميص مضمخ بالدم،

---

(١) البحار: ج ٤٥، ص ١٩٥. والعوالم: ج ١٧، ص ٤٢١.

وإذا قامت يقمن معها، وإذا جلست يجلسن معها.

فقلت للوصيف: من هؤلاء النسوة اللاتي قد عظم الله خلقهن؟

فقال: يا سكينة، هذه حواء ام البشر، وهذه مريم بنت عمران، وهذه خديجة بنت خويلد، وهذه هاجر، وهذه سارة، وهذه التي بيدها القميص المضمخ بالدم وإذا قامت يقمن معها وإذا جلست يجلسن معها، هي جدتك فاطمة الزهراء.

فدنوت منها وقلت لها: «يا جدتاه، والله قتل أبي، وأيتمت على صغر سني».

فضمتني إلى صدرها وبكت بكاءً شديداً وبكين النسوة كلهن، وقلن لها: يا فاطمة يحكم الله بينك وبين يزيد (لعنه الله) يوم الفصل.

ثم أن يزيد (لعنه الله) تركها ولم يعبأ بقولها».

يظهر منه ان السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أفضل من هذه النسوة بما فيها السيدة خديجة أمها والسيدة مريم بنت عمران التي اصطفاه الله تعالى وفضلها على نساء عالمها.

٦ . ان رواية هذه الرؤيا ليزيد لكي يرتدع ويمتنع عن اهانة أهل البيت عليهم السلام بما في ذلك رأس سيد الشهداء عليه السلام ، ولكي تدخل الأذى عليه كما أدخل هو الأذى على العائلة الحسينية.

ملحقات

مما يلحق ببحثنا عن السيدة سكينة عليها السلام أمور لابد من تسليط الأضواء عليها وهي كما يلي :

ألف . زواج السيدة سكينة عليها السلام من ابن عمها عبدالله بن الحسن عليه السلام وليس

من القاسم كما يردده بعض قراء التعزية. ويؤيّد زواجها من عبدالله بن الحسن، ما ذهب إليه أكثر مؤرخي الفريقين وجعلوه من المسلّمات الثابتة، ومن هؤلاء:

١. أبو علي الطبرسي في «إعلام الورى»(١).

٢. أبو الحسن العمري في كتاب «المجدي في أنساب الطالبيين»(٢).

٣. السيد محسن الأمين العاملي في «أعيان الشيعة»(٣).

٤. الشيخ عباس القمي في «منتهى الآمال»(٤).

٥. السيد عبدالرزاق المقرم في «سكينة بنت الحسين عليه السلام» وفي «مقتل الحسين عليه السلام»(٥).

٦. الشيخ محمد الصبان في «إسعاف الراغبين»(٦).

٧. أبو الفرج الأصفهاني في «الأغاني»(٧).

٨. المدائني في «المترادفات»(٨).

هذا هو اتفاق أهل النسب والتاريخ، من أنّ زواج السيدة آمنة بنت

---

(١) إعلام الورى: ١٢٧.

(٢) المجدي في أنساب الطالبيين: ١٩ في باب أولاد الحسن بن علي عليهما السلام، وعنه مقتل الحسين عليه السلام للسيد عبدالرزاق المقرم: ٢٦٤.

(٣) أعيان الشيعة: ٣٤٣/٥.

(٤) منتهى الآمال: ٦٨٣/١ كما حكاه عن بعض مشجرات الأنساب.

(٥) سكينة بنت الحسين: ١١٠، ومقتل الحسين عليه السلام: ٢٦٤.

(٦) إسعاف الراغبين على هامش نور الأبصار: ٢٠٢.

(٧) الأغاني: ١٦/ ١٥٨ و١٦٠ و ١٦٢.

(٨) المترادفات: ٦٤.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

الحسين عليه السلام هو «عبدالله بن الحسن» الأكبر الملقّب «بأبي بكر» وهو الذي استشهد في واقعة الطف، أمّه رملة، وهي أم القاسم بن الحسن عليه السلام.

ب . ان اسم السيدة سكينة هو «آمنة بنت الحسين» ولكنها لقبت من قبل أمها الرباب بسكينة لهدوئها وسكينتها في طبعها غلب عليها، حتى كانت «السكينة» صفة لها وهذا ما أثبته ارباب السير والتاريخ على اختلاف في اسمها بين آمنة وأميمة، واتفقوا أن «سكينة» لقب وصفة لها اشتهرت بها، وممن ذهب إلى ذلك :

١ . ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق».

قال : أخبرنا الحسين بن الفراء وأبو غالب وأبو عبدالله ابنا البنّاء قالوا : انا أبو جعفر، أنا أبو طاهر، أنا احمد بن سليمان، أنا الزبير (ابن أخ مصعب بن الزبير) قال في تسمية ولد الحسين :

وسكينة، واسمها آمنة، وإنما سكينة لقب لقّبتها أمها الرباب بنت امرئ القيس. وتزوج سكينة بنت الحسين عبدالله بن حسن بن علي، أمّه بنت الشّليل بن عبدالله البجلي... فقُتل مع عمه الحسين بالطف قبل أن يبني بها...[(١)].

٢ . ابن تغري بدري في «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة».

قال : واسمها آمنة وأمها الرباب[(٢)].

٣ . ابن الجوزي في «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم».

قال : سكينة بنت الحسين واسمها آمنة، وقيل : أميمة، وسكينة لقب عُرفت به[(٣)].

---

(١) تاريخ دمشق، قسم تراجم النساء : ١٥٦، طبع دمشق، تحقيق سكينة الشهابي.

(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ١ / ٢٧٦.

(٣) المنتظم : ٧ / ١٧٥ حوادث سنة ١١٧ هـ.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

٤ . سبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص».

اسمها آمنة، وقيل: أميمة[١].

٥ . ابن النديم في «الفهرست».

كما نقله عن محمد بن السائب الكلبي النسّابة، قال محمد بن السائب الكلبي:

سألني عبدالله بن حسن [بن حسن] عن اسم سكينة بنت الحسين عليه السلام فقلت: أميمة، فقال: أصبت.

ج . كان عمرها عليها السلام عند وفاتها خمساً وسبعين سنة[٢].

فاطمة الصغرى

هي البنت الثانية لإمامنا الحسين عليه السلام التي شاركت الركب الحسيني في رحلته وآلامه ومصائبه وأحزانه وكان لها دور في بعض مواقع الرحلة سنتعرض لبيانها ان شاء الله تعالى.

تشترك السيدة فاطمة الصغرى مع أختها سكينة في جدها وجدتها وأبيها وعمها وعماتها وأخوتها وأخواتها إلا انها تفترق عنها في كنيتها فكانت تكنى بأم عبدالله وتلقب بالصغرى أو النبوية، وكان زوجها الحسن المثنى ابن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام الذي ولدت له عبدالله المحض وإبراهيم والحسن المثلث وزينب، وتوفيت سنة ١١٧ هـ عن عمر تجاوز السبعين سنة، وتعد فاطمة الصغرى من راويات الحديث عن أهل البيت عليهم السلام.

(١) تذكرة الخواص: ٢٤٩.

(٢) أعلام النساء: ص ٣٢٢.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

عبادة فاطمة الصغرى

دون ان نحتاج إلى سرد حالات السيدة فاطمة العبادية نقطع باتصافها بصفة العابدة المنقطعة إلى الله تعالى لمجرد كونها ممن تربى في حجر الطهر والعصمة وممن ارتشف من رحيق الصون والعفاف، وممن نهل من ينبوع الحكمة والعلم، ومما يؤكد قولنا هذا هو انتماؤها إلى بيوت إذن الله تعالى ان ترفع ويذكر فيها اسمه، فهي من أهل البيت الذين يصلون في اليوم ألف ركعة، ففاطمة فرع من رسول الله ﷺ الذي أشفق عليه ربه فخاطبه:

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾.

فلذا قال في حقها أبوها الإمام المعصوم عليه السلام عندما تعرض الحسن المثنى لخطبة إحدى بنات عمه الإمام الحسين عليه السلام فقال له: «اختار لك فاطمة فهي أكثرها شبها بأمي فاطمة بنت رسول الله ﷺ، أما في الدين فتقوم الليل كله وتصوم النهار، وفي الجمال تشبه الحور العين، وأما سكينة فغالب عليها الاستغراق مع الله تعالى فلا تصلح لرجل»(١).

ونقل المؤرخون عنها انها كانت تسبّح بخيوطٍ معقود فيها(٢).

وكانت عفيفة زاهدة متوجهة إلى ربها ولاسيما بعد وفاة زوجها حيث انها ضربت فسطاطاً على قبره وأخذت تقوم الليل وتصوم النهار(٣).

فاطمة في كربلاء

شاركت السيدة فاطمة عماتها وأخواتها رحلتهم من مدينة جدها

---

(١) اسعاف الراغبين للصبان بهامش نور الأبصار: ص ٢٠٢.

(٢) أعلام النساء: ص ٣٦٥. الطبقات الكبرى: ٨/٤٧٤. السمط الثمين: ص ١٦٨.

(٣) أعلام النساء: ص ٣٦٥، نفثة المصدور: ص ٣٩.

المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة ثم إلى العراق وهي تسمع وترى كل ما يدمي القلب ويهيج الزفرات ويذرف الدموع، إلى أن وصل الأمر إلى فقدان إخوتها وبني عمها ولاسيما زوجها وابن عمها الحسن بن الحسن عليه السلام، واستمرت المصائب تترى على سيدتنا فاطمة شأنها شأن نساء بني هاشم، وكان أشد المواقف مأساوية وألماً هو وداعها لأبيها وعزيزها وإمامها الإمام الحسين عليه السلام، عندما حان اللقاء مع الحبيب الحقيقي عزم الإمام عليه السلام على اللقاء وتحرك بخطوات المحب إلى خيامه ونادى:

يا سكينة، ويا فاطمة، ويا زينب، ويا أم كلثوم عليكن مني السلام، فهذا آخر الاجتماع وقد قرب منكن الافتجاع.

فعلت أصواتهن بالبكاء وصحن:

الوداع! الوداع! الفراق الفراق.

ثم إن الإمام الحسين عليه السلام دعاهن بأجمعهن. وقال لهن:

«**استعدوا للبلاء!، واعلموا أن الله حافظكم وحاميكم وسينجيكم من شر الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذّب أعاديكم بأنواع البلايا، ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة. فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص قدركم**».

ثم أمرهن الإمام بلبس أزرهن، ومقانعهن، فسألته أخته زينب عن ذلك، فقال:

«**كأني أراكم عن قريب، كالإماء والعبيد، يسوقونكم أمام الرّكاب، ويسومونكم سوء العذاب**»[1].

وها هي سيدتنا فاطمة كانت الاسم الثاني الذي ناداه الإمام عليه السلام حيث انها كريمته وفلذة كبده التي لا تقل تعلقا بأبيها عن الأخريات، ولا تختلف مسؤوليتها

---

(١) الشمس الطالعة: ج ٢، ص ٧٠ ـ ٧١.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

عن غيرها من النساء فلذلك توجه الإمام عليه السلام بوداعه وإرشاده وتصبيره لها مع عماتها وأخواتها ونساء الأسرة الحسينية.

فاطمة المرعوبة

تصف لنا سيدتنا فاطمة قصتها التي مُلِئَت خوفاً وحيرةً منها عليها السلام وتجاوزاً وجرأة وقساوة من الأجلاف الذين هجموا على حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلقد نقل العلامة المجلسي رحمه الله قائلاً: «رأيت في بعض الكتب أنّ فاطمة الصغرى قالت:

كنت واقفة بباب الخيمة، وأنا أنظر إلى أبي وأصحابه مجزّرين كالأضاحي على الرمال، والخيول على أجسادهم تجول، وأنا أفكّر فيما يقع علينا بعد أبي من بني أمية أيقتلوننا أو يأسروننا؟ فإذا برجل على ظهر جواده يسوق النساء بكعب رمحه، وهنّ يلذن بعضهن ببعض وقد أخذ ما عليهن من أخمرة وأسورة، وهن يصحن: واجداّه، وا أبتاه، واعلياه، واقلّة ناصراه، واحسناه! أما من مجير يجيرنا؟ أما من ذائد يذود عنّا؟.

قالت:

فطار فؤادي وارتعدت فرائصي، فجعلت أجيل بطرفي يميناً وشمالاً على عمّتي أم كلثوم خشية منه أن يأتيني، فبينا أنا على هذه الحالة وإذا به قد قصدني ففررت منهزمة، وأنا أظنّ أني أسلم منه، وإذا به قد تبعني فذهلت خشية منه، وإذا بكعب الرمح بين كتفيّ فسقطت على وجهي، فخرم أذني واخذ قرطي ومقنعتي، وترك الدماء تسيل على خدي، ورأسي تصهره الشمس، وولّى راجعاً إلى الخيم، وأنا مغشيّ عليّ، وإذا أنا بعمتي عندي تبكي وهي تقول: قومي نمضي! ما أعلم ما جرى على

البنات وأخيك العليل؟ فقمت وقلت: يا عمتاه هل من خرقة أستر بها رأسي عن أعين النظّار؟ فقالت: يا بنتاه وعمتك مثلك! فرأيت رأسها مكشوفاً وقد أسود من الضرب، فما رجعنا إلى الخيمة إلاّ وهي قد نهبت وما فيها، وأخي علي بن الحسين مكبوب على وجهه لا يطيق الجلوس من كثرة الجوع والعطش والأسقام، فجعلنا نبكي عليه ويبكي علينا»(١).

وقفة

أقف مندهشاً أمام هذه الصورة وأنا أرى غلظة وقساوة هؤلاء الأجلاف، ولا أستطيع ان استوعب الرعب الذي كان يحيط بهذه الفتاة المخدرة المؤمنة، ولذا رأيت ان اسرد ما شعرت به:

١ . شاء الله تعالى ان تشترك في قتل الإمام عليه السلام والتعدي على حريمه وحوش بشرية ليس لديها من عمل صالح يخفف عنها في قيامتها بل ستكون وقوداً لنار جهنم ومصداقاً للآية الكريمة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ...﴾.

وهذا يعني انسجام بل اتحاد الذات مع الصفة، فذات كهذه لا تقوم إلا بفعل كهذا فعل، وفعل كهذا لا يقع إلا من هذه الذات.

٢ . وقوع سلب المقنعة ثقيل وموجع على حياء فتاة مخدرة طاهرة من بيت معصوم، إذ ان هذه القصة تذكرني بما مر على نساء محجبات مؤمنات عفيفات كن معي في مديريات أمن النظام البائد حيث كانوا يمارسون معهن كل أنواع التعدي والانتهاك.

---

(١) البحار: ٤٥ / ٦٠ ـ ٦١.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

٣ . عفة السيدة فاطمة وحجابها وحشمتها كان همها الأول دون الاهتمام بألم خرم الاذن أو الم السياط أو قيمة ما سلب منها.

٤ . ان البلاء الذي أصاب حريم الركب الحسيني بلاء لرفع الدرجات ونيل الرتب العاليات.

٥ . في ندبتهن لآبائهن الطاهرين نكتة علمية ألا وهي ان النادبات يعتقدن تمام الاعتقاد بحياة المندوبين وقدرتهم على إجابة الإغاثة وهذا هو عين العقيدة الحقة.

٦ . عندما تنقل لنا راوية أحداث الطف السيدة فاطمة عليها السلام ان رجلاً واحداً على ظهر جواده يسوق النساء بكعب رمحه وهن يلذن ببعضهن لا يعني ان هذا الرجل شجاع فارس بل هو فاقد لكل صفات الرجولة والفروسية، ولا يعني أيضاً ان النساء العلويات يتصفن بالجبن والخنوع بل يعني :

أولاً : ان تركية جسد المرأة ورقتها وعدم خشونتها لا يكفي في مجابهة الرجل وهذا ما يجب ان تتصف به الأنثى الكاملة.

وثانياً : ان الجهاد ساقط عن المرأة وليس عليها إلا الحفاظ على عفتها وخدرها وحيائها فلذا كانت سيدتنا زينب الكبرى عليها السلام هذه اللبوة الحرة تدفع السياط بيد وتستر وجهها باليد الأخرى.

بكاء لا ينفع صاحبه

روى الشيخ الصدوق رحمه الله بسند عن عبد الله بن الحسن عليهما السلام ، عن أمه فاطمة بنت الحسين عليها السلام قالت :

«دخلت الغاغة علينا الفسطاط وأنا جارية صغيرة، وفي رجلي خلخالان من ذهب، فجعل رجلٌ يفضّ الخلخالين من رجلي وهو يبكي! فقلت: ما يبكيك يا عدو الله؟! فقال: كيف لا أبكي

وأنا أسلب ابنة رسول الله!. فقلت: لا تسلبني. قال: أخاف أن يجيء غيري فيأخذه».

لا أستطيع تفسير بكاء هذا الرجل إلا كبكاء التمساح الذي يبكي على فريسته وهو غير قاصد لذلك ولا يشعر بالرقة اتجاهها بل يلتذ بابتلاعها ومضغها، فالبكاء النافع هو ما كان خشية من الله تعالى أو رقة للغير وما قالته السيدة فاطمة عليها السلام عن بكاء الرجل السالب مع عدم امتناعه عن السلب دليل على عدم نفع البكاء لصاحبه، أو يمكن تفسيره بأنه مريض نفسياً تتملكه الازدواجية التي تجعل من يتصف بها متغيراً من حال إلى آخر وهذا ما يؤكده علماء النفس بقولهم «ونكتشف الازدواجية بسهولة عندما تكون المشاعر المقصودة عابرة ومتغيرة»[(١)] ما كان بكاؤه إلا انفعالاً مع الصورة المأساوية.

ويرى الشيخ التستري قدس سره ان بكاء هؤلاء القساة الأجلاف «ناشئ من الرقة الموجودة في الفطرة، من غير اختيار مع التفات الباكين إلى انه رقة على المبكي عليهم مع الغفلة عن بغضهم، وهناك بكاء أيضاً ناشئ من الفطرة ولكن مع الالتفات إلى بغض المبكي عليه... الخ»[(٢)].

ويمكن الاستفهام من الشيخ قدس سره كيف نفسر أن صاحب القلب القاسي الذي وصل إلى أشد قساوة من الحجارة بل أضل سبيلاً أن يكون في قلبه شيء من الرقة؟ وهل ان هذه الرقة كمال أو نقص فإن قلت بأنها كمال يلزم ان يكون في هذه الشخصية الوحشية المسوخة شيء من الكمال والإيجاب فيتفرع على هذا القول ان صاحب هذا الكمال وهذه الرقة يستحق في قبال البكاء شيئاً من الأجر، وان

---

(١) كتاب فن التحليل النفسي، رالف غرينسون.

(٢) الخصائص الحسينية: ص ١٧٦.

قلت بأنها نقص يلزم من ذلك اتصاف فطرته بالنقص وهذا لا ينسجم مع الفطرة السليمة. ومما يؤكد قولنا هو دعاء السيدة زينب عليها السلام على سالب الخلخال الذي كان في رجلي السيدة فاطمة بنت الإمام عليه السلام كما نقل الأسفراييني[1]: «قالت زينب أخت الحسين كنّا ذلك الوقت جلوساً في الخيام إذ دخل علينا رجال فيهم رجل أزرق العيون فأخذ كل ما كان في خيمتنا التي كنّا مجتمعين فيها، ثم نظر إلى علي بن الحسين وهو مطروح على قطعة من الأديم، فجذبها من تحته ورماه على الأرض، ثم أخذ قناعي من رأسي، ونظر إلى قرط في أذني فعالجه وقرضه بأسنانه، فخرم أذني ونزعه وجعل الدم يسيل على ثيابي، وهو مع ذلك يبكي! ثم نظر إلى خلخال كان في رجلي فاطمة الصغرى فجعل يعالجها حتى كسرهما وخرج الخلخال منهما، فقالت له: أتسلبنا وأنت تبكي!؟ فقال: أبكي لما حلّ بكم أهل البيت!.

قالت زينب: فخنقتني العبرة من وجع أذني وبكاء فاطمة، فقلت له: قطع الله يديك ورجليك وأذاقك الله النار في الدنيا قبل الآخرة.

فقال: والله لا جاوزت دعوتها ثم قطع يديه ورجليه وأحرقه بالنار وذهب».

فيفهم من دعائها عليه انه مسخ قاسٍ لا رقة في قلبه يستحق عليها شيئاً من الأجر أو حتى دعاء لهدايته.

ومما يؤكد ذلك أيضاً قول السيدة فاطمة بنت الإمام عليه السلام مخاطبة أهل الكوفة:

«قست والله قلوبكم، وغلظت أكبادكم، وطبع على أفئدتكم وختم على أسماعكم وأبصاركم وسوّل الشيطان وأملى لكم وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون».

---

(١) في كتاب نور العين في مشهد الحسين عليه السلام ص ٤٥.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

السيدة فاطمة تجلد أهل الكوفة

بعد ان جلجل صوت عقيلة بني هاشم عليها السلام في الكوفة ليقرع المسامع العفنة ويوبخها، تلاه صوت عزيزة الإمام الحسين عليه السلام وابنته فاطمة يجلد رؤوسهم ويصك اسماعهم بخطبة مُلئت بلاغة وفصاحة وأدباً وإرشاداً. كما ورد ذلك عن السيد ابن طاووس رحمه الله : «وروى زيد بن موسى قال: حدثني أبي، عن جدّي عليهما السلام قال: خطبت فاطمة الصغرى بعد أن وردت من كربلاء، فقالت:

الحمد لله عدد الرمل والحصى، وزنة العرش إلى الثرى، أحمده وأؤمن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله، وأنّ أولاده ذبحوا بشطّ الفرات بغير ذُحل ولا ترات!.

اللهم إنّي أعوذ بك أن أفتري عليك الكذب، أو أن أقول عليك خلاف ما أنزلت عليه من أخذ العهود لوصيّه علي بن أبي طالب عليه السلام، المسلوب حقّه، المقتول من غير ذنب كما قتل ولده بالأمس، في بيت من بيوت الله في معشر مسلمة بألسنتهم! تعساً لرؤوسهم ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته، حتى قبضته إليك محمود النقيبة، طيّب العريكة، معروف المناقب مشهور المذاهب، لم تأخذه في الله لومة لائم ولا عذل عاذل، هديته اللهم للإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كبيراً، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك صلى الله عليه وآله حتى قبضته إليك زاهداً في الدنيا غير حريص عليها، راغباً في الآخرة، مجاهداً لك في سبيلك رضيته فاخترته فهديته إلى صراط مستقيم.

أمّا بعد يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر والخيلاء! فإنّا أهل

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

بيت ابتلانا الله بكم، وابتلاكم بنا، فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا، فنحن عيبة علمه، ووعاء فهمه وحكمته، وحجّته على الأرض في بلاده لعباده، أكرمنا الله بكرامته، وفضّلنا بنبيّه محمد ﷺ على كثير ممّن خلق تفضيلاً بيّناً، فكذّبتمونا وكفرتمونا! ورأيتم قتالنا حلالاً! وأموالنا نهباً! كأننا أولاد ترك وكابل! كما قتلتم جدّنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد متقدّم! قرّت لذلك عيونكم وفرحت قلوبكم، افتراءً على الله ومكراً مكرتم، والله خير الماكرين. فلا تدعوتكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا ونالت أيديكم من أموالنا، فإنّ ما أصابنا من المصائب الجليلة والرزايا العظيمة.

﴿فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾[1].

تبّاً لكم! فانتظروا اللعنة والعذاب، فكأن قد حلّ بكم وتواترت من السماء نقمات، فيسحتكم بعذاب ويُذيق بعضكم بأس بعض، ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا، ألا لعنة الله على الظالمين.

ويلكم! أتدرون أيّة يدٍ طاعنتنا منكم!؟ وأيّة نفس نزعت إلى قتالنا!؟ أم بأيّ رجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا!؟.

قست والله قلوبكم، وغلظت أكبادكم، وطبع على أفئدتكم، وخُتم على أسماعكم وأبصاركم، وسوّل لكم الشيطان وأملى لكم، وجُعل

(١) سورة الحديد، الآيتان: ٢٢ ـ ٢٣.

على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون!.

فتباً لكم يا أهل الكوفة! أي ترات لرسول الله ﷺ قبلكم، وذحول له لديكم بما عندتم بأخيه علي بن أبي طالب عليه السلام جدي وبنيه وعترة النبي الأخيار صلوات الله وسلامه عليهم!؟ وافتخر بذلك مفتخركم. فقال:

نحن قتلنا علياً وبني علي	بسيوف هندية ورماح
وسبينا نساءهم سبي ترك	ونطحناهمُ فأيُّ نطاح

بفيك أيها القائل الكثكث والأثلب! افتخرت بقتل قوم زكّاهم الله وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً! فاكظم واقع كما أقعى أبوك فإنّما لكل امرئ ما اكتسب وما قدّمت يداه، أحسدتمونا ـ ويلاً لكم ـ على ما فضّلنا الله؟!.

فما ذنبنا إن جاش دهراً بحورنا	وبحرك ساجٍ لا يواري الدعامصا

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور.

قال: وارتفعت الأصوات بالبكاء! وقالوا: حسبك يا ابنة الطيبين! فقد أحرقت قلوبنا، وانضجت نحورنا، وأضرمت أجوافنا، فسكتت»(١).

وقفة

لا أريد ان أتعرض لشرح هذه الخطبة الشريفة لما في ذلك خروج عن غاية الكتاب إلا انني أقف على بعض المقاطع لاستخلص منها بعض الرؤى:

---

(١) اللهوف: ١٩٤. وانظر: الاحتجاج: ٢ / ١٠٤. ومثير الأحزان: ٨٧. وتسلية المجالس: ٢ / ٣٥٥ ـ ٣٥٩ والبحار: ٤٥ / ١١٠.

١ . قدمت الحمد لتبتدئ به خطبتها كقاعدة سار عليها أهل البيت عليهم السلام وعمل بها المؤمنون إذ بدونها لا يكون الكلام إلا أبتر، ثم ذكرت الشهادتين لتؤكد لأهل الكوفة جريمتهم حيث أنهم قتلوا قوماً مسلمين.

٢ . وفي قولها «**وأن ولده ذبحوا بشط الفرات** ... الخ» إشارة إلى أن هؤلاء القتلى ليسوا مسلمين فحسب بل هم سادة المسلمين إذ إنهم ابناء رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم .

٣ . وفي مقطع آخر تعرضت لبيان مظلومية سيد الأوصياء أمير المؤمنين عليه السلام وصفاته وعلاقته بالله تعالى لتؤكد لهم ان قتل الإمام الحسين عليه السلام ليست هي الجريمة الأولى التي قام بها أهل الكوفة بل هي جريمة تابعة لجريمة سابقة ألا وهي قتل سيد الأوصياء في مسجد الكوفة.

٤ . أشارت السيدة فاطمة عليها السلام إلى ان ما حدث في كربلاء هو ابتلاء إلهي ذو عاقبة حسنة لأهل البيت عليهم السلام وابتلاء ذو عاقبة سيئة لأهل الكوفة للفرق الكبير بين أهل بيت طهرهم الله تعالى تطهيرا وبين قوم صم بكم عمي فهم لا يفقهون.

٥ . صرحت السيدة فاطمة عليها السلام سبب وقوع أهل الكوفة في الباطل وانحرافهم عن الحق وخروجهم من الهدى إلى الضلال، ومن النور إلى الظلمات بقولها :

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ .

السيدة فاطمة في الشام

ذكر المؤرخون اسم فاطمة عليها السلام في موقفين يعز على القارئ ان يطّلع عليهما وهما :

١ . عندما أدخلوا السبايا على يزيد: قال ابن نما «قالت فاطمة بنت الحسين: يا يزيد بنات رسول الله سبايا؟ فبكى الناس وبكى أهل داره حتى علت الأصوات...».

٢ . لما جلست النسوة المسبيات في مجلس الطاغية قالت السيدة فاطمة عليها السلام «قام إليه رجل من أهل الشام أحمر، فقال: يا أمير هب لي هذه الجارية يعنيني وكنت جارية وضيئة فأرعدت وظننت أن ذلك جائز لهم فأخذت بثياب عمتي زينب وكانت تعلم ان ذلك لا يكون».

وعند تأملنا لهذين الموقفين نرى إصرار أهل البيت عليهم السلام على ابراز هوية السبايا وإلقاء الحجة وتعريف الناس بذلك وإلقاء اللائمة على يزيد وأتباعه.

السيدة رقية بنت الإمام الحسين عليه السلام

رغم ان المؤرخين لم يتعرضوا لذكر السيدة رقية كونها من بنات الإمام الحسين عليه السلام واختلفوا في ذلك، فمنهم من قال أن للإمام عليه السلام بنتين فقط ومنهم من ذكر أن له ثلاثاً ومنهم من قال أنهن أربع بما فيهن السيدة رقية، وأنا أميل إلى الرواية التي تذكر السيدة رقية لأن أكثر الروايات التاريخية تذكر ان للإمام عليه السلام طفلة ماتت في الشام على رأس أبيها الإمام الحسين عليه السلام وسواء كانت الروايات تؤكد وجودها أم لا، فأرى من المناسب ذكر هذه الطفلة التي لا شك في وجودها سواء كان اسمها رقية أو اسم آخر.

نبذة عن سيدتنا رقية

رقية من الأسماء التي أخذت من الارتقاء أي الصعود والترقي، ولم تنفرد السيدة رقية بهذا الاسم بل سبقها غيرها في ذلك، «فلقد جاء في التاريخ أن اسم

إحدى بنات هاشم ـ جد الرسول ـ كان رقية وهي عمة والد النبي ﷺ وكان اسم ربيبة رسول الله ﷺ من زوجته خديجة هو رقية وللإمام الحسن المجتبى عليه السلام بنت اسمها رقية»[1].

وذكر صاحب كتاب «معالي السبطين» العلامة الحائري: ومنهن رقية الكبرى وكانت عند مسلم بن عقيل فولدت منه عبدالله بن مسلم ومحمد بن مسلم اللذين قتلا يوم الطف مع الحسين عليه السلام وعاتكة ولها من العمر سبع سنين التي سحقت يوم الطف بعد شهادة الحسين لما هجم القوم على المخيم للسلب على ما رواه الشيخ حسن بن سليمان الشويكي في مقتله[2].

«قال: كتب محمد بن طلحة الشافعي وغيره من علماء الشيعة والسنة أن للإمام الحسين عليه السلام ستة أولاد وأربع بنات، وأسماء هذه البنات: سكينة ـ فاطمة الصغرى ـ فاطمة الكبرى ـ رقية عليها السلام وكان عمر السيدة خمس سنوات وقد توفيت في الشام وأمها شاه زنان فتكون بذلك أخت الإمام السجاد عليه السلام».

إلا أن هناك رواية تقول ان عمرها ثلاث سنوات وأمها هي أم إسحاق التي هي أم السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام ولعل هذه أقوى من سابقتها ولاسيما إذا استندنا إلى رواية موت السيدة شاه زنان عند ولادة الإمام السجاد عليه السلام[3].

صور عاطفية من حياة رقية عليها السلام

انما انقل هذه الصورة مقتبسة من المصادر لأطلع القارئ الكريم على علاقة السيدة رقية بأبيها الحسين عليه السلام ولأربط قلوب الموالين بأهل البيت عليهم السلام عاطفياً.

---

(١) السيدة رقية، رباني خلخالي: ص ١٥١.

(٢) معالي السبطين: ج٢، ص ٢١٤.

(٣) أسرار الشهادات: ج ٣، ص ١٣٧.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

الصورة الأولى

ينقل الشيخ الخلخالي فيقول: نقل البعض عن كتاب «سرور المؤمنين» فقال: إنّ السيدة رقية عليها السلام كانت كل يوم في أوقات الصلاة تفرش سجّادة سيد الشهداء عليه السلام ليصلّي عليها.

وفي يوم عاشوراء لّما حان وقت صلاة الظهر جاءت وفرشت السجادة وجلست تنتظر والدها ليأتي ويصلّي، وفيما هي على ذلك الحال إذا بشمر اللعين يدخل الخيمة فتساءلت منه السيدة رقية وقالت: **ألم تر والدي؟** فلم يجبها اللعين إلاّ أنه أمر غلاماً له أن يأتي ويضربها فامتنع الغلام فجاء اللعين بنفسه ولطمها على وجهها لطمة علم الله ماذا صنعت هذه اللطمة بأهل السماء[1].

الصورة الثانية

ينقل الشيخ الخلخالي فيقول: إن السيدة زينب عليها السلام في ليلة الحادي عشر من محرم جمعت العيال في خيمة قد احترق نصفها، وبقيت تحرس النساء والأطفال طيلة تلك الليلة وبينما هي كذلك أخذتها غفوة فرأت والدتها الصديقة الزهراء عليها السلام وقالت لها: **أماه أما تدرين بما جرى علينا؟**.

فأجابتها الصديقة الزهراء عليها السلام: **لا تحرقي قلبي بعتابك يا بنية، قالت العقيلة زينب: إذن لمن أشكو شجوني؟**.

فتأوّهت الصديقة الزهراء عليها السلام وقالت: **لقد كنت حاضرة عندما حزّ اللعين رأس ولدي وفصل رأسه عن بدنه**، ثم إنها عليها السلام قالت: **والآن ابحثي عن عزيزة الحسين رقية عليها السلام فلم تجبها**، فخرجت مع السيدة أمّ كلثوم تبكيان يبحثن عنها، وبينما هما كذلك إذا بصوت السيدة رقية عليها السلام بين القتلى.

---

(١) السيدة رقية للخلخالي: ص ١٥٩.

فتوجّهنا نحو القتلى وإذا بالسيدة رقية عليها السلام قد ألقت بنفسها على جسد أبيها وهي تشكو إليه ما جرى عليهم.

فهدّأتها السيدة زينب عليها السلام ورفعتها عن جسد والدها.

ولم تمض لحظات إذا بالسيدة سكينة تأتي فرجعوا معاً، وفي أثناء الطريق التفتت السيدة سكينة إلى السيدة رقية عليها السلام وقالت: **كيف وجدت جسد أبي؟** فأجابتها السيدة رقية: **بينما كنت أصيح في البيداء أبتاه... أبتاه... إذا بصوت والدي يتهادى إلى سمعي قائلاً: بنية إليّ إليّ...**(١).

الصورة الثالثة

ينقل الشيخ الخلخالي فيقول: نقل في بعض الأخبار: أن السيدة سكينة عليها السلام قالت لإحدى أخواتها ـ ويحتمل أن تكون هي السيدة رقية ـ يوم عاشوراء:

هلمّي نأخذ برداء والدي ونحول بينه وبين الذهاب إلى الميدان.

وعندما سمع سيد الشهداء عليه السلام صوتهنّ بكى كثيراً، وإذا بالسيدة رقية تناديه قائلة:

أبتاه! لن أحول دون ذهابك إلى الميدان ولكن قف لي هنيئة لأراك وأتزوّد منك.

فأخذها سيد الشهداء عليه السلام في حضنه وجعل يقبّلها ويصبّرها وإذا بها تقول له:

أبتاه، العطش العطش، فإنّ الظمأ قد آلمني.

فأشار عليها الإمام الحسين عليه السلام أن تدخل الخيمة ليذهب إلى الميدان ويطلب لها ماءً وما أن أراد سيد الشهداء عليه السلام الذهاب إلى الميدان إذا بالسيدة رقية عليها السلام تأخذ بأذياله من جديد وهي تقول:

---

(١) السيدة رقية للخلخالي: ص ١٥٩.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

أبتاه أين تمضي عنّا؟.

فأخذها الإمام الحسين عليه السلام في حضنه ثانية وطيّب خاطرها وهدّأ من روعها ثم ودّعها بقلب حزين[1].

الصورة الرابعة

ينقل الشيخ الخلخالي فيقول: على الرغم أنّ كلّ وقائع وداع سيد الشهداء عليه السلام مع أهل بيته عليهم السلام مؤلمة ومحزنة إلاّ أنّ الوداع الأخير وهو وداعه مع عزيزة قلبه الصغيرة السيدة رقية عليها السلام أكثر حزناً وأشدّ إيلاماً على قلوب المؤمنين.

فمن كلام لهلال بن نافع الذي كان في جيش عمر بن سعد قال فيه: كنت واقفاً خلف صفوف العسكر فرأيت الإمام يتقدّم نحو الميدان بعد أن ودّع عياله وأهل بيته، وفي ذلك الأثناء شاهدت طفلة خرجت من الخيمة ورجلها ترجفان فأخذت تعدو خلف الإمام الحسين عليه السلام حتى وصلت إليه وتشبّثت بأذياله وهي تقول: أبتاه أنظر إليّ فإنّي عطشانة.

وما أن سمع سيد الشهداء عليه السلام هذه الكلمات المشجية من عزيزة قلبه رقية عليها السلام إذا به ينقلب حاله ويجهش بالبكاء فخاطبها بدموع جارية وقال:

الله يسقيك فإنه وكيلي عليكم.

يقول هلال بن نافع: سألت من هذه الطفلة؟ وما هي علاقتها بالإمام الحسين عليه السلام؟.

فقالوا لي: إنّها السيدة رقية صغيرة الإمام الحسين عليه السلام[2].

---

(١) وقائع عاشوراء للسيد محمد تقي مقرم: ص ٤٥٥. حضرة رقية للشيخ علي الفلسفي: ص٥٥٠.

(٢) حضرة رقية للشيخ علي الفلسفي: ص ٥٥٠.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ينقل الشيخ الخلخالي فيقول: ونقل ابن الجوزي في كتابه «مفاتيح الغيب» أنّ صالح بن عبدالله قال: عندما أحرقوا الخيام وفرّ أهل البيت عليهم السلام في كلّ مكان رأيت طفلة قد أخذت النيران بأطرافها وهي تبكي وتفرّ من الأعداء فرقّ قلبي لها ودنوت منها لأخمد النيران، ولما سمعت صهيل فرسي اشتدّ خوفها وارتاعت أكثر فقلت لها: لا بأس عليك بنيّة لا تخافي إنّما هي النيران قد علقت بأطرافك وأردت أن أخمدها.

وبينما كنت أطفئ النيران في أذيالها التفتت إليّ وقالت:

يا شيخ أنا عطشانة، فهل إلى شربة من الماء سبيل؟.

فرقّ قلبي لها وناولتها قدحاً من الماء. فأخذت القدح وجعلت تتمعّن وتحقّق النظر فيه وهي تتحسّر، ثم أنّها تركتني وجدّت في السير، فتساءلت منها وقلت: إلى أين تريدين؟ فقالت:

إنّ أختي الصغيرة هي أشدّ منّي عطشاً.

فقلت لها: لا تخافي، فلن يمنعوكم من الماء بعد اليوم، وريثما أخبرتها بذلك التفتت إليّ والحزن والألم باديان على وجهها وقالت:

أسألك يا شيخ، لقد كان والدي عطشاناً حينما ذهب إلى الميدان، فهل سقوه ماءً؟.

فقلت لها: بنيّة والله لقد سمعته إلى اللحظات الأخيرة وهو ينادي:

اسقوني شربة من الماء.

فلم يسقه أحد حتى قضى عطشاناً. فانتحبت لعطش والدها عن شرب الماء.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وقد نقل بعض الفضلاء أنّ هذه الطفلة كانت السيدة رقية عليها السلام [1].

شهادة السيدة رقية

أسوق هذه الرواية التي من خلالها نطلع على مقام هذه الصغيرة التي خاطبت رأس أبيها بخطبة تزخر بالمعرفة والعاطفة والعبارات الحزينة والمفردات الثمينة وكأنها بنت تجاوزت مرحلة البلوغ.

وروي هذا الخبر في بعض التأليفات بوجه أبسط في المنتخب للطريحي، وفي الإيقاد للسيد الجليل ثقة الإسلام السيد محمد علي الشاه عبد العظيم قدس سره ما ملخصه: إنه كانت للحسين عليه السلام بنت صغيرة يحبها، وتحبه، وقيل: كانت تسمى رقية، وكان لها ثلاث سنين وكانت مع الأسرة في الشام، وكانت تبكي لفراق أبيها ليلها ونهارها، وكانوا يقولون لها: هو في السفر، فرأته ليلة في النوم، فلما انتبهت جزعت جزعاً شديداً وقالت ايتوني بوالدي، قرة عيني، وكلما أراد أهل البيت إسكاتها ازدادت حزنا وبكاء، ولبكائها هاج حزن أهل البيت، فأخذوا في البكاء ولطموا الخدود، وحثوا على رؤوسهم التراب ونشروا الشعور وقام الصياح، فسمع يزيد صيحتهم، وبكاءهم، فقال: ما الخبر؟ قيل له: إن بنت الحسين الصغيرة رأت أباها بنومها فانتبهت وهي تطلبه وتبكي وتصيح، فلما سمع يزيد ذلك قال: ارفعوا إليها رأس ابيها وحطوه بين يديها تتسلى، فأتوا بالرأس في طبق مغطى بمنديل ووضعوه بين يديها، فقالت:

ما هذا؟ إني طلبت أبي، ولم أطلب الطعام.

فقالوا: إن هنا أباك فرفعت المنديل، ورأت رأسا، فقالت:

---

(١) مفتاح الغيب: ١٥٨.

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

ما هذا الرأس؟

قالوا: رأس أبيك، فرفعت الرأس، وضمته إلى صدرها، وهي تقول:

يا أبتاه من ذا الذي خضبك بدمائك؟ يا أبتاه من ذا الذي قطع وريدك؟ يا أبتاه من ذا الذي أيتمني على صغر سني؟ يا أبتاه من لليتيمة حتى تكبر؟ يا أبتاه من للنساء الحاسرات؟ يا أبتاه من للأرامل المسبيات.... .

يا أبتاه من للعيون الباكيات؟ يا أبتاه من للضايعات الغريبات؟ يا أبتاه من للشعور المنشورات؟ يا أبتاه من بعدك واخيبتاه من بعدك، واغربتاه، يا أبتاه ليتني لك الفداء، يا أبتاه ليتني هذا اليوم عمياء، يا أبتاه ليتني توسدت التراب ولا أرى شيبك مخضبا بالدماء.

ثم وضعت فمها على فم الشهيد المظلوم، وبكت حتى غشي عليها، فلما حركوها فإذا هي قد فارقت روحها الدنيا، فارتفعت أصوات أهل البيت بالبكاء، وتجدد الحزن والعزاء، ومن سمع من أهل الشام بكاءهم بكى، فلم ير في ذلك اليوم إلا باك أو باكية فأمر يزيد بغسلها وكفنها ودفنها[1].

خاتمة حزينة

ورد في بعض الأخبار أنّ المغسّلة عندما كانت تغسّل جسد السيدة رقية عليها السلام، تركت التغسيل فجأة وتساءلت قائلة: من هو كبير هؤلاء الأسرى؟.

فأجابتها السيدة زينب وقالت:

ماذا تريدين؟.

---

(١) معالي السبطين: ص ٥٨٥.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

قالت المغسلة: ماذا كان مرض هذه الطفلة حتّى أصبح جسدها هكذا؟.

فأجابتها العقيلة عليها السلام:

إنّ الطفلة لم تكن مريضة إنها آثار السياط، وطعنات كعب الرماح.

وفي بعض الروايات أنّ يزيد اللعين أمر ان يأخذوا مصباحاً وصاجة من الخشب ليغسلوا السيدة رقية عليها السلام عليها ويكفّنوها في ثوبها القديم الذي كان عليها.

وفي نفس الوقت خرجت نساء الشام وهنّ لابسات السواد وقد ازدحمن من كلّ حدب وصوب يردن مشايعة أهل البيت عليهم السلام بعد أن علت أصواتهنّ بالنحيب والبكاء والصياح.

آنذاك استفادت العقيلة زينب عليها السلام من هذه الفرصة الذهبية فأخرجت رأسها من المحمل وخاطبت أهل الشام قائلة:

يا أهل الشام، لقد أودعناكم في هذه الخرابة أمانة، فالله فيها، يا أهل الشام تعاهدوا قبرها بالزيارة، فهي غريبة لا أحد لها في هذه الديار ـ ولا تنسوا أن تريقوا الماء وتشعلوا المصابيح عند مرقدها الشريف(١).

المرأة الزوجة

إذا كانت العلاقة بين الزوج وزوجته مبنية على الخلق الرفيع والعشرة بالمعروف والاحترام المتبادل ونكران الذات والتفاني المستمر انتجت بيتاً سعيداً وأسرة مستقرة تسودها المودة والرحمة، وهذا بدوره يتطلب زوجاً واعياً خلوقاً وذا دين، وزوجة لا تختلف عن زوجها في صفاته، وكلما ارتقت الشخصية في سلم

(١) السيدة رقية، الخلخالي: ص ١٧٠.

الكمال انعكست على من يحيط بها ويعاشرها فتغدق المحبة والمداراة والحنو والرحمة والكلام الجميل والفعل الحسن، وهكذا هي الأسرة الحسينية التي تتكون من زوج معصوم طاهر حجة وإمام بل هو قرآن ناطق وزوجات عفيفات محبات مواليات ربيبات بيوت عالية. تمثل الأسرة الحسينية الأسرة النموذجية التي يحتذى بها في كل مفردة من مفردات حياتها ويُقتدى بها في كل خطوة من خطواتها في طريق الحياة الزوجية.

وقبل ان نسلط الضوء على هذه الأسرة الإلهية لابد أن نسأل عن أسباب سعادة وسمو وجمال ووفاء ومحبة وتفاني هذه الأسرة؟ فلا تكون الإجابة إلا ان تخلق أفرادها بالخلق الإلهي امتثالاً لقول الرسول الأكرم ﷺ :

«تخلقوا بأخلاق الله»

هو السبب في كمال هذه الأسرة.

فيتضح مما تقدم من أراد سعادة أسرية واستقراراً حياتياً واطمئناناً قلبياً ليس عليه إلا أن يتخلق بأخلاق الله سبحانه وتعالى.

زوجات الإمام الحسين عليه السلام

قبل الحديث عن خُلق زوجات الإمام عليه السلام ووفائهن وعشرتهن لابد من الاطلاع على هوياتهن لنقف من خلال ذلك على دقة الاختيار وحسن الارتباط.

أ . الرباب: بنت أمرئ القيس بن عدي بن أوس وامها هند الهنود بنت الربيع بن مسعود... الخ.

ب . ليلى: بنت أبي مرّة عروة بن مسعود الثقفي وهو من سادة العرب والمسلمين.

أمها : ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب.

ج . أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله.

د . عاتكة بنت زيد بن عمرو.

هـ . شهربانويه بنت يزدجرد ملك الفرس.

و . أم جعفر القضاعية.

نركز في بحثنا على زوجة من زوجات الإمام عليه السلام وهي السيدة رباب لسعة المعلومات عن هذه الشخصية وبروزها في أحداث كربلاء، وسنلحق ببحثنا نبذة عن زوجاته الأخريات.

ولكي لا يقع البعض في الالتباس نلفت نظر القارئ الكريم إلى ان هذه النساء لم يكن مجتمعات معاً في حياة الإمام عليه السلام.

الرباب

ذكر أرباب التاريخ والتراجم السيدة الرباب بكل إجلال واحترام لما لها من الصفات والأخلاق العالية كما ورد عن هشام بن الكلبي «كانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن» وكما قال عنها السيد الأمين في الأعيان نقلاً عن نسمة السحر: كانت الرباب من خيار النساء جمالاً وأدباً وعقلاً، أسلم أبوها في خلافة عمر، وكان نصرانياً من عرب الشام، فولاه عمر على قومه من قضاعة، وما أمسى حتى خطب إليه علي بن أبي طالب ابنته الرباب إلى ابنه الحسين فزوّجه إياها[١].

وكان الإمام الحسين عليه السلام يكنّ حباً كبيراً لزوجته الرباب لسمو أخلاقها

---

(١) أعيان الشيعة: ٦/٤٤٩.

وعلـو مكانتهـا، فلقـد روى ان الإمـام الحـسين عليه السلام قـال فيهـا وفي ابنتـه منهـا سكينة شعراً :

لعمـــــرك أنّنـــي لا حـــبّ داراً ... تحـــل بهـــا ســـكينة والربـــاب

أحبهمـــا وأبـــذل جُـــلّ مـــالي ... ولـــيس للائمـــي فيهـــا عتـــاب

ولـــست لـــهم وإن عتـــبوا مطيعـــاً ... حيـــاتي أو يعـــليني التـــراب

ونقل عن تاج العروس قول الإمام عليه السلام في الرباب فقال :

أحـــب لحبهـــا زيـــداً جميعـــاً ... ونثلـــة كلّهـــا وبنـــي الربـــاب

وأخـــوالاً لهـــا مـــن آل لام ... أحـــبهم وطـــرّ بنـــي جنـــاب

الرباب والرأس الشريف

لا يستطيع قلمي وصف العلاقة بين سيد الشهداء عليه السلام وزوجته الفاضلة السيدة الرباب، فلقد كان الإمام عليه السلام زوجاً محباً حنوناً رحيما وكانت السيدة الرباب وفية مطيعة مضحية مُلئت حباً وعشقاً للإمام عليه السلام فلذا يذكر السيد المقرّم صورة تؤكد قولنا فيها : «ودعا بهم ابن زياد مرّة أخرى، فلما أدخلوا عليه رأين النسوة رأس الحسين بين يديه والأنوار الإلهية تتصاعد من أساريره إلى عنان السماء، فلم تتمالك الرباب زوجة الحسين دون أن وقعت عليه تقبّله، وقالت :

إنّ الـذي كـان نـوراً يُستـضاء بـه ... بكـــربلاء قتيـــلٌ غيـــر مـــدفون

ســبط النبــي جــزاك الله صــالحة ... عنّـــا وجنّبـــت خـــسران المـــوازين

قـد كنـت لـي جبلاً صعباً ألـوذ بـه ... وكنـــت تـــصحبنا بـــالرحم والـــدين

مـن لليتـامى ومـن للـسائلين ومـن ... يُعنـــى ويـــأوي إليـــه كـــل مـــسكين

والله لا أبتغـــي صـــهراً بـــصهركم ... حتّـــى أغيّـــب بـــين المـــاء والطـــين

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وقيل إنّ الرباب بنت امرئ القيس زوجة الحسين أخذت الرأس ووضعته في حجرها وقبّلته وقالت:

واحسيناً فلا نسيتُ حسيناً — أقصدته أسنّة الأعداء

غادروه بكربلاء صريعاً — لا سقى الله جانبي كربلاء

وفاء الحبيبة

حزنت سيدتنا الرباب على زوجها الإمام عليه السلام حزناً لا مثيل له، وبكت عيونها فقدان عيون الحبيب، وواست زوجها ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله عندما رفضت ان تستظل بسقف بعد ان رأت جسده تصهره الشمس وتغطيه الرمال، فلذا نقل عن ابن الأثير انه قال: «وكان مع الحسين امرأته الرباب بنت امرئ القيس، وهي أم ابنته سكينة، وحُملت إلى الشام فيمن حمل من أهله، ثم عادت إلى المدينة، فخطبها الأشراف من قريش، فقالت: ما كنت لأتّخذ حمواً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وبقيت بعده سنة لم يظلّها سقف بيت حتى بليت وماتت كمداً»(١).

وقفة

أقف إجلالاً أمام عقل هذه السيدة وفهمها وعلمها ولاسيما عند قولها: «ما كنت لأتخذ حمواً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله» لما في ذلك من ذكاء ومعرفة حيث انها تعلم ان مفارقة زوجها الإمام عليه السلام على مستوى الدنيا لا يعني الانقطاع عنه في الآخرة فلذا من الحياء ان تستبدل به غيره، كما انها تعلم ان جميع بيوتات المسلمين لا ترقى إلى بيت النبوة مهما كان غناها أو جاهها أو زعامتها أو شرفها، وتعلم أيضاً أنّ حماها رسول الله صلى الله عليه وآله فخر تفتخر به الكائنات فكيف تفرط بهذا الفخر؟ فهنيئاً لها هذه الرابطة.

---

(١) الكامل في التاريخ: ٤/ ٨٨.

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

حزن الرباب

يحق لسيدتنا أم عبدالله الرضيع ان تحزن وينفطر قلبها على زوجها، ويليق بها ان تبكيه بدل الدموع دما، كما يحق لها ان تموت كمدا لفراقه لأن الحسين عليه السلام الحبيب والمحبوب لله ولرسوله ولملائكته وللمؤمنين فلذا نقل لنا ابن كثير فقال:

«ولما قتل (الحسين عليه السلام) بكربلاء كانت (رباب) معه، فوجدت عليه وجداً شديداً... وقد خطبها بعده خلق كثير من أشراف قريش.

فقالت:

ما كنت لأتّخذ حمواً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ووالله لا يؤويني ورجلاً بعد الحسين سقف أبداً، ولم تزل عليه كمدة حتى ماتت. ويقال إنّها عاشت بعده أياماً يسيرة، فالله أعلم»[1].

ليلى الثقفية

هي زوجة سبط النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأم الشهيد علي الأكبر الذي استشهد بين يدي إمامه ووالده الإمام الحسين عليه السلام، فهي امرأة كبيرة المنزلة، عالية المقام، رفيعة الشرف اغترفت من أهلها خلقاً وأدباً ومحبة لأهل البيت عليهم السلام، فلقد تربّت هذه السيدة في حجر زعيم من زعماء العرب، وسيد من سادة قومه، وأول من استجاب لدعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الطائف فأسلم وأحسن إسلامه ثم قتل أثر ذلك فكانت هذه المصيبة الأولى التي منيت بها السيدة ليلى ثم صدمت بالمصيبة الثانية ألا وهي قتل زوجها سيد الشهداء عليه السلام وسبط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفلذة كبدها وولدها سيدنا علي الأكبر ابن الإمام الحسين عليه السلام.

---

(١) البداية والنهاية: ٨ / ٢١٢.

عاتكة بنت زيد

لم أطلع في التاريخ على معلومة ترتبط بالسيدة عاتكة بنت زيد زوجة الإمام الحسين عليه السلام الا ما ذكره صاحب كتاب الركب الحسيني عن تاريخ الفرماني اذ يقول: إنّه بلغ من وفاء أزواج الإمام الحسين عليه السلام أنّ زوجته السيدة عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل كانت تنوح عليه، وقد رثته بذوب روحها قائلة:

واحسيناً فلا نسيتُ حسينا | أقْصَدَتْهُ أسِنَّةُ الأعداء
غادروه بكربلاء صريعاً | لا سَقى الغيثُ بعده كربلاء

هذا، ولكن نُسبت هذه الأبيات ـ مع تفاوتٍ يسير ـ إلى رباب زوجة الإمام الحسين، وأنّها رثت بها الحسين عليه السلام في الشام بعدما أخذت رأسه وقبّلته ووضعته في حجرها وقالتها[1].

السيدة شاه زنان (شهر بانويه)

ذكر العلامة المجلسي في بحاره شيئاً عن هذه السيدة الجليلة التي ولدت خليفة الإمام الحسين عليه السلام وحجة الله على خلقه بعد أبيه فقال: لما ورد بسبي الفرس إلى المدينة أراد عمر أن يبيع النساء وأن يجعل الرجال عبيد العرب، وعزم على أن يحملوا العليل والضعيف، والشيخ الكبير في الطواف وحول البيت على ظهورهم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام، إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

أكرموا كريم قوم، وإن خالفوكم، وهؤلاء الفرس حكماء كرماء، فقد ألقوا إلينا السلام ورغبوا في الإسلام، وقد أعتقت منهم لوجه الله حقي وحق بني هاشم.

فقالت: المهاجرون والأنصار قد وهبنا حقّنا لك يا أخا رسول الله!. فقال:

---

(١) الركب الحسيني: ج ٦، ص ٤١٢ ـ ٤١٣.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

اللهم فاشهد أنهم قد وهبوا وقبلت وأعتقت.

فقال عمر: سبق إليها علي بن أبي طالب عليه السلام ونقض عزمتي في الأعاجم.

ورغب جماعة في بنات الملوك أن يستنكحوهن، فقال أمير المؤمنين:

تخيرهنّ ولا تكرههن.

فأشار أكبرهم إلى تخيير شهر بانويه بنت يزد جرد، فحجبت وأبت فقيل لها: أيا كريمة قومها من تختارين من خُطّابك؟ وهل أنت راضية بالبعل؟ فسكتت فقال أمير المؤمنين:

قد رضيت وبقي الاختيار بعد، سكوتها إقرارها، فأعادوا القول في التخيير.

فقالت: لست ممن يعدل عن النور الساطع، والشهاب اللامع الحسين إن كنت مخيّرة، فقال أمير المؤمنين:

لمن تختارين أن يكون وليك؟.

فقالت: أنت، فأمر أمير المؤمنين حذيفة بن اليمان أن يخطب فخطب وزوّجت من الحسين.

وروى الكليني في الكافي عن الحسن بن الحسين عليه السلام وعلي بن محمد بن عبدالله، جميعاً عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر، عن عبدالرحمان بن عبدالله الخزاعي، عن نصر بن مزاحم، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«**لما أقدمت بنت يزدجرد على عمر، أشرف لها عذارى المدينة، وأشرق المسجد بضوئها لمّا دخلته، فلمّا نظر إليها عمر غطّت وجهها وقالت: أف بيروج بادا هُرمز.**

فقال عمر: أتشتمني هذه، وهمّ بها.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ليس ذلك لك، خيّرها رجلاً من المسلمين وأحسبها بفيئه.

فخيّرها، فجاءت حتى وضعت يدها على رأس الحسين عليه السلام.

فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: ما اسمك؟

فقالت: جهان شاه.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: بل شهربانويه، ثم قال للحسين عليه السلام: يا أبا عبدالله ليلدنّ لك منها خير أهل الأرض، فولدت علي بن الحسين عليه السلام».

وروي عن القطب الراوندي انها قدمت إلى المدينة في خلافة عمر واختارها الإمام الحسين عليه السلام، وذكر كلام أمير المؤمنين عليه السلام إلى أن قال: ثم التفت إلى الحسين عليه السلام فقال له:

«احتفظ بها وأحسن إليها فستلد لك خير أهل الأرض في زمانه بعدك».

وهي أم الأوصياء الذرية الطيبة، فولدت علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام، ويروى أنّها ماتت في نفاسها به[1].

وأما وفاتها فكانت عند نفاسها بسيد الساجدين ولدها علي بن الحسين عليه السلام لما ذكره أعلاه.

وقفة

ارتأيت ان أقف أمام رواية زواج الإمام الحسين عليه السلام بالسيدة الجليلة شاه زنان أو شهر بانويه فاستخلص منها ما يلي:

---

(١) الخرائج والجرائح، ١٩٦، وعنه في بحار الأنوار: ٤٦/ ١٠، حديث ٢١.

١ . ان هذه المرأة التي نشأت في بيوت الملوك وترعرعت في بيئة بعيدة عن الدين والتقوى، صانها الله سبحانه من كل دنس لعلمه انها ستكون أماً لسيد الساجدين ورابع الأئمة الطاهرين عليهم السلام فأصبحت رحماً مطهراً يحمل وصياً من صلب طاهر.

٢ . ان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حرص على العمل بنهج رسول الله في تعامله مع كرام القوم الذين يقعون في اسر المسلمين، وان دل هذا علي شيء فإنما يدل على احترام أبناء الأسر العزيزة وإكرامهم لئلا يصابوا بصدمة الإذلال ولاسيما انهم قضوا عمرهم في عز واحترام، وهذا يشير إلى الذوق الرفيع والإنسانية العالية التي يتصف بها الإسلام الحنيف.

٣ . ان التصرف في زواج المرأة لابد أن يراعى فيه اختيار المرأة ورضاها وحفاظاً على كرامتها وشخصيتها وحقها الشرعي والإنساني.

المرأة الموالية

من عرف أهل البيت عليهم السلام وعرف مقامهم ورتبتهم عند ربهم سبحانه لابد أن يواليهم لحاجته الماسة لذلك، ومن قرأ شخصية سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم وريحانته لابد أن يحبه فضلا عما صدر في آية المودة وآية التطهير فالإمام الحسين عليه السلام خلق وورع وتقوى وسخاء وعزة وقيم وشيم وشجاعة وصبر وصفات كاملة تجسدت في رجل، بل هو قرآن ناطق وإسلام حنيف.

وممن والى أهل البيت عليهم السلام نساء مؤمنات أحببن أئمتهن ودافعن عنهم بكل وسائل الدفاع المتاحة للمرأة وواسين نسائهم بأنفسهن وأولادهن فنلن بذلك شرفاً عظيما في الدنيا ومنزلة رفيعة في الآخرة ولكي تقتدي بهن نساء المسلمين لابد من الوقوف على مشاركتهن ودورهن في واقعة كربلاء، وسيكون هذا حسب الحروف الأبجدية.

الأسدية

هي زوجة علي بن مظاهر الأسدي من المؤمنات المواليات لأهل البيت عليهم السلام التي منّ الله تعالى عليها بشرف محبة الركب الحسيني والتزود من معاشرة عقيلة بني هاشم وأخواتها وبنات أخيها، فشاركت بحسها ومشاعرها ودموعها وعقلها وجسمها بنات الرسالة في أحداث كربلاء وما بعدها من أحداث السبي والسفر البعيد والسياط المؤلمة والجوع والعطش والاشتهار في شوارع الكوفة والشام الذي هو أشد المصائب على مخدرات الرسالة والمؤمنات اللواتي معهن، ولكي نقف على عظمة هذه المرأة الموالية التي ملئت حباً وتضحية لأهل البيت عليهم السلام والتي تلبست بثوب الصابرين فنالت مقامهم الرفيع، فصارت لنساء المؤمنين قدوة وأسوة في الموالاة والمودة لأهل بيت العصمة عليهم السلام لابد أن نطلع على تفاصيل ما دفع من حوار بينها وبين زوجها.

في ليلة عاشوراء قال عليه السلام:

اجلسوا رحمكم الله وجزاكم الله خيراً.

ثم قال:

الا ومن كان في رحله امرأة فلينصرف بها إلى بني أسد.

فقام علي بن مظاهر وقال: ولماذا يا سيدي فقال عليه السلام:

ان نسائي تسبى بعد قتلي وأخاف على نسائكم من السبي.

فمضى علي بن مظاهر إلى خيمته فقامت زوجته اجلالاً له فاستقبلته وتبسمت في وجهه فقال لها: دعيني والتبسم، فقالت: يابن مظاهر اني سمعت غريب فاطمة خطب فيكم وسمعت في آخرها همهمة ودمدمة فما علمت ما يقول قال يا هذه ان الحسين عليه السلام قال لنا الا ومن كان في رحله امرأة فليذهب بها إلى بني عمها لأني غداً اقتل ونسائي تسبى، فقالت: وما أنت صانع قال: قومي حتى

الحقك ببني عمك بني أسد فقامت ونطحت رأسها في عمود الخيمة وقالت: والله ما انصفتني يا بن مظاهر أيسرك أن تسبى بنات رسول الله وأنا آمنة من السبي أيسرك أن تسلب زينب ازارها من رأسها وأنا استتر بازاري، أيسرك أن تذهب من بنات الزهراء اقراطها وأنا اتزين بقرطي، ايسرك ان يبيض وجهك عند رسول الله ويسود وجهي عند فاطمة الزهراء والله أنتم تواسون الرجال ونحن نواسي النساء فرجع علي بن مظاهر إلى الحسين عليه السلام وهو يبكي فقال له الحسين عليه السلام:

ما يبكيك؟

فقال سيدي: ابت الأسدية إلا مواساتكم فبكى الحسين عليه السلام وقال:

جزيتم منا خيراً[1].

وقفة

كثيرة هي المواقف التي تمر بالإنسان إلا ان هناك مواقف لا تنسى يندهش المرء أمام علو أصحابها، وينحني إجلالاً لأبطالها فلذا تعالوا معي لنستخلص منها ما ينفعنا وينفع نساءنا:

١ . في المقاطع الأولى من القصة نرى بوضوح غيرة سيد شباب أهل الجنة على نساء المؤمنين وحرصه على سلامتهن من الانتهاك طالما لم يكن من العائلة الحسينية التي خرجت باختيارها لتشارك إمامها ووليها نهضته، فلذلك يصرح الإمام عليه السلام بقوله:

«**وأخاف على نسائكم من السبي**».

٢ . في مقطع آخر يقول الراوي «فمضى على بن مظاهر إلى خيمته، فقامت زوجته إجلالاً له، فاستقبلته وابتسمت في وجه» لا يحتاج هذا المقطع إلى تعليق نبين

(١) معالي السبطين: ج١، ص ٣٤٢.

من خلاله سمو أخلاق هذه المرأة وأدبها وحسن عشرتها مع زوجها الذي سيفارقها وسيعرضها للمصائب والامتهان.

٣ . سؤالها لزوجها «إني سمعت غريب فاطمة خطب فيكم، وسمعت في آخرها همهمة ودمدمة فما علمت ما يقول؟» دليل وعيها وحرصها على متابعة كل الأحداث والاستماع إلى توجيهات القائد إلا أن هناك مقطعا قد فاتها فلابد من معرفته لتكون على علم بما يدور.

٤ . بعد أن أخبرها بما قال الإمام عليه السلام عن سبي النساء، قالت له وما أنت صانع لكي تستطلع رأيه وتخبره بأنه صاحب القرار في هذا الأمر، فلما اسمعها قراره «قومي حتى ألحقك ببني عمك بني أسد» ردت عليه بأدب واحترام معبرة عن رفضها لقراره فعلا وقولا من خلال نطحها لعمود الخيمة وقولها «والله ما انصفتني» أي لو أنك انصفتني لما رفضت لك قراراً أبداً، الا أنك حرصت على امرأتك دون بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معتقداً انني سأفرح بالنجاة والأمان من مخاطر كربلاء.

٥ . قولها: «أيسرك ان يبيضّ وجهك عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويسودّ وجهي عند فاطمة الزهراء عليها السلام» نستخلص منه أموراً مهمة:

أ . ان المرأة الأسدية مؤمنة بنهضة الإمام الحسين عليه السلام ومعتقدة بالمعاد وثوابه فهي خير من رجال هذه الأمة التي جاءت لقتل الإمام عليه السلام وشاركت في تكثير السواد عليه بل هي خيرٌ من رجال عدّوا من الصحابة اختاروا السلامة على المشاركة.

ب. قالت «ويسودّ وجهي عند فاطمة الزهراء عليها السلام» ولم تقل عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسببين:

الأول: ان الجهـاد وجـب علـى الرجـال دون النـساء فهـي معـذورة عنـد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسقوط التكليف عنها.

الثاني: بما انها امرأة موالية ومحبة وستسلم من القتل فهي غير معذورة عند فاطمة الزهراء عليها السلام إذا تركت المواساة.

ج. قولها «أيسرك ... الخ» أي أتفرح بنيل الشهادة وابيضاض وجهك؟ ولا تفرح لي بالمواساة وابيضاض وجهي؟ فإن في ذلك شيئاً من الأنانية وأنت اسمى من ذلك فلذا سأواسي النساء.

٦. قوله في الرواية «فرجع علي بن مظاهر وهو يبكي فقال له الحسين عليه السلام: **ما يبكيك؟** فقال: يا سيدي أبت الأسدية إلا مواساتكم، فبكى الحسين عليه السلام». أظن أن بكاء علي بن مظاهر فرح بموقف زوجته، وبكاء الإمام الحسين عليه السلام رحمة ورأفة وفرح بهذه المؤمنة الموالية.

٧. قول الإمام عليه السلام «**جزيتم منا خيراً**» دليل على استحباب المواساة طالما لم يخرج عن الحدود الشرعية، كما استخلص من هذا القول اشارة إلى الشعائر الحسينية التي لا تخرج عن حدود الشريعة.

أم وهب وزوجة ابنها

هي أم وهب بن عبدالله بن حباب الكلبي كانا نصرانيين وقد أسلما على يدي الإمام الحسين عليه السلام، فصار وهب من الشهداء وصارت أمه من النساء المواليات الصابرات، المؤمنات اللواتي حضرنَ في كربلاء عازمة على المواساة غير راضية إلا بقتل فلذة كبدها وقرة عينها ولدها وهب بين يدي إمامه عليه السلام فلذا لابد من التعرف على دورها وموقفها في كربلاء وهذ وما ورد في البحار:

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ثم برز من بعده وهب بن عبدالله بن حباب الكلبي وقد كانت معه أمه يومئذ فقالت: قم يا بنيّ فانصر ابن بنت رسول الله، فقال: أفعل يا أمّاه ولا أقصّر فبرز وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن الكلبي ... سوف تروني وترون ضربي
وحملتي وصولتي في الحربِ ... أدرك ثأري بعد ثأر صحبي
وأدفع الكرب أمام الكربِ ... ليس جهادي في الوغى باللعب

ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل منهم جماعة فرجع إلى أمه وامرأته، فوقف عليهما فقال: يا أماه أرضيت؟

فقالت: ما رضيت إلاّ أن تقتل بين يدي الحسين عليه السلام، فقالت امرأته: بالله لا تفجعني في نفسك!

فقالت أمه: يا بنيّ لا تقبل قولها وارجع، فقاتل بين يدي ابن رسول الله فيكون غداً في القيامة شفيعاً لك بين يدي الله، فرجع قائلاً:

إنـي زعيم لك أم وهب ... بالطعن فيهم تارة والضرب
ضرب غلام مؤمن بالربّ ... حتى يذيق القوم مرّ الحرب
إنّي امرؤ ذو مرّة وعصب ... ولست بالخوّار عند النكب

حسبي إلهي من عليم حسبي

فلم يزل يقاتل تسعة عشر فارساً واثني عشر راجلاً، ثم قُطعت يداه، فأخذت امرأته عموداً وأقبلت نحوه وهي تقول: فداك أبي وأمي قاتل دون الطيّبين حرم رسول الله، فأقبل كي يردّها إلى النساء فأخذت بجانب ثوبه، وقالت: لن أعود أو أموت معك، فقال الحسين:

جزيتم من أهل بيتي خيراً! ارجعي إلى النساء رحمك الله.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

فانصرفت، وجعل يقاتل حتى قُتل رضي الله عنه، قال: فذهبت امرأته تمسح الدم عن وجهه فبصر بها شمر، فأمر غلاماً له فضربها بعمود كان معه فشدخها وقتلها، وهي أول امرأة قتلت في عسكر الحسين ـ عليه السلام ـ.

ورأيت حديثاً أنّ وهب هذا كان نصرانياً فأسلم هو وأمّه على يدي الحسين ـ عليه السلام ـ فقتل في المبارزة أربعة وعشرين راجلاً واثني عشر فارساً، ثم أخذ أسيراً فأُتي به إلى عمر بن سعد فقال: ما أشدّ صولتك؟ ثم أمر فضربت عنقه، ورمي برأسه إلى عسكر الحسين عليه السلام فأخذت أمه الرأس فقبّلته ثم رمت بالرأس إلى عسكر ابن سعد فأصابت به رجلاً فقتلته، ثم شدّت بعمود الفسطاط، فقتلت رجلين، فقال لها الحسين:

ارجعي يا أم وهب أنت وابنك مع رسول الله فإنّ الجهاد مرفوع عن النساء.

فرجعت وهي تقول: إلهي لا تقطع رجائي.

فقال لها الحسين عليه السلام:

لا يقطع الله رجاك يا أم وهب(١).

وقفة

عند تأملنا لهذه القصة المليئة بالعبر والموعظة، الزاخرة بالمواقف المشرفة والتضحيات الغالية التي تبهر العقول نستخلص منها ما يلي:

١ . ان حسن العاقبة الذي توفق له وهب وأمه وزوجته الذين تحولوا من الديانة النصرانية إلى شهداء ومواسين في طف كربلاء دليل واضح على ان الأمور بخواتيمها.

(١) بحار الأنوار: ج ١٨، ص ٥١٥ ـ ٥١٦.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

٢ . حث هذه الأم الموالية المؤمنة ولدها على القتال والشهادة بين يدي الإمام عليه السلام دليل على درجة إيمانها وعمق فهمها بأمور دينها رغم قصر إسلامها.

٣ . قصر مدة إسلام هذه العائلة لم يؤثر في درجة الإيمان وسعة التضحية، كما ان طول مدة إسلام البعض لم يرتقِ بهم إلى ما وصلت إليه عائلة وهب الكلبي، ومن هذا يتضح ان سابقة الإسلام ليس في طول المدة أو قصرها بل في صدقها وعمقها.

٤ . عدم رضا الأم بقتال ولدها وطلبها منه ان يقتل بين يدي الإمام عليه السلام نستخلص منه حبها لولدها وحرصها على نفعه بنيل الشهادة، فموقفها هذا يختلف ويناقض موقف من تمنع ولدها عن الدفاع والجهاد في سبيل الله تعالى ظناً منها انها محبة لولدها.

٥ . ان في تغير موقف زوجة وهب من المثبطة للعزائم إلى طالبة للشهادة سراً إلهياً لا يمكن ان نحيط به، إلاّ اننا نستطيع القول بأن الرحمة الإلهية أدركت هذه المرأة فتغير ما في قلبها فنالت الشهادة.

٦ . بملاحظة دقيقة نلمس ان من يعاشر شخصا تظله الرحمة لابد ان يشمل بها وهذا ما حصل لزوجة وهب عند معاشرتها لزوجها وأمه، وان من يعاشر شخصا صب عليه سخط الرحمن لابد ان يشمل به كما حصل لغلام الشمر في قتل زوجة وهب.

٧ . عندما دعت أم وهب ربها فقالت: «إلهي لا تقطع رجائي» جاءتها الإجابة مسرعة من الله تعالى على لسان الإمام عليه السلام فقال لها عليه السلام: «لا يقطع الله رجاك يا أم وهب» ما أسرع هذه الإجابة!

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

بحرية الخزرجية

وهي أم عمرو بن جنادة امرأة عجوز في هيأتها، شجاعة في وثبتها، ضعيفة في جسدها، قوية في روحها وإيمانها، سخية في تضحيتها، عارفة بتكليفها الشرعي، موالية محبة لأهل بيت نبيها عليهم السلام زاهدة في دنياها راغبة في آخرتها، اشتركت في يوم الطف وحاربت مع ولدها بين يدي الإمام الحسين عليه السلام وهذا ما أكده صاحب البحار في قوله:

«ثم خرج شابّ قتل أبوه في المعركة وكانت أمه معه، فقالت له أمه: اخرج يا بني وقاتل بين يدي ابن رسول الله! فخرج فقال الحسين ـ عليه السلام ـ:

هذا شابٌ قُتل أبوه ولعل أمه تكره خروجه.

فقال الشاب: أمي أمرتني بذلك، فبرز وهو يقول:

أميري حسين ونعم الأمير	**سرور فؤاد البشير النذير**
عليٌ وفاطمة والداه	**فهل تعلمون له من نظير؟**
له طلعة مثل شمس الضحى	**له غُرّة مثل بدر منير**

وقاتل حتى قُتل وحزّ رأسه ورمي به إلى عسكر الحسين عليه السلام فحملت أمه رأسه، وقالت: أحسنت يا بنيّ يا سرور قلبي ويا قرّة عيني.

ثم رمت برأس ابنها رجلاً فقتلته وأخذت عمود خيمته، وحملت عليهم وهي تقول:

أنا عجوز سيدي ضعيفة	**خاوية باليه نحيفة**
أضربكم بضربة عنيفة	**دون بني فاطمة الشريفة**

وضربت رجلين فقتلتهما فأمر الحسين عليه السلام بصرفها ودعا لها[1].

---

(١) تسلية المجالس: ج ٢، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٨.

وفي المناقب ثم خرج جُنادة بن الحارث الأنصاري وهو يقول :

أنا جناد وأنا ابن الحارث لست بخوّار ولا بناكث

عن بيعتي حتى يرثني وارث اليوم شلوي في الصعيد ماكث

قال : ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قُتل رحمه الله.

قال : ثم خرج من بعده عمرو بن جنادة وهو يقول :

أضق الخناق من ابن هند وارمه من عامه بفوارس الأنصار

ومهاجرين مخضّبين رماحهم تحت العجاجة من دم الكفّار

خضبت على عهد النبي محمد فاليوم تخضب من دم الفجّار

واليوم تخضب من دماء أراذل رفضوا القران لنصرة الأشرار

طلبوا بثأرهم ببدر إذ أتوا بالمرهفات وبالقنا الخطّار

والله ربي لا أزال مضارباً في الفاسقين بمرهف بتّار

هذا على الأزدي حق واجب في كل يوم تعانق وكرار[1]

وقفة

١ . تمثلت شجاعتها في قتلها لرجلين من الأعداء وبعمود الخيمة رغم ضعفها وشيخوختها.

٢ . تمثلت قوة روحها وإيمانها في قبولها لمصير زوجها وولدها بل هي التي حثت ولدها على الشهادة بين يدي الإمام عليه السلام.

٣ . تمثلت تضحيتها بسخاء عندما ضحت بما هو اغلى من نفسها ألا وهو ثمرة قلبها وقرة عينها ولدها عمرو بن جنادة.

---

(١) بحار الأنوار: ج ١٨، ص ٥٢٤.

٤ . تمثلت معرفتها بتكليفها الشرعي في أمر ولدها بالجهاد بين يدي إمامه عليه السلام .

٥ . تمثلت موالاتها ومحبتها في مواساتها لنساء أهل البيت عليهم السلام اللواتي فقدن الأحبة والأعزة.

٦ . تمثل زهدها في دنياها في بذل حياتها عند خروجها إلى القتال.

ديلم بنت عمرو

لا شك في ولائها ومودتها لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولو اتيحت لها الفرصة في مشاركة الركب الحسيني لما قصرت في ذلك، إلا انها مارست دور المشجعة على التضحية، ودور الغابطة لزوجها بما سيناله في رمضاء كربلاء، لم تمنعه ولم تتشبث بأذياله لتعدله عن الذهاب مع سيد الشهداء عليه السلام ولم تقل له كيف تتركني وحيدة؟ بل قالت له: «خار الله لك، أسألك أن تذكرني عند جد الحسين عليه السلام» ولذا أدعوكم لتتعرفوا على موقف هذه الموالية الصالحة.

سار الإمام الحسين حتى نزل زرود فالتقى فيها بزهير بن القين وكان عثمانياً، قال الراوي الذي كان مع زهير: اقبلنا من مكة نساير الحسين فلم يكن شيء أبغض الينا من ان نسايره في منزل فإذا سار الحسين تخلف زهير وإذا نزل تقدم، حتى نزلنا منزلاً لم نجد بداً من ان ننازله فيه، فنزل الحسين في جانب ونزلنا في جانب، فبينا نحن جلوس نتغذى إذ أقبل رسول الحسين فسلم، وقال يا زهير بن القين ان ابا عبدالله الحسين بن علي بعثني اليك لتأتيه، قال: فطرح كل انسان ما في يده حتى كأننا على رؤوسنا الطير فقالت له زوجته: ايبعث اليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه؟ سبحان الله لو أتيته فسمعت من كلامه! فأتاه زهير بن القين، فما لبث أن جاء

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

مستبشراً قد أسفر وجهه، فأمر بفسطاطه ومتاعه فحمل إلى الحسين، ثم قال لامرأته: أنتِ طالق! الحقي بأهلك، فاني لا أحب ان يصيبك من سببي إلا خير، ثم قال لاصحابه: من أحب منكم أن يتبعني وإلا فانه آخر العهد[١].

مارية العبدية

هي مارية بنت سعيد العبدية من بني عبد القيس ويقال لها سعدية بنت منقذ، كانت تسكن مدينة البصرة في جنوب العراق[٢].

هي من المواليات اللواتي نذرن أنفسهم لخدمة الثورة الحسينية وأعدت بيتها لاجتماع الشيعة المؤيدين لثورة الإمام عليه السلام.

طوعة

من النساء من يخلدها التاريخ كرمز للسوء والقبح كما ورد في القرآن الكريم عن أم جميل حمالة الحطب، ومنهن من تكون رمزاً وقدوة للوفاء والإخلاص والشجاعة النسائية والإيمان كما ورد ذلك في امرأة فرعون آسية بنت مزاحم، وهناك الكثير من النساء اللواتي خلدهن التاريخ لمواقفهن المشرفة وأخلاقهن العالية كالسيدة (طوعة) هذه المرأة التي وطنت نفسها وفتحت بيتها لنصرة سفير الإمام الحسين عليه السلام سيدنا مسلم بن عقيل عليه السلام ولكي نطلع على موقف هذه المرأة المؤمنة نقرأ ما أورده صاحب كتاب معالي السبطين: «أتى إلى باب دار امرأة يقال لها طوعة أم ولد كانت للأشعث بن قيس فاعتقها وتزوجها اسيد الحضرمي فولدت له بلالاً وكان بلال قد خرج مع الناس وأمه قائمة تنتظره فسلم عليها ابن عقيل فردت

---

(١) معالم المدرستين للسيد مرتضى العسكري: ج ٣ ص ٦٤.

(٢) أعلام النساء: ص ٧١٨.

عليه فقال لها: يا أمة الله اسقني ماء، فسقته وجلس وادخلت الاناء ثم خرجت فرأته جالساً على الباب قالت: يا عبدالله ألم تشرب الماء؟ قال: بلى، قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت ثم أعادت مثل ذلك فسكت ثم قالت في الثالثة: سبحان الله يا عبدالله قم عافاك الله إلى أهلك فإنه لا يصلح لك الجلوس على باب داري ولا أحله لك، فقام مسلم وقال: يا أمة الله ما لي في هذا المصر أهل ولا دار ولا عشيرة فهل لك في اجرٍ معروف لعلي مكافئك بعد هذا اليوم، قالت: يا عبدالله من أنت وما ذاك؟، قال: أنا مسلم بن عقيل، كذبني هؤلاء القوم وغروني وأخرجوني. وقالت: أنت مسلم؟، قال: نعم، قالت: ادخل، فدخل إلى بيت في دارها وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعش ولم يكن باسرع من ان جاء ابنها فرآها تكثر الدخول والخروج في ذلك البيت فسألها عن السبب فأبت ان تخبره فلما أصر عليها أخذت عليه الأيمان المغلظة فحلف لها فأخبرته الخبر فسكت اللعين فما أصبح حتى أوصل الخبر إلى ابن زياد وبات مسلم بن عقيل ليلته في دار تلك العجوز ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد وتارة يناجي ربه وأخرى يتضرع وتارة يتلو القرآن ولما أن طلع الفجر جاءت طوعة إلى مسلم بماء ليتوضأ قالت: يا مولاي ما رأيتك رقدت في هذه الليلة، فقال لها: اعلمي اني رقدت رقدة فرأيت في منامي عمي أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول لي الوحا الوحا العجل العجل وما أظن إلا أنه آخر أيامي من الدنيا فتوضأ وصلى صلاة الفجر وكان مشغولاً بدعائه إذ سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال عرف أنه قد أتى فعجل في دعائه ثم لبس لامته وقال يا نفس اخرجي إلى الموت الذي ليس له محيص فقالت العجوز: سيدي أراك تتأهب للموت، قال: نعم لابد لي من الموت وأنت قد أديت ما عليك من البر والاحسان واخذت نصيبك من شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد الانس والجان.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وقفة

نستخلص من هذا المقطع التاريخي جملة من الأمور التي تبين مقام وإيمان هذه المرأة الجليلة :

١ . قولها «ألم تشرب الماء؟ قال بلى : قالت فاذهب إلى أهلك ـ إلى أن قالت ـ لا يصلح لك الجلوس على باب داري لا أحله لك» دليل على عفتها ومعرفتها بالحلال والحرام وتحرزها من التهمة التي قد ترمى بها بناء على الحديث الشريف :

«رحم الله امرأ جب الغيبة عن نفسه».

٢ . عندما أدخلت هذه المرأة المؤمنة مسلماً إلى بيتها تحول موقفها من موقف الرافض لجلوسه على باب دارها إلى موقف المناصر والمساند عملاً بتكليفها ازاء ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

٣ . التزامها بضيافة مسلم بن عقيل عليه السلام وحرصها على سلامته جعلها في مقام رفيع ألا وهو نيل شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما صار ذكرها يتجدد مع ذكر مسلم بن عقيل عليه السلام.

كبشة (أم سليمان)

أم سليمان، مولاة الإمام الحسين عليه السلام. كانت رحمها الله عالمة، فاضلة، من ربّات البر والإحسان، اشتراها الحسين عليه السلام بألف درهم، وكانت في بيت أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمية زوجة الحسين عليه السلام، تزوّجها أبو رزين فولدت منه سليمان، فهو مولى الحسين عليه السلام، وله ذكر في الناحية وهو: **السلام على سليمان مولى الحسين**. وسليمان هذا هو الذي أرسله الإمام الحسين عليه السلام بكتب إلى رؤساء الأخماس والأشراف بالبصرة حين كان بمكة، كما ذكره أرباب

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

المقاتل والسير، فجاء بالكتاب بنسخة واحدة إلى جميع أشرافها، فكلّ من قرأ ذلك الكتاب كتمه إلاّ منذر بن الجارود، فإنّه خشي بزعمه أن يكون دسيساً من قبل عبيد الله بن زياد، فأخذ الكتاب والرسول فقدّمهما إلى عبيد الله بن زياد، فلمّا قرأ الكتاب قدّم الرسول وأمر بضرب عنقه.

وأما أمّه كبشة فقد جاءت مع الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، وشاهدت كلّ ما جرى على آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من مصائب ورزايا، وصبرت واحتسبت ذلك في سبيل الله[١].

ليلى التميمية

ليلى بنت مسعود بن خالد بن ربيعة التميمية، زوجة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، وأم ولديه عبدالله الأصغر ومحمد الأصغر، اللذين استشهدا في أرض كربلاء يوم عاشوراء مع سيدهم ومولاهم أبي عبدالله عليه السلام.

وقيل: إنّ أمهما ليلى بنت مسعود الدارمية، وأمها عميرة بنت قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر سيد أهل الوبر، وهي قبيلة معروفة بسيادتها وحكمتها عند العرب. يقول أحد الشعراء بمدح سلم بن جندل، وهو أحد أجداد ليلى:

يسود بأقوام وليس بسادة   بل السيد الميمون سلم بن جندل

وهي إحدى الزوجات الأربع اللواتي بقين بعد استشهاد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وهنّ: أم البنين، وأمامة بنت أبي العاص، وأسماء بنت عميس، وليلى التميمية.

وقد حضرت هذه المرأة أرض كربلاء وشاهدت واقعة الطف وما جرى على

(١) أعلام النساء: ٥٤٣، نقلاً عن معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين عليهما السلام للشيخ محمد مهدي الحائري.

ال الرسول ﷺ من مصائب ومحن، وشاركتهم في ذلك كلّه صابرة محتسبة ذلك في سبيل الله، فرحمها الله وجزاها الثواب الجزيل[1].

وهناك نساء كثيرات ممن يوالين أهل البيت عليهم السلام ولاسيما الإمام الحسين عليه السلام تركنا ذكرهن روماً للاختصار واكتفينا بهذه المصاديق التي تقدم ذكرها.

المرأة المتعاطفة

بعد أن تم الحديث عن النساء المواليات اللواتي حضرن كربلاء نعطف البحث عن النساء اللواتي وقفن وقفة عاطفية ازاء الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة.

امرأة من بني بكر بن وائل

روى حميد بن مسلم قال: رأيت امرأة من بني بكر بن وائل كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد، فلما رأت القوم قد اقتحموا على نساء الحسين عليه السلام في فسطاطهنّ وهم يسلبونهنّ، أخذت سيفاً واقبلت نحو الفسطاط وقالت: يا آل بكر بن وائل أتسلب بنات رسول الله؟! لا حكم إلاّ لله، يا لثارات رسول الله، فأخذها زوجها فردّها إلى رحله[2].

وقفة

لابد من التساؤل عن موقف هذه المرأة التي عصفت بها العاطفة فانبرت مدافعة عن بنات رسول الله ﷺ ما الذي دفعها لهذا الموقف؟ ولم هي حاضرة مع زوجها في جهة الجيش المعادي للإمام عليه السلام؟ ولماذا لم تقف هذا الموقف عند قتل الإمام عليه السلام وأهل بيته وصحبه؟.

(١) أعلام النساء للحسون: ص ٧١٦.

(٢) اللهوف: ص ١٨٠.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

الجواب

لا يحق لي الإجابة عن هذه المرأة المتعاطفة لعدم علمي بنيتها ودوافعها لهذا الموقف، الا انني استطيع ان أحلل موقفها فأقول:

١ . لعلها كانت رافضة لقتل الإمام عليه السلام بدليل قولها «يا لثارات رسول الله» ولعلها رأت ان القتال الذي دار بين الرجال لا تستطيع التدخل فيه لأسباب متعددة منها: عدم سماح زوجها لها بذلك، وسقوط الجهاد عنها في الدفاع البدني، وعدم قدرتها على خوض الحرب وغير ذلك.

٢ . أما حضورها في الجهة المعادية قد يكون قهراً وإجباراً لها، أو أنها من المغرر بهم ولم تكتشف حقيقة الأمر إلا بعد وصولها إلى كربلاء كما حصل لغيرها.

٣ . اندفعت المرأة للدفاع عن بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقباحة ما رأته من موقف الجيش الممسوخ ووحشيته وانتهاكه لحرمة النساء اللواتي لا دخل لهن في هذه الحرب، فهاجت فيها الحمية العربية التي تستنكر بشدة أي اعتداء على المرأة.

هند زوجة يزيد

روي أنه دخلت امرأة على هند وقالت يا هند هذه الساعة اقبلوا بسبايا ولم أعلم من أين هم فلعلك تمضين إليهم وتتفرجين عليهم فقامت هند ولبست أفخر ثيابها وتخمرت بخمارها ولبست ازارها وأمرت خادمة لها أن تحمل الكرسي فلما رأتها الطاهرة زينب التفتت إلى أختها أم كلثوم وقالت لها: **أخية اتعرفين هذه الجارية؟**، قالت: **لا والله**، قالت لها: **أخية هذي خادمتنا هند بنت عبدالله**، فسكتت أم كلثوم ولم ترد عليها جواباً، ثم قالت لها: أخية من أي البلاد أنتم؟ فقالت لها زينب: **من بلاد المدينة**، فلما سمعت هند بذكر المدينة نزلت عن الكرسي وقالت: على ساكنها أفضل السلام، ثم التفتت إليها زينب وقالت: **أراك**

نزلت عن الكرسي، قالت هند: اجلالاً لمن سكن في أرض المدينة، ثم قالت لها: أخية أريد أن أسألك عن بيت في المدينة قالت لها الطاهرة زينب: **اسألي ما بدا لك**، قالت: أريد أن أسألك عن دار علي بن أبي طالب، قالت لها زينب: **وأين لك معرفة بدار علي** عليه السلام فبكت وقالت: إني كنت خادمة عندهم، قالت لها زينب: **وعن ايما تسألين؟** قالت: أسألك عن الحسين وعن أخوته وأولاده وعن بقية أولاد علي واسألك عن سيدتي زينب وعن أختها أم كلثوم وعن بقية مخدرات فاطمة الزهراء فبكت عند ذلك زينب بكاءً شديداً وقالت لها:

> **يا هند أما ان سألت عن دار علي عليه السلام فقد خلفناها تنعى أهلها وأما أن سألت عن الحسين عليه السلام فهذا رأسه بين يدي يزيد واما ان سألت عن العباس وعن بقية أولاد علي عليه السلام فقد خلفناهم على الارض مجزرين كالأضاحي بلا رؤوس وإن سألت عن زين العابدين عليه السلام فهو عليل نحيل لا يطيق النهوض من كثرة وهؤلاء بقية مخدرات فاطمة الزهراء.**

فلما سمعت هند كلام زينب رقت وبكت ونادت وا اماماه واسيداه واحسيناه ليتني كنت قبل هذا اليوم عمياء ولا أنظر بنات فاطمة الزهراء على هذه الحالة ثم تناولت حجراً وضربت به رأسها فسال الدم على وجهها ومقنعتها وغشى عليها فلما أفاقت من غشيتها أتت إليها الطاهرة زينب وقالت لها: **يا هند قومي واذهبي إلى دارك لاني اخشى عليك من بعلك يزيد**، فقالت هند: والله لا أذهب حتى أنوح على سيدي ومولاي أبي عبدالله وحتى ادخلك وسائر النساء الهاشميات معي داري فقامت وحسرت رأسها وشققت الثياب وهتكت الستر وخرجت حافية إلى يزيد وهو في مجلس عام وقالت: يا يزيد أنت أمرت برأس الحسين عليه السلام يشال على الرمح عند

باب الدار أرأس ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مصلوب على فناء داري وكان يزيد في ذلك الوقت جالساً على رأسه تاج مكلل بالدر والياقوت والجواهر النفيسة فلما رأى زوجته على تلك الحالة وثب اليها فغطاها، وقال: نعم فاعولي يا هند وابكي على ابن بنت رسول الله وصريخة قريش فقد عجل عليه ابن زياد لعنه الله فقتله قتله الله، فلما رأت هند ان يزيد غطاها قالت له: ويلك يا يزيد أخذتك الحمية عليّ فلم لا أخذتك الحمية على بنات فاطمة الزهراء هتكت ستورهن وابديت وجوههن وانزلتهن في دار خربة والله لا أدخل حرمك حتى أدخلهن معي وأمر يزيد بهن إلى منزله وأنزلهم في دار الخاصة فلما دخلت النسوة استقبلتهن نساء آل أبي سفيان وقبلن أيدي بنات رسول الله وارجلهن ونحن وبكين وقلن وا حسيناه[1].

وقفة

قبل ان أشير إلى بعض الملاحظات في قصة هذه المرأة لابد من السؤال ألا وهو لم اقترنت هند التي عملت في بيت أمير المؤمنين عليه السلام برجل فاسق طاغية مثل يزيد وهو من عائلة معادية لأهل البيت عليهم السلام؟ اضع هذا السؤال بين يدي القارئ الكريم لكي لا يظن أن هنداً من المواليات، ولكي نبرر درجها في قائمة المتعاطفات.

ويمكن ان نستخلص من هذه القصة الأمور التالية:

١ . شاء الله تعالى أن يجعل مجلس العزاء على الإمام عليه السلام في بيت عدوه.

٢ . محاولة يزيد القاء اللوم على ابن زياد والتملص من جريمته اقرار بلسانه على مظلومية الإمام عليه السلام ومصيبته.

نكتفي بهاتين المرأتين كمصداق للمرأة المتعاطفة، ويظهر مما تقدم دور المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام.

---

(١) معالي السبطين: ج٢، ص ٨٦٤.

الفصل الثالث

مواقف الإمام الحسين عليه السلام مع المرأة

أدبه في الحوار معها

ورد في الأحاديث الشريفة ما يشير إلى أن الكلام علامة تدل على علم صاحبه، وإشارة تشير إلى ذوقه، ومرآة كاشفة لأدبه وأخلاقه كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«**تكلموا تعرفوا فان الإنسان مخبوء تحت طي لسانه**»(١).

وكما في قول الإمام الباقر عليه السلام:

«**سلاح اللئام قبيح الكلام**»(٢).

فهذه الأحاديث تنطبق تمام الانطباق على سيد شاب أهل الجنة عليه السلام ولا عجب في ذلك لكونه الفرع الذي ينطق عن الأصل، وكونه عليه السلام ثمرة الشجرة الزيتونة المباركة، فلسانه لسان جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه المرتضى عليه السلام فعندما نتأمل حواره مع المرأة نلمس الاحترام الكامل والتوقير الوافر والأدب الرفيع كما في هذه الصور التاريخية التالية:

---

(1) نهج البلاغة: ج ٤، ص ٩٣.

(2) ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ج ٣، ص ٢٣٧٧.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

حديثه مع أم وهب في كربلاء وهو في خضم الهم والغم والحزن لفقدان الأحبة، وتكالب الأعداء وقلة الناصر يتكلم الإمام عليه السلام معها بكل حنان وعطف ومسؤولية:

«ارجعي يا أم وهب، أنت وابنك مع رسول الله صلى الله عليه وآله فان الجهاد مرفوع عن النساء».

فامتثلت المرأة المطيعة لإمامها ورجعت وهي تقول: «إلهي لا تقطع رجائي»

فيرد الإمام الحسين عليه السلام:

«لا يقطع الله رجاك يا أم وهب».

ليؤكد الإمام عليه السلام قوله بأنها ممن رضي الله تعالى عنهم ويبشرها بأنها حصلت على رجاها وامنيتها، يا لهذا الخلق الرفيع المليء بالعبرة والموعظة!

الصورة ـ توقير الأم ـ

في حواره مع أمه القرآنية وزوجة جده رسول الله صلى الله عليه وآله يعلمنا الإمام الحسين عليه السلام الأدب الإلهي والذوق الرفيع ومعنى الاحترام والتوقير الحسيني كما جاء في هذا النص الحواري.

وفي بعض الكتب: لما عزم على الخروج من المدينة أتته أمّ سلمة رضي الله عنها فقالت: يا بنيّ لا تحزني بخروجك إلى العراق، فإنّي سمعت جدّك يقول: «يقتل ولدي الحسين عليه السلام بأرض العراق في أرض يقال لها: كربلاء. فقال لها:

«يا أماه وأنا والله أعلم ذلك وأنّي مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بُدٌّ، وإنّي والله لأعرف اليوم الذي أقتل فيه، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أدفن فيها، وإنّي أعرف من يُقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردت يا أماه أريك حُفرتي ومضجعي».

ثم أشار إلى جهة كربلاء، فانخفضت الأرض حتّى أراها مضجعه ومدفنه وموضع عسكره وموقفه ومشهده، فعند ذلك بكت أمّ سلمة بكاءً شديداً، وسلّمت أمره إلى الله. فقال لها:

«يا أماه قد شاء الله عز وجل أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشرّدين، وأطفالي مذبوحين مظلومين مأسورين مقيّدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا مُعيناً».

الرأفة بالرحم

قال ابن قولويه: حدّثني أبي وجماعة مشايخي عن سعد بن عبد الله بن أبي خلف، عن محمد بن يحيى المعاذي، قال: حدّثني الحسين بن موسى الأصم، عن عمرو بن شمر الجعفي، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن محمد بن علي عليهما السلام قال:

«لما همّ الحسين عليه السلام بالشخوص عن المدينة، أقبلت نساء بني عبدالمطلب فاجتمعن للنياحة حتى مشى فيهن الحسين عليه السلام فقال: أنشدكنّ الله أن تبدين هذا الأمر معصية لله ولرسوله.

قالت له نساء بني عبدالمطلب: فلم نستبقي هذه النياحة والبكاء، فهو عندنا كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وفاطمة عليها السلام ورقية وزينب وأم كلثوم، فننشدك الله جعلنا الله فداك الموت فيا حبيب الأبرار من أهل القبور»[1].

---

(١) كامل الزيارات: ٩٦. بحار الأنوار: ٨٨/٤٥. أعيان الشيعة: ٥٨٨/١. مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ١٥٢. مدينة المعاجز: ١٧٧/٤.

ثم ان نساء بني هاشم أقبلن إلى أم هاني عمة الحسين عليه السلام وقلن لها: يا أم هاني أنت جالسة والحسين عليه السلام مع عياله عازم على الخروج، فأقبلت أم هاني فلما رآها الحسين عليه السلام قال: «**أما هذه عمّتي أم هاني**»؟ قيل: نعم، فقال: «**يا عمّة ما الذي جاء بك وأنت على هذه الحالة**».

فقالت: وكيف لا آتي وقد بلغني أنّ كفيل الأرامل ذاهب عني، ثم انها انتحبت باكية وتمثلت بأبيات أبيها أبي طالب عليه السلام.

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل
تطوف به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل

ثم قالت: سيدي وأنا متطيّرة عليك من هذا المسير لهاتف سمعت البارحة يقول:

وإنّ قتيل الطف من آل هاشم ... اذلّ رقابا من قريش فذلّت
حبيب رسول الله لم يك فاحشاً ... ابانت مصيبته الأنوف وخلّت

فقال لها الحسين عليه السلام: «**يا عمة لا تقولي من قريش ولكن قولي أذلّ رقاب المسلمين فذلّت**»، ثم قال: «**يا عمة كلُّ الذي مُقدرٌ فهو كائن لا محالة**»، وقال عليه السلام:

وماهم بقوم يغلبون ابن غالب ... ولكن بعلم الغيب قد قُدّر الأمر

فخرجت أم هاني من عنده باكية وهي تقول:

وما أم هاني وحدها ساء حالها ... خروج حسين عن مدينة جده
ولكنما القبر الشريف ومن به ... ومنبره يبكون من أجل فقده(١)

---

(١) معالي السبطين: ١/ ٢١٤.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

عند التمعن في هذه الصورة الرائعة نرى بوضوح حرصه على ان لا يكون سببا في وقوع نساء بني هاشم في المعصية، وان لا يكون سببا في أذية عمته أم هاني، كما يظهر جليا رأفته وحنانه وعطفه على عمته وهو يخاطبها:

«**يا عمة ما الذي جاء بك وأنت على هذه الحالة**».

ونلمس أدبه الذي تربى عليه في حجر العصمة بمخاطبته لها «**يا عمة...**» بل تظهر مداراته ويتجلى حبه الذي أغدقه على عمته من خلال تكراره لكلمة «**يا عمة**» في مقاطع متعددة مع الحوار.

الأخ الحنون

قال أبو مخنف، حدثني الحارث بن كعب وأبو الضحاك عن علي بن الحسين ابن علي عليه السلام قال:

«**إني جالس في تلك العشية التي قتل أبي صبيحتها، وعمتي زينب عندي تمرّضني، إذ اعتزل أبي بأصحابه في خباء له، وعنده جون مولى أبي ذر الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلحه، وأبي يقول:**

يا دهر أفٍّ لك من خليل ... كم لك بالإشراق والأصيل

من صاحب أو طالب قتيل ... والدّهر لا يقنع بالبديل

وإنّما الأمر إلى الجليل ... وكلُّ حيٍّ سالك السبيل

فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتها فعرفت ما أراد، فخنقتني عبرتي، فرددت دمعي ولزمت السكون، فعلمت أن البلاء قد نزل.

فأمّا عمتي فإنها سمعت ما سمعت ـ وهي امرأة، وفي النساء

الرقّة والجـزع ـ فلـم تملـك نفـسها أن وثبـت تجـرّ ثوبها ـ وإنهـا لحاسرة ـ حتى انتهت إليه، فقالت: واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحيـاة! اليـوم ماتـت فاطمـة أمّـي، وعلـي أبـي، وحـسن أخـي، يـا خليفة الماضي وثمال الباقي!.

فنظر إليها الحسين ﷺ فقال: «يا أخيّة! لا يُذهبنّ بحلمكِ الشيطانُ!.

قالت: بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله! استقتلت؟ نفسي فداك.

فردّ غصته وترقرقت عيناه وقال: «لو ترك القطا ليلاً لنام!».

قالت: يا ويلتى! أفتغصب نفسك اغتصاباً؟! فذلك أقرح لقلبي وأشدّ على نفسي! ولطمت وجهها، وأهوت إلى جيبها وشقّته وخرّت مغشياً عليها!.

فقام إليها الحسين ﷺ فصبّ على وجهها الماء وقال لها:

«يـا أخيـة اتقـي الله وتعـزّي بعـزاء الله،واعلمـي أنّ أهـل الأرض يموتون، وأنّ أهل السماء لا يبقون، وأنّ كلُّ شيء هالكٌ إلاّ وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده، أبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير متّي، ولي ولهم ولكلّ مسلم برسول الله أسوة».

فعزّاها بهذا ونحوه، وقال لها:

«يا أخية إني أقسم عليكِ فأبري قسمي، لا تشقّي عليّ جيباً، ولا تخمشي عليّ وجهاً، ولا تدعي عليّ بالويل والثُّبور أنا إذا هلكت»، ثم جاء بها حتى اجلسها عندي»[1].

---

(١) تـاريخ الطـبري: ٣١٦/٣. الإرشـاد: ٢٣٢. الكامـل في التـاريخ: ٥٦٠/٢. البدايـة والنهايـة: ←

في ثلاثة مواطن يخاطب الإمام عليه السلام أخته بقوله «يا أخيّة» ويرد فيها بالنصائح والإرشادات التي من شأنها الحفاظ على مرتبة الأخت الإيمانية، ثم يؤكد نصحه لها بأن يأخذ عليها الأيمان لكي لا تسمح لعاطفتها ان تطغى على ما يريد منها الإمام عليه السلام فيقول لها:

«يا أخيّة إني أقسم عليك فأبري قسمي الا تشقي عليّ جَيْباً، ولا تخمشي عليّ وجهاً، ولا تدعي علي بالويل والثبور أنا إذا هلكت».

ثم بلغ حنانه وعطفه إلى ان جاء بها حتى اجلسها عند ولده زين العابدين وفي رواية أخرى عندما تسأله أختاه زينب وأم كلثوم... يا أخي هذا كلام من ايقن بالقتل؟ فيقول «نعم يا أختاه».

عاطفة الأبوة

يروي لنا التاريخ ان الإمام الحسين عليه السلام ودع عياله فنادى «يا سكينة، يا فاطمة، يا زينب، يا أم كلثوم، عليكن مني السلام» فنادته سكينة: يا أبه استسلمت للموت؟ فقال لها:

«يا نور عيني، كيف لا يستسلم للموت من لا ناصر له ولا معين ... الخ».

→

١٩١/٨ مع الاختلاف والاختصار. بحار الأنوار: ١/٤٥. العوالم: ٢٤٥/١٧. مستدرك الوسائل: ٤٥٢/٢.

أعيان الشيعة: ٦٠١/١ أضاف قبل أبي خير من «جدي خير مني» وأضاف في الأشعار «ما أقرب الوعد من الرحيل». وقعة الطف: ٢٠٠ وفي بعض المصادر: «سالك سبيلي».

وعند تأملنا هذه الرواية التاريخية نقف إجلالاً واحتراماً وحباً لهذا الأب العطوف الذي يحرص على مخاطبة ابنته بهذه الصيغة المليئة بالعاطفة والحنو فيرسم لنا نهجاً في التعامل الأبوي مع البنت ورقتها كيفيه مداراتها.

سلوكه معها: الإمام يزوج ابنته

روى أنّ الحسن بن الحسن خطب إلى عمّه الحسين عليه السلام احدى ابنتيه، فقال له الحسين عليه السلام:

«إختر يا بُنيّ أحبّهما إليك».

فاستحيا الحسن ولم يحر جواباً، فقال له الحسين عليه السلام:

«فإني قد اخترت لك ابنتي فاطمة، فهي أكثرهما شَبهاً بأمّي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله»[1].

من خلال هذه الصورة نستخلص فوائد ودروساً مهمة:

أ. ان الإمام الحسين عليه السلام بقوله لابن أخيه الحسن عليه السلام:

«اختر يا بني أحبهما إليك».

يؤكد لنا ان بناء الأسرة يعتمد على الحب والاحترام، ويبين لنا أيضاً ان الرجل إذا ارتبط بامرأة يحبها سيسعد بها وتسعد به تطبيقا لقول الإمام الحسن المجتبى عليه السلام عندما استنصحه رجل في تزويج ابنته فقال له:

«زوجها مؤمنا فانه ان أحبها أكرمها وان يبغضها لا يظلمها».

فالرجل الذي يتزوج امرأة يحبها سيكرمها ويسعدها لكي ينعم بحياة هنيئة معها.

---

(١) كشف الغمة: ١/٥٧٩. مقاتل الطالبيين: ١٨٠. الأغاني: ٢١/١١٥.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ب . قول الإمام الحسين عليه السلام «**أحبهما إليك**» لا يقصد الحب المتعارف المبني على الشهوة لخروج هذا النوع من الحب عن الحب الإيماني، بل لعله يقصد ما تميل إليه النفس وتختاره من صفات المرأة وكمالها بدليل قوله عليه السلام :

«**اخترت لك ابنتي فاطمة فهي أكثرهما شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله** صلى الله عليه وآله»

ج . قوله عليه السلام «**اخترت لك ابنتي فاطمة**» يدلنا على ضرورة ان يختار الأب الزوج الكفوء لابنته وان يختار الزوجة الكفوءة لولده، ولابد أن يكون هذا الاختيار مبنياً على الموازين الشرعية.

د . تصرف الإمام الحسين عليه السلام دون الرجوع إلى رأي ابنته يخبرنا عن تفويض البنت امر تزويجها لأبيها الإمام المعصوم، وإحراز عدم الاعتراض على رأي المعصوم والتسليم والانقياد لرأيه.

مشورة الإمام عليه السلام في التزويج

روي أنّ رجلاً صار إلى الحسين عليه السلام فقال : جئتك أستشيرك في تزويجي فلانة.

فقال عليه السلام : «**لا أحب ذلك لك**»، وكانت كثيرة المال وكان الرجل أيضاً مكثراً، فخالف الحسين عليه السلام فتزوج بها، فلم يلبث الرجل حتى افتقر، فقال له الحسين عليه السلام : «**قد أشرت إليك، فخلّ سبيلها، فإنّ الله يعوّضك خيراً منها**»، ثم قال عليه السلام : «**وعليك بفلانة**» فتزوجها، فما مضت سنة حتى كثر ماله، وولدت له ولداً ذكراً، ورأى منها ما أحب.

نستخلص من هذه الرواية ما يلي :

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

أ . استحباب المشورة في أمر مهم كالتزويج ولاسيما إذا كان المستشار من أولى الألباب فكيف إذا كان المستشار معصوماً؟.

ب . قول الإمام عليه السلام «**لا أحب ذلك لك**» كأنما يشير إلى عدم نجاح هذا الزواج لأسباب قد تكمن في المرأة أو في الظروف والعوامل المحيطة بها وما يؤكد ذلك قوله عليه السلام «**فإن الله يعوضك خيراً منها**». ولم ينهَ الإمام عليه السلام الرجل نهياً مولويا إنما هو نهي إرشادي فحسب.

ذوق الإمام الحسين عليه السلام

روى أنس قال: كنتُ عند الحسين فدخلت عليه جارية بيدها طاقة ريحان، فحيّته بها، فقال لها: أنت حرّة لوجه الله تعالى.

وبَهَرَ أنس، فانصرف يقول: جارية تجيئك بطاقة ريحان، فتُعْتِقُها؟!.

فقال الحسين عليه السلام:

كذا أدّبنا الله، قال تبارك وتعالى:

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾.

وكان أحسن منها عِتقُها[1].

هذه الرواية التاريخية مُلئت ذوقاً وأريحية عالية من قبل المرأة إزاء الرجل الذي استحق احترامها وتوقيرها وكان أهلاً لتحيتها الرقيقة، فكان رد التحية بأحسن وأرقى وأنبل وأكثر سخاء وأرفع ذوقاً من التحية ذاتها، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ان الخلق الحسن ينتج دائماً رداً أحسن وثمرة انفع وربحاً أوسع.

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج١، ص١٢٩، نقلاً عن الفصول المهمة لابن الصباغ: ص١٨٤.

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

الإمام عليه السلام يلقم الجاهل حجرا

كان لمعاوية جواسيس بالمدينة يكتبون إليه أمور الناس. فكتب إليه أحدهم أنّ الحسين أعتق جارية له وتزوجها. فكتب معاوية إلى الحسين يعيّره ويعيبه. فردّ عليه الإمام الحسين بالرسالة التالية:

«أما بعد فقد بلغني كتابك وتعييرك إياي بأني تزوّجتُ مولاتي ــ أي الأمة ــ وتركت أكفائي من قريش. فليس فوق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منتهى في شرف، ولا غاية في نسب، وإنما كانت يميني خرجت من يدي بأمر التمست فيه ثواب الله. ثم أرجعتها على سنّة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة ووضع عنّا به النقيصة، فلا لوم على امرئ مسلم إلاّ في مأثم، وانما اللّوم لوم الجاهلية»[1].

هذه الرواية تفضح جهل أبناء الطلقاء، وتبين علم أبناء الأنبياء، اين معاوية من السبط؟ وأين الجهل من العلم؟ وأين الجاهلية من الإسلام؟ نكتفي بالرواية دون تعليق لوضوح مضمونها.

إغاثة المستضعفين

ذكر المؤرخون: لما وصل الحسين عليه السلام إلى صحراء الثعلبية في طريقه إلى كربلاء شاهد خيمة متردّية تعبّر عن فقر ساكنها، فدنا إليها فرأى هناك امرأة كبيرة السنّ، عليها ثياب رثّة لشدة فقرها، فسألها عن حالها؟.

فقالت: إنها قد أضرّ بها وبأغنامها الجفاف، وأنّ ابنها (وهب) وزوجته (هانية) ذاهبان بحثاً عن الماء.

---

(١) موسوعة المصطفى والعترة للشاكري: ج ٦/ ص٩١.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

فأقلع الإمام الحسين عليه السلام صخرة في مكانه فخرج من تحتها نبع من الماء الزلال، فسرّت المرأة وشكرت الإمام عليه السلام، ثم واصل الإمام طريقه إلى كربلاء. وحينما جاء ابنها (وهب) فرأى ذلك انبرى مندهشاً يسأل أمّه من أين حصل هذا؟.

فأخبرته بالأمر، وكان الابن في ليلته قد رأى في المنام الإمام الحسين عليه السلام.

فقال لأمّه فوراً: قومي لنلتحق به. فتحرّك وهب وأمّه وزوجته ـ وكانوا على دين المسيح عيسى عليه السلام ـ حتى وصلوا إلى قافلة الحسين، فأسلموا على يديه، وكان وهب مع الحسين في يوم عاشوراء واحداً من الشهداء السعداء.

لم يتجاهل الإمام الحسين عليه السلام هذه المرأة ولم يزدرِ فقرها وحالها بل بادر إلى إغاثتها ومساعدتها بما وهبه الله تعالى من ولاية تكوينية لكي يدخل السرور عليها ويطبق شعار الإسلام الحنيف:

«خير الناس من نفع الناس».

فقدم الخير دون أن يعرف هوية هذه المرأة ودون أن يعرف موقفها من الإمامة والولاية.

حرصه على نساء المؤمنين

قال الحسين عليه السلام في ليلة عاشوراء لأصحابه:

«ألا ومَن كان في رحله امرأة فلينصرف بها إلى بني أسد».

فقام علي بن مظاهر وقال: ولماذا يا سيدي؟ فقال عليه السلام:

«إن نسائي تسبى بعد قتلي وأخاف على نسائكم من السبي».

لو أمعنا النظر في هذه الرواية لأدركنا مدى رقة الإمام عليه السلام وحرصه على سلامة المرأة المؤمنة، وللمسنا غيرته العلوية على عفة المرأة وحشمتها.

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

كرامات الإمام الحسين عليه السلام مع المرأة

هذه القصص التي سنتعرض لها تنطوي على رعاية الإمام الحسين عليه السلام وعنايته بمن يستغيث به، وتتضمن بيان حاجتنا إلى سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم وريحانته في الدنيا والآخرة، وتوضح ان هذه الوسيلة الإلهية لا ترقى إليها وسيلة ولا يمكن الاستغناء عنها في الدنيا والآخرة.

قصة شفاء بنت نصرانية عمياء زمناء طرشاء مشلولة

في كتاب «عوالم الإمام الحسين عليه السلام» للشيخ البحراني، قال: في بعض مؤلفات الاصحاب قال:

«روي عن طريق أهل البيت عليهم السلام أنّه لما استشهد الحسين عليه السلام بقي في كربلاء صريعاً، ودمه على الأرض مسفوحاً، وإذا بطائر أبيض قد أتى وتمسح بدمه، وجاء والدم يقطر منه فرأى طيوراً تحت الظلال على الغصون والأشجار، وكل منهم يذكر الحَبّ والعلف والماء، فقال لهم ذلك الطير المتلطخ بالدم: يا ويلكم أتشتغلون بالملاهي، وذكر الدنيا والمناهي، والحسين عليه السلام في أرض كربلاء في هذا الحرّ ملقى على الرمضاء، ظام مذبوح ودمه مسفوح.

فعادت الطيور كل منهم قاصداً كربلاء، فرأوا سيدنا الحسين عليه السلام ملقى في الأرض جثّة بلا رأس ولا غسل ولا كفن، قد سفّت عليه السوافي، وبدنه مرضوض قد هشمته الخيل بحوافرها، زوّاره وحوش القفار، وندبته جنّ السهول والأوعار، وقد أضاء التراب من أنواره، وأزهر الجومن أزهاره.

فلما رأته الطيور، تصايحن وأعلن بالبكاء والثبور، وتواقعن على دمه يتمرغن فيه، وطار كلّ واحد منهم إلى ناحية يعلم أهلها عن قتل أبي عبدالله

الحسين عليه السلام، فمن القضاء والقدر أنّ طيراً من هذه الطيور قصد مدينة الرسول، وجاء يرفرف والدم يتقاطر من أجنحته ودار حول قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلن بالنداء: ألا قتل الحسين عليه السلام بكربلاء، ألا ذبح الحسين بكربلاء!، فاجتمعت الطيور عليه وهم يبكون عليه وينوحون.

فلما نظر أهل المدينة من الطيور ذلك النوح، وشاهدوا الدم يتقاطر من الطير، لم يعلموا ما الخبر حتى انقضت مدة من الزمان، وجاء خبر مقتل الحسين عليه السلام، علموا أنّ ذلك الطير كان يخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتل ابن فاطمة البتول، وقرّة عين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد نقل أنّه كان في ذلك اليوم الذي جاء فيه الطير إلى المدينة، كان في المدينة رجل يهودي له بنت عمياء زمناء طرشاء مشلولة، والجذام قد أحاط ببدنها، فجاء ذلك الطائر والدم يتقاطر منه، ووقع على شجرة، يبكي طول ليلته، وكان اليهودي قد أخرج ابنته تلك المريضة إلى خارج المدينة إلى بستان وتركها في البستان الذي جاء الطير ووقع فيه.

فمن القضاء والقدر أنّ تلك الليلة عرض لليهودي عارض فدخل المدينة لقضاء حاجته، فلم يقدر أن يخرج تلك الليلة إلى البستان التي فيها ابنته المعلولة، والبنت لما نظرت أباها لم يأت تلك الليلة لم يأتها نوم لوحدتها، لأنّ أباها كان يحدّثها ويسليها حتى تنام.

فسمعت عند السحر بكاء الطير وحنينه، فبقيت تتقلب على وجه الأرض إلى أن صارت تحت الشجرة التي عليها الطير، فصارت كلما حنّ ذلك الطير تجاوبه من قلب محزون، فبينما هي كذلك، إذ وقعت قطرة من الدم، فوقعت على عينها

ففتحت، ثمّ قطرة أخرى على عينها الأخرى فبرأت، ثم قطرة على يديها فعوفيت، ثم على رجليها فبرأت، وعادت كلما قطرت قطرة من الدم تلطخ به جسدها، فعوفيت من جميع مرضها من بركات دم الحسين عليه السلام.

فلما أصبحت أقبل أبوها إلى البستان فرأى بنتاً تدور ولم يعلم أنّها ابنته فسألها أنّه كان لي في البستان ابنة عليلة لم تقدر أن تتحرك، فقالت ابنته: والله أنا ابنتك، فلما سمع كلامها وقع مغشياً عليه، فلما أفاق قام على قدميه فأتت به إلى ذلك الطير، فرآه واكراً على الشجرة يئن من قلب حزين محترق مما رأى مما فُعِلَ بالحسين عليه السلام.

فقال له اليهودي: أقسمت عليك بالذي خلقك أيها الطير أن تكلمني بقدرة الله تعالى، فنطق الطير مستعبراً، ثم قال: إنّي كنت واكراً على بعض الأشجار مع جملة من الطيور عند الظهيرة، وإذا بطير ساقط علينا، وهو يقول: أيتها الطيور تأكلون وتتنعمون، والحسين في أرض كربلاء في هذا الحر على الرمضاء طريحاً ظامئاً والنحر دام، ورأسه مقطوع، على الرمح مرفوع، ونساؤه سبايا، حفاة عرايا، فلما سمعن بذلك تطايرن إلى كربلاء، فرأينه في ذلك الوادي طريحا، الغسل من دمه، والكفن الرمل السافي عليه، فوقعنا كلنا عليه ننوح ونتمرغ بدمه الشريف، وكان كل منّا طار إلى ناحية فوقعت أنا في هذا المكان.

فلما سمع ذلك اليهودي تعجب، وقال: لو لم يكن الحسين عليه السلام ذا قدر رفيع عند الله ما كان دمه شفاء من كلّ داء، ثم أسلم اليهودي وأسلمت البنت وأسلم خمسمائة من قومه(١).

(١) العوالم، الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ عبدالله البحراني: ص ٤٩٣ ـ ٤٩٥.

قصة شفاء بنت الحاج محمد اليزدي من ورم في عينها على أثر لسعة حشرة أصابتها

ويذكر الشيخ الدكتور عبدالرسول الغفاري، هذه الكرامة، نقلاً عن (كشكول شمس) فيقول:

نقل الحاج محمد اليزدي أنّه رزق بنتاً من زوجته العلوية ولما أصبحت البنت في السنة الخامسة من عمرها ظهر في عينها (سالك)[١] على أثر لسعة حشرة وشيئاً فشيئاً أخذ يكبر حتى ورمت عينها، وخفنا كثيراً من تلفها.

غير أن أم الزوجة أخذت البنت إلى الحرم الحسيني وألصقت البنت بالضريح وقالت لها: ضعي يديك على الضريح وامسحيهما ثم ضعي يديك على عينك حتى تشفي. الطفلة حسب فطرتها وصفاء نفسها وإخلاصها امتثلت أمر (جدتها) فمسحت عينها بكلتا يديها التي تبركت بهما من الضريح الشريف، وإذا الطفلة رفعت رأسها قائلة أمّاه (مادر بزرك) أنظري عيني أصبحت جيدة.

والأم لغرض تسلية خاطر البنت قالت لها: إن شاء الله تكون جيدة ولما رجعوا إلى البيت وذهبوا للنوم فناموا حتى الصباح فلما أصبحوا لم يروا أي أثر للسالك ولا في العين ورم، بل هي في حالة طبيعية جدا وكأنما لم يكن فيها أي عارض أو مرض. فشكروا الله على هذه النعم[٢].

---

(١) السالك: مرض جلدي، وفي الغالب تبرز زوائد فيه، وبالخصوص على الأنف والوجنتين والعينين، ويبقى مدة طويلة، ويترك أثراً على الجلد لا يزول، مما يظهر فيه التشويه.

(٢) كرامات الإمام الحسين، الشيخ الدكتور عبدالرسول الغفاري: ج ٣، ٢١٨ ـ ٢١٩، نقلاً عن (كشكول شمس: ١١٥).

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

قصة شفاء بنت أخرى للحاج محمد اليزدي من مرض عضال

وفي كتاب «كرامات ومعجزات» على ما نقله عنه صاحب كتاب «كرامات الإمام الحسين عليه السلام»، قال: وينقل أيضاً الحاج محمد اليزدي حكاية أخرى، فيقول:

كانت لي بنت أخرى من زوجتي العلوية وكانت البنت نظيفة وذكية، وفي السنة العاشرة من عمرها مرضت وأجرينا لها عملية جراحية، ومرضها طال علينا فلا هي تتماثل للشفاء ولا تموت، حتى وصل بها الأمر أن فقدت احساسها وحركتها وبقيت هكذا عدة أيام من غير طعام ولا شراب وقد اضطربتُ لهذه الحالة فحملتها ليلاً ووضعت رأسها على كتفي وذهبت إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام ـ في حالة خاصة، وما أن دخلت الصحن إذ جرت دموعي ولما وصلت الإيوان، وبالقرب من الرواق رأيت سيداً جليلاً جاء من الحرم باتجاهي وقال: حاج محمد لا تبك، بنتك صارت جيدة، ثم وضع يده الشريفة على رأس البنت ووجهها وكذلك مسحهما بيده، لكن لشدّة انزعاجي ومللي لم التفت إلى هذا السيد الجليل، فقد ذهبت إلى الحرم وصرت عند الضريح وأخذت أبكي وأتوسل بالإمام عليه السلام ولما انتهيت من الزيارة والدعاء، حملت البنت وخرجت من الحرم، ولما وصلت إلى نفس ذلك الإيوان الذي رأيت فيه السيد وإذا البنت تنتبه من الإغماء ورفعت رأسها من كتفي وقالت: «بابا».

قلت: «جان» أي عزيزتي، ماذا تقولين؟.

قالت: جائعة. قلت لها: هنا لم يكن عندي شيء، ولكن رأيتها لم تبصر، فكانت في جيبي سفرجلة فأعطيتها وقلت لها: كُليها حتى تتقوين، فأخذت البنت

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

السفرجلة وشرعت في أكلها، إلى أن وصلنا البيت، استعادت صحتها وحالتها الطبيعية ولم يبق فيها سوى الضعف والهزال[1].

أقول ولعلّ هذا الضعف والهزل ليس من آثار ما تبقى من المرض وإنما هو لقلّة أكلها، وأما المرض فزال عنها بالكلية.

قصة شفاء امرأة من النصارى من العقم

وينقل الشيخ الدكتور عبدالرسول الغفاري، فيقول:

نقل لي أحد السادة الورديين عن ـ سيد خليل السيد ابراهيم الوردي صاحب محل في سوق البزازين في بغداد في سنة ١٩٥٧ م كان لديه محل لبيع الأقشمة وإذا بإمرأة من زبائنه من الطائفة المسيحية في بغداد يعرفها جيداً أنها مسيحية، جاءت أحد الأيام مع ولدها لتشتري قماشاً «بنطلون» لولدها وقد صادف أن نادته باسمه وهو «حسين» فاستغرب السيد خليل وقال لها هل هو ولدك؟.

فأجابت: نعم.

ثم سألها وكيف سميته حسيناً وأنتم من النصارى؟.

فأجابت:

أنّها كانت عقيماً وكانت تحضر مجلس عزاء الإمام الحسين عليه السلام بطلب من جارتها إذ رغّبتها في الحضور وطلب الحاجة وقضائها من الإمام. وفعلاً حصل لها المراد وسمته حسيناً[2].

---

(١) كرامات الامام الحسين عليه السلام، الشيخ الدكتور عبدالرسول الغفاري: ج ٣، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠، نقلاً عن (معجزات وكرامات: ص ١١٦).

(٢) كرامات الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ الدكتور عبدالرسول الغفاري: ج ٣، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

قصة شفاء زوجة رجل من كبار تجار الهندوس من العقم

كان «رام بركاش دها باي» ـ تاجر هندوسي ـ متزوجاً من بنت حسناء جميلة وقد مضى على زواجهم سنون كثيرة ولم يرزق من هذه المرأة ذرية، وقد صمّم على الزواج من امرأة ثانية ويبدو أنّ سبب العقم هي الزوجة.

ولما علمت هذه الزوجة وهي كذلك من الطائفة البوذية فاشتكت عند أبيها وأسرتها، وبما أنّ زوجها ثريّ ومن شخصيات الطائفة البوذية، فلم يكن لأهل الزوجة أيّة حيلة، بل ربطوا مصير بنتهم بمصير زوجها فله أن يفعل ما يشاء... .

لذا لم يبق خيار لهذه الزوجة إلاّ الإنتحار والخلاص من تلك المعاناة التي طالت سنين.

في عام ١٩١٩ م تصمّم هذه الزوجة على الإنتحار، فتذهب خارج المدينة إلى وسط المزارع حيت يتوسط بعض تلك المزارع بحيرة وكل تلك الأراضي هي في مالكية زوجها (رام بركاش دها باي) واختارت تلك المنطقة حتى لا يراها أحد فيما لو أقدمت على الإنتحار وإذا ترى مجموعة من النساء جالسات عند مرتفع من المكان، فاندهشت واستغربت لهذا المنظر وأخذت تسألهن ما الذي جاء بكنّ إلى هذا المكان، إنّ هذه البقعة هي في ملك زوجي...؟!.

فأجابتها إحداهنّ: نحن جئنا إلى هنا لنبكي ونتوسل بصاحب هذه القطعة من التراب المدفون، إذ كلّما أردنا شيئاً نتوسل بهذا المكان، وسبحانه وتعالى كرامة لصاحب هذه التربة يستجيب لسُؤلنا.

وقد مرّ عليك أيها القارئ العزيز أنّ في هذا المكان ترابا مدفونا إنّه ذلك التراب الذي كان عند الهندوسي المتخفّي.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

كان هذا الكلام له وقع خاص في نفس هذه المرأة العقيم وقد تأثّرت كثيراً ثم طلبت من النساء الجالسات أن يدعون لها بقضاء حاجتها، وقد سردت قصتها وكشفت لهنّ بعزيمتها على الإنتحار، ولكن بعد ما سمعت منهنّ ذلك جعلت بينها وبينهنّ أمداً من الزمان لئن وصلت إلى مرامها وحملت من زوجها سوف تنثني عن نيتها وتقلع كلياً عن موضوع الإنتحار وفيما يبدو كان الأمد من شهر إلى شهرين.

وفعلاً تحقّق ما كانت تصبو إليه هذه المرأة، وفي الشهر الأول من هذا التوسل تحمل وبعد مضيّ فترة الحمل وإذا تضع لزوجها ولدين توأمين وتصبح محظوظة عند زوجها وتنال السعادة والقرب، ويفرح الجميع بهذين الولدين.

أما هذا المكان الذي دفنت فيه تلك التربة الطاهرة فقد أصبح مزاراً يؤمه المئات من أصحاب الحوائج.

السلام عليك يا مولاي يا أبا عبدالله لقد طَهُرَتُ أرضٌ أنت فيها، وطَهُرَت بك البلاد، وطهرُتْ بك الأماكن، بل وطَهُرَت بك القلوب، ... يا مولاي أنت باب الله الذي منه يؤتى، أنت باب للسائلين، وأنا سائلك في أن تشفع لي عند الله لئن أكون في جواركم وبالقرب منكم صلى الله عليك يا مولاي ورحمة الله وبركاته(١).

قصة شفاء امراة من ألم شديد في ساقها

وذكر الشيخ سعيد رشيد زميزم، قال:

تحدثت لي الحاجة صفية المطيري وهي جدتي لأبي، أنها ذات يوم أصيبت بألم شديد في ساقها وأخذ الألم يزداد يوماً بعد يوم وقد راجعت عدداً من الأطباء

(١) كرامات الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ الدكتور عبدالرسول الغفاري: ج ٣، ص ٢٥٧ ـ ٢٥٩.

في بغداد وغيرها ولم تستفد من العلاج الذي وصفوه لها وفي تلك الفترة صادفت زيارة أربعين الحسين عليه السلام فقررت ـ والحديث للحاجة ـ أن أسير مشياً على الأقدام مع مجموعة من الزائرين الكرام المتوجهين إلى مرقد الإمام الحسين عليه السلام من مدينة السماوة العراقية والذين مروا بالقرب من داري الواقعة بالقرب من صحن سيدي العباس عليه السلام ، وفي أثناء سيري مع المجموعة دعوت الله (عز وجل) بمنزلة الإمام الحسين عليه السلام ، ـ عنده أن يمن عليّ بالصحة والشفاء، وبعد وصولنا إلى المرقد الطاهر قبلت الضريح المقدس ثم عدت إلى داري ونمت في تلك الليلة دون أن أشعر بأي ألم حيث منّ الله تعالى عليّ بالشفاء التام ببركة الإمام الحسين عليه السلام [1].

(١) قبس من كرامات الامام الحسين عليه السلام ، سعيد رشيد زميزم: ص ١٠٩.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

المصادر

١. ابصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، محمد طاهر السماوي / طبع مؤسسة البلاغ.

٢. أعلام النساء، علي محمد علي دخيل / طبع الدار الإسلامية.

٣. أم البنين: النجم الساطع، علي رباني الخلخالي / طبع دار الكتاب الإسلامي.

٤. إكسير العبادات في أسرار الشهادات، أغا بن عابد الشيراواني الدربندي / طبع شركة المصطفى.

٥. الأسرار الحسينية، محمد فاضل المسعودي / طبع دار الإرشاد.

٦. أعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسي / طبع مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

٧. أعلام النساء المؤمنات، محمد الحسون / طبع دار الأسوة.

٨. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين / طبع دار التعارف للمطبوعات.

٩. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني / طبع دار الكتب العلمية.

١٠. الأسرة المسلمة، مؤسسة البلاغ / طبع مؤسسة البلاغ.

١١. أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني / طبع دار الأسوة.

١٢. أمالي أو المجالس، أبو جعفر محمد بن علي الصدوق / طبع مؤسسة الأعلمي.

١٣. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي / طبع دار التعارف.

١٤. البداية والنهاية، ابن كثير / طبع بيت الأفكار الدولية.

١٥. تاريخ الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري / طبع دار ومكتبة الهلال.

١٦. تاريخ دمشق الكبير، ابن عساكر / طبع دار إحياء التراث العربي.

١٧. تسلية المجالس وزينة المجالس، محمد بن أبي طالب الكركي الموسوي / طبع المعارف الإسلامية.

١٨. التفسير المعين، محمد هويدي / طبع طليعة النور.

١٩. تربية الفتاة، د. علي القائمي / طبع دار الصفوة.

٢٠. تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي / طبع دار العلوم.

٢١. تفسير نور الثقلين، عبدعلي العروسي الحويزي / طبع مؤسسة التاريخ العربي.

٢٢. تفسير كنز الدقائق، الميرزا محمد المشهدي.

٢٣. الخصائص الحسينية، جعفر التستري / طبع أنوار الهدى.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

٢٤. الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي / طبع مؤسسة النور.

٢٥. الدمعة الساكبة في أحوال النبي، محمد باقر البهبهاني / طبع مؤسسة الأعلمي.

٢٦. الركب الحسيني، محمد أمين الأميني / طبع عاشوراء.

٢٧. روضة الواعظين، محمد النيشابوري / طبع دليل ما.

٢٨. السيدة زينب بطلة التاريخ، باقر شريف القرشي / طبع المحجة البيضاء.

٢٩. السيدة رقية بنت الإمام الحسين عليه السلام، علي رباني الخلخالي / مكتب الحسين عليه السلام.

٣٠. سكينة بنت الحسين عليه السلام، عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) / طبع دار الكتاب العربي.

٣١. صحيح مسلم، محي الدين النووي الشافعي / طبع دار إحياء التراث.

٣٢. عقيلة قريش آمنة بنت الحسين (سكينة)، محمد علي الحلو / طبع مؤسسة السبطين.

٣٣. العوالم الغيبية في القرآن الكريم، الشيخ جعفر السبحاني / طبع مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام.

٣٤. ٧٥٠ قصة من حياة الإمام الحسين عليه السلام، محمد باقر الصدر / طبع دار الجوادين.

٣٥. قصة كربلاء (الانتقام والثأر)، نظري منفرد / طبع المحجة البيضاء.

٣٦. اللهوف في قتلى الطفوف، رضي الدين بن طاووس / طبع أنوار الهدى.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

٣٧. الكامل في التاريخ، ابن الأثير / طبع دار ومكتبة الهلال.

٣٨. كلمة السيدة زينب، حسن الشيرازي / طبع دار القارئ.

٣٩. كل ما في الكون يبكي حسين، نزية القميعا / طبع دار الهادي.

٤٠. كشف الغمة في معرفة الأمة، علي بن عيسى أبي الفتح الأربلي / طبع دار الأضواء.

٤١. المجدي في أنساب الطالبين، علي بن محمد العلوي العمري / طبع مكتبة المرعشي النجفي.

٤٢. معالي السبطين، محمد مهدي الحائري / طبع صبح الصادق.

٤٣. الملهوف على قتلى الطفوف، ابن طاووس / طبع مؤسسة البلاغ.

٤٤. مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام، محمد الهنداوي / طبع دار المجتبى.

٤٥. معالم المدرستين، مرتضى العسكري / طبع دار المؤرخ العربي.

٤٦. المعاملات، السيد الخوئي / طبع دار البلاغة.

٤٧. المعاملات، السيد السيستاني / طبع مكتب السيد.

٤٨. مع الركب الحسيني من المدينة، علي الشاوي / طبع أفق فردا.

٤٩. من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام، عبدالعظيم المهتدي البحراني / طبع مؤسسة البلاغ.

٥٠. المنتخب للطريحي، فخر الدين الطريحي النجفي / طبع مؤسسة الأعلمي.

ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

٥١. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو فرج عبدالرحمن بن الجوزي / طبع دار الكتب العلمية.

٥٢. المنبر الحر، عبدالحميد المهاجر / طبع دار الكتاب والعترة.

٥٣. المرأة المعاصرة، عبدالرسول عبدالحسن الصفار / طبع دار الزهراء.

٥٤. المرأة ريحانة، نعمة الله الهاشمي / طبع دار العلوم.

٥٥. مسند أحمد بن حنبل، أبي عبدالله الشيباني / طبع أحباب التراث.

٥٦. مكارم الأخلاق، الحسن بن الفضل الطبرسي / طبع دار المرتضى.

٥٧. منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل عليهم السلام، الشيخ عباس القمي / طبع محبين.

٥٨. منهاج الصالحين، السيد علي السيستاني / طبع مكتب السعيد.

٥٩. موسوعة المصطفى والعترة، حسين الشاكري / طبع الهادي.

٦٠. وارث الأنبياء، رئيسة عبدالزهرة القسام / طبع دار الهادي.

٦١. وسائل الشيعة، الحر العاملي / طبع المكتبة الإسلامية.